الشيخ العلامة
عبد الله بن محمد بن حميد
كما عرفته

بقلم تلميذه

محمد بن ناصر العبودي

الجزء الثاني

الناشر
دار الفاروقية
الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ/٢٠١١م

(م) دار الثلوثية للنشر ، ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبودي، محمد ناصر عبدالرحمن
الشيخ العلامة عبد الله بن محمد بن حميد . / محمد بن ناصر عبد الرحمن العبودي . - الرياض ،١٤٣٢ هـ
٢ مج
٣٢٠ ص ، ١٧ × ٢٤سم
ردمك: ٤-٢-٩٠٢١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
٨ - ٤ - ٩٠٢١١ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج٢)
١-ابن حميد ، عبد الله بن محمد بن عبد العزيز ١٤٠٢ - ١٣٢٩
٢- القضاه السعوديين أ. العنوان
ديوي ٩٢٢،٥٨٤ ١٤٣٢/٢٥٨٧

رقم الإيداع ١٤٣٢/٢٥٨٧
ردمك : ٤- ٢-٩٠٢١١ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)
٨-٤-٩٠٢١١-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢)

الناشـــر

دار الثلوثية للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية - الرياض
تليفون : ٤٥٠٧٨٣٢
فاكس : ٤٦٤٥٩٩٩
email : tholothia@gmail.com

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

عود إلى إيراد ما يتعلق بشيخنا من يوميات المؤلف:

ليلة الثلاثاء ٢٣/٨/١٣٦٩هـ:

لدى شيخي عبدالله بن حميد:

كانت لي عادة قديمة هي أن أزور شيخنا الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد قاضي منطقة القصيم ومن أكبر المشايخ (مقاماً) في بلادنا، كل ليلة ثلاثاء بعد المغرب وحينما تحين صلاة العشاء أخرج معه إلى الصلاة ثم نعود مرة ثانية إلى بيته، وكانت هذه عادة قديمة أحافظ عليها منذ عام ١٣٦٥هـ أي من مدة تزيد على أربع سنوات لا أحيد عن هذه العادة أبداً حتى ولو كنت قد اجتمعت به بعد عصر يوم الاثنين، وكان لا يدخل عليه في هذه الليلة أحد غيري.

وحديث الليلة الذي دار بيني وبينه هو أنا، بين أمس عندما كنت منقطعاً إلى طلب العلم الشرعي متفانياً فيه، واليوم عندما توظفت وتوفرت علي دراسة العلوم العصرية واللغة الإنكليزية.

وقد قال الشيخ لي كلاماً كثيراً لا يمكن أن أحصره في هذا المجال، ولا أراني بحاجة إلى نقل كل ما أذكر ما قاله لي من مدح فيَّ لأنني أكتب هذا لأجل أن يكون ذكرى وعبرة، ولعلي استفيد من أخطائي أو من أخطاء الماضي لأصحح المستقبل، ولأنني كتبته لنفسي فلا حاجة لأن أقول إنني لم أزد فيه ولا أنقص لأنه لا داعي لأن أزيد أو أنقص على نفسي شيئاً أنا أعلم بأنه زيادة أو نقصان، ولأن غيري لا يعنيه مثل هذا، فإنني سبق أن ذكرت مثله فيما سبق، وقد ذكرت ذلك من دون أن أتحاشى من ذكر كل ما قاله شيخنا مما قد لا يعني غيري من القراء وفقهم الله.

فطور مع فضيلة شيخنا:

لقيني ابن أخ الشيخ عبدالله بن حميد قاضي القصيم فقلت له: هل الشيخ وقت الفطور يشتغل بحضور أحد أم لا يكون مشغولاً بأحد، فأجاب بأنه لا يحضره أحد فذهبت إليه وأفطرت معه، فقال لي: هذا فطور غير منتظر فلم يكن كما نريد أن يكون حين تفطر معنا، ولكن لابد من أن تزورنا غداً لتفطر عندنا ولتتعشى بعد ذلك معاً في بيتنا.

فمانعت قائلاً: إنه قد حصل المقصود من المجلس، فلم يرض جزاه الله خيراً إلا أن أجيبه، فأجبته إلى ذلك وكان شيخنا في وقت الإفطار وكعادته في طلاقة اللسان ورفع الكلفة وهي الصفات التي عودني أن يعاملني بها منذ عرفته لأنه كان يقول لي: إنك بصفة ولد لا بصفة شخص أجنبي فاشكره على ذلك بما يسعفني لساني من عبارات الشكر والتقدير.

وهذه الكلمة من الشيخ هي في محلها صحيحة خالية من أي صبغة تكلف أو تزييف، فما كان يعاملني فيما سبق غير معاملة الوالد لولده، وكم كان له من أياد بيضاء عليَّ يجب أن أشكرها له ولا أنساها، وعسى أن يوفقني الله إلى ذلك.

إن الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد والد وصديق، وفوق ذلك فهو دائم التقدير والاحترام لشخصي الضعيف، ولننتظر حتى مساء الغد لنزوره مرة ثانية إن شاء الله.

ذكر أيام رمضان، نقول:

إننا نخاف حتى يصل بنا الخوف إلى الفزع أن تأتي أيام نترحم فيها على أيامنا هذه كما نترحم على أيامنا تلك في هذه الأيام وما بيدنا إلاّ أن نسأل الله تعالى أن يحفظ علينا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، ودنيانا التي فيها معاشنا وأن يجعل آخر أيامنا خيراً من أولها، وصالح أعمالنا ختاماً لها إنه قريب مجيب.

ولعلك تعجب إذا ما رأيت تاريخ اليوم ١٩ رمضان مع قولي إن الناس يتهيئون الليلة للقيام ويستعدون له وذلك لا يكون إلا في العشر الأواخر من رمضان، إذا عجبت من ذلك فلاحظ ما كتبته في أول اليوميات من أن رؤية الهلال الشرعية التي عليها العمل قد خالفت حساب الشهر في التقويم الرسمي للحكومة التي تأخرت في دخول الشهر عن الأولى بيوم واحد، وإذن فاليوم هو ١٩ بالتقويم الرسمي الذي عليه تجري المعاملات والمراسلات وغيرها و٢٠ بحسب الرؤية الشرعية التي قلت: إن العمل في الصيام والقيام عليها وأولى ليالي القيام هي ليلة واحد وعشرين وهي الليلة.

قلت أمس إنني عندما زرت شيخنا الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد قاضي بريدة وما حولها من القصيم في وقت الفطور اعتذر- أكرمه الله- بأنه لم يعلم بمجيئي اليوم إلاَّ أكرمني أكثر.

وبعدما أفطرنا وشربنا القهوة قال لي: لابد وأن تأتينا مرة ثانية غداً، فأبيت وقلت له: أحسن الله إليك أنا جئت إلى هنا لزيارتك كولد لك، فقال: أي والله، ولكن لابد أن تأتينا غداً، فمانعت ولكنه مانع وردد ذلك حتى وافقت، هذا أمس.

واليوم ذهبت إليه في داره وأفطرت معه على فطور ممتاز وصلينا معه في المسجد الجامع صلاة المغرب ثم رجعنا إلى البيت حيث تعشيت معه عشاءً فاخراً، ثم شربنا القهوة بعد ذلك، ولم يكن معي لديه أحد أبداً، وهو في كل ذلك ينثر نصائحه الغالية وكلماته الثمينة بما أوتي من فصاحة وما أعطي من بيان.

وقد كانت تلك الكلمات تصلح كلها للتدوين لأنها إما وقائع تاريخية يرويها لي مضبوطة محررة أو مواضع دقيقة يجلوها مشرقة ناضجة، أو طرائف لا تجدها عند غيره من المشايخ، لأنني اعتقد أنه لا يوجد مثله في المشايخ، بل من يدانيه: خفة روح وسعة أفق وروحانية فياضة، حتى ليكاد لفرط ذلك يكون مجرد روح تُرى وتُحس.

ولا غرابة في ذلك، فذوو العبقريات الممتازة هم من نوع ممتاز عن سائر الناس في كل شيء مادي ومعنوي.

لقد قضيت معه هذه الدعوة الكريمة منه وحدي، وكانت الروح السائدة

فيها هي روح الأبوة الصادقة المخلصة، وروح الأستاذية المربية، وروح فيها كل هذا وذاك وغير هذا وذاك من حنان وتواضع وبشر وطلاقة وجه ورفع كلفة معي بدون تكلف جزاه الله عني أحسن الجزاء، جزاء لا أستطيع أن أجازيه به، بل هو فوق ما أستطيع، وأعلى مما يدخل في حولي وطوقي إنه سميع مجيب.

يوم الاثنين ٨ ربيع الأول عام ١٣٧٠هـ- ١٨ ديسمبر عام ١٩٥٠م:

عودة إلى الشاطئ:

ذهبت اليوم بعد المغرب إلى صاحب الفضيلة شيخنا عبدالله بن محمد بن حميد قاضي منطقة القصيم كعادتي في كل مساء اثنين وتحدثنا في شتى الموضوعات، وبعد ذلك استأذنته في أن أعاود الدروس عليه بعد المغرب في الفرائض في الجامع، فقال لي لا بأس ولكن الآن لا أومل أن تصبر عليه بعد أن زلقت في مزالق العلوم العصرية.

فقلت له: أرجو أن أكون على عكس ذلك، وهذا العلم كنت قد انقطعت عن دراسته منذ عام ونصف حينما قطع الشيخ التدريس فيه فترة ثم استأنفه ولم أتمكن أو لم تصدق رغبتي في أن أتمكن من حضوره والمواظبة على درسه.

ولقد تأثرت كثيراً من كلمة الشيخ هذه لأنها تذكرني بكلام كثير قاله لي قبل ذلك مراراً في شتى المناسبات يدور كله على كوني انصرفت عن العلوم الدينية التي كنت قد لازمتها وقطعت فيها شوطاً بعيداً- فيما يقول الشيخ- والتنديد برأيي حينما اخترت العلوم العصرية والمجلات المتنوعة، وأن ذلك يدلُّ على سطحية نظري أو على الأصح قرب نظري حينما فعلت ذلك.

يقول الشيخ: إذا ما أردت أن تعرف خطأ ظنك وخطل رأيك فانظر منزلتك الاجتماعية الآن ثم قارن بينها وبين منزلتك آنذاك من مدة ثلاث سنوات مضت تجد أنه لا تقارب بين الحالتين، إن درجتك أو درجة منزلتك في نفوس الناس

الآن قد نزلت إلى ما تحت الصفر بالنسبة إلى ما كان قبل تلك المدة الماضية القريبة.

يصور شيخي في كلامه هذه الحالة أو هذه المنزلة الاجتماعية التي يراد بها عند العوام المقلدين الذين لا يقدرون الشخص إلا بمسواكه وبطأطأة رأسه، يصورها ثم يقول: إنك نزلت عندهم من القمة إلى السطح وأخشى أن تنزل إلى الهاوية.

فأقول له: حفظك الله هل الأمر هكذا، فيقول لي: هذا هو الواقع، كنا وكان الناس مؤملين بك أن تسود بالعلم، أما الآن وبعد أن انصرفت فإنك لم تقف في عرض الطريق، إنك رجعت، إنك تبعد عن المنزلة الرفيعة بقدر انصرافك إلى العلوم العصرية وحدها.

فأقول له: يا شيخ إنني بأخذي للعلوم العصرية ومطالعة المجلات والكتب الحديثة لست راغباً عن الكتب الدينية، ولكنني أرغب في الجميع في الكتب الدينية والكتب الدنيوية، فيقول لي: لا بأس عندي في مطالعة ما ذكرت ولا بأس في سعة الاطلاع ولكن البأس بذلك لدى الناس الذين لا يفهمون شيئاً، إن الإنسان الذي يريد أن يجلب بضاعة إلى بلد ما يتخذ أوسع البضائع سوقاً وأكثرها ربحاً، فهل فعلته؟

هلا نظرت إلى العلوم التي يرغبها الناس في تقديرهم للشخص، وينزلون الإنسان في المنزلة الرفيعة بقدر تحصيله منها.

فأتأسف كثيراً، وأقول له: إنني حينما رغبت في العلوم العصرية أو على الأصح رمتني نفسي في هوتها السحيقة كما يحب الناس أن أقول: لم يكن لي بذلك خيار، إنها نفسي التي تحب الجديد وتحب الغريب، وتحب التجوال في العوالم الواسعة، إنها لم ترض أن تكون مسيَّرة وفق أهواء العوام مهما كانت مواقفهم معقولة أو مفيدة.

ثم انصرف في كل مرة مثل هذه المرة من شيخي وأنا أناجي نفسي بتحسر قائلاً:

لِمَ يقدر الناس على ما يقول الشيخ أفراداً أنا اعرفهم معرفة صادقة وأعرف أنهم لا يعرفون في العلوم الدينية أكثر مما أعرف، وليس لي ذنب إلا أنني أعرف زيادة عليهم بعض العلوم العصرية؟

أهكذا يجازى الطموح ورحابة الأفق وسعة التفكير؟ أهكذا يشجع العلم والراغبون في العلم؟

بالأمس كنت (العبودي) المبرز بين طلبة العلم فيما يقولون وإلا فأنا لا أقول ذلك، وذلك حينما كنت جامداً لا أعرف من الدنيا غير موضع قدمي ولا من الحياة غير ما تصل إليه عيني، ولا من الناس غير أهلي، حينما كنت كّلاً على المجتمع لا أكاد أجد إلاَّ ما يستر عورتي من الثياب وما يسد بطني من الجوع، أما اليوم فأنا قد خضت في اللجة أتخبط بدون جدوى كما يقولون، ولعلي- كما يقولون أيضاً- أصل إلى الشاطئ ولو بعد حين فما ذلك على الله بعزيز.

وها أنا إذاً أشرع في الاقتراب من الشاطئ إذا ما راجعت درساً من دروسي فإلى الشاطئ غداً في درس الفرائض.

إلى الشاطئ!!

يوم الخميس ١١/٣/١٣٧٠هـ- ٢١/١٢/١٩٥٠م:

أعلمه الرماية:

أعلمه الرماية كل يوم فلما استد ساعده رماني

كنت إبان أن كنت قيماً لمكتبة جامع بريدة أي أميناً لكتبها أسعى بكل ما أوتيت من قوة إلى زيادة كتب المكتبة والدعاية لها حتى تجاوزت- فيما يقول بعض أصحابي- حد المعقول، لقد كنت آتي الشيخ الذي أظن أن لديه كتباً كثيرة أسأله حق المكتبة فيها فيستجيب أحياناً ويردني أحياناً أخرى، ولطالما قال بعض الأصحاب الذين كنت أفعل معهم بعضاً من ذلك: هون عليك من سعيك ولا تحرص كل هذا الحرص فما أنت إلا موظف قد تفارق هذه المكتبة فيأتي يوم يحال فيه بينك وبين ما جمعت بعرق الجبين في هذه المكتبة، فأقول لهم إنكم على حق لو أنني أنظر إلى المكتبة من جانبها الفردي أو بعبارة أخرى لو أنني أنظر إليها بأنانية، ولكنني أجمع الكتب للمكتبة، وأجتهد في ذلك وأتحمل في سبيل ذلك ما يقولون وما لا يعلمون من المشاق والمتاعب، أفعل كل ذلك سعياً لإيجاد نواة لمكتبة عامة في بريدة ولو اطمأننت إلى وجودها لهان علي الأمر من بعض النواحي.

إنني الآن أفرح بالكتاب مما أسعى لتحصيله ليكون لبنة في بناء المكتبة المرجوة التي لا أزال أرى أن ما تحويه الآن من الكتب قليل أكثر مما أفرح به وأسعى لتحصيله لتحقق الفائدة المرجوة منه بالذات وليس ذلك للاستهانة

بالفائدة أو لتحصيل المظهر فقط، ولكن ذلك كما قلت ولكونه دعماً لأساس المكتبة وتقوية لكيانها وفي بداية عهدها تحتاج إلى قوة التكوين.

أقول كنت آنذاك أختار بين بعض أصحابي وأدلل على صدق نيتي- وأنه لواضح لا يحتاج إلى دليل- بأني أطبق المعاملة نفسها مع نفسي فلطالما أخذت بعض الكتب من مكتبتي الخاصة لأضعه في هذه المكتبة لاستخرج بذلك كتاباً من غيري أو لأسد به فراغاً لا يسد إلا بحصول المكتبة عليه، كنت أفعل ذلك وأضرب بتجني أصحابي عليَّ عرض الحائط.

ومضت الأيام مسرعة وإذا بي لا أتمكن من الجمع بين وظيفتين متفقتين في الوقت، وظيفة مدير مدرسة بريدة الثانية ووظيفة قيم مكتبة جامع بريدة بعد أن اتسعت أعمال هذه الأخيرة وتضخمت ولابد لي من التضحية بإحداهما، وكان راتب وظيفة مدير المدرسة يساوي راتب وظيفة مدير المكتبة- ثمانية أضعاف، فقد كان راتب المدرسة أربعمائة ريال سعودي في الشهر، وراتب المكتبة خمسين ريالاً شهرياً، وشرف وظيفة المكتبة لا يعادل في نظري فرق الراتب الضخم بين راتبها وراتب المدرسة مع ضرورتي لهذا الفرق.

وذهبت إلى شيخنا الشيخ عبدالله بن حميد قاضي بريدة الذي ربطت به مكتبتها والذي كان تعييني من قبله أطلب منه إقالتي من وظيفة المكتبة فأبى عليّ ذلك، وقال لي يجب أن تنيب أحداً غيرك في الوقت الذي تكون مشغولاً فيه بأعمال المدرسة وبحثت فلم أجد إلا براتب يقرب من الراتب الأصلي للمكتبة

وتبقى المسؤولية عن الكتب كمية وكيفية وعن المكتبة رقياً وانحطاطاً ملقاة على عاتقي فرجعت إلى الشيخ وبعد لأي قبل استقالتي منها في ربيع الثاني عام ١٣٦٨هـ أي منذ سنتين وليس يعنيني هذا ، وإنما يعنيني حادث اليوم الذي أثار هذا الحديث ذلك لأنني ذهبت اليوم إلى المكتبة لأطالع بحثاً في أحد الكتب فحان الوقت المقرر لإغلاقها، أو لم يحن ولكن قيمها أراد ذلك فقال لي أحب أن أغلق المكتبة، فقلت له إنني للآن لم أستكمل البحث الذي جئت من أجله فقال وإنْ.

وهكذا فقد تبادر إلى ذهني سريعاً قول بعض الأصحاب ربما يأتي يوم تطلب فيه الحصول على أحد الكتب التي حصلت عليها بعرق الجبين فلا تتمكن منه.

هذا وسوف أذهب إلى فضيلة الشيخ القاضي فأطلب منه بصفة غير رسمية أن يأذن لي بأخذ مفتاح للمكتبة مفتاح رسمي فوق العادة وكلي أمل أن يظفر طلبي منه بالقبول فلننتظر إلى ذلك الوقت لننظر ماذا يكون جوابه على هذا الطلب (الوجيه).

يوم الجمعة ٢٠/٧/١٣٧٠هـ:

اجتمعت أنا والشيخ علي بن سليمان الضالع مدير مدرسة الشقة، وبحثنا بخصوص انحطاط مستوانا الاجتماعي حينما التحقنا بوظائف إدارة المعارف لدى العوام، ولوم فضيلة شيخنا عبدالله بن حميد لنا وتقريعه إيانا بأننا آثرنا الدنيا على طلب العلم الذي لازمناه سابقاً واشتهرنا به، وأكرمتنا العامة من أجله وبأننا قد عوقبنا الآن يقول الشيخ الضالع ذلك بمناسبة مجيئ المفتش المصري المنتدب الذي قد لاحظ على صديقي مدير مدرسة الشقة ملاحظات مهمة في إدارته وأوعده بأنه سوف يرفعها إلى مديرية المعارف العامة ويرافقه معتمد المعارف بالقصيم، يقول صاحبي: إننا أرقى منه حالة اجتماعية وأجل منه قدراً فيجب أن لا يفتش علينا، يقول الشيخ إنكم لو استقلتم الآن لكان من المحتمل ١٠٠٪ أن تتوظفوا في وظائف قضائية.

يوم السبت ٢١ رجب عام ١٣٧٠هـ- ٢٨ أبريل عام ١٩٥١م:

في مهب العواصف:

أما الواقف في مهب هذه العواصف فهو أنا وأما هذه العواصف فأرهف سمعك إذا شئت أن أعرضها عليك أو سد أذنيك بأصبعيك وهي لابد نافذة إلى دماغك رغم ذلك، ولأدع لك مع ذلك بالإعانة على سماعها:

اليوم يعرض عليَّ فضيلة شيخنا عبدالله بن حميد قاضي بريدة ومنطقة القصيم رأياً حديثاً براقاً يستهويني بريقه ويعجبني لمعانه، ولكنني حينما أفكر في ما قد يؤول إليه وما يأتي به غده أقف حائراً لا أستطيع أن أتقدم حتى ولا أن أتأخر، يقول الشيخ: إنك منذ أن تركت طلب العلم في المسجد الجامع والتحقت بوظيفة المعارف ورصيدك من حسن السمعة ومن الإجلال والاحترام لدى مواطنيك يقل شيئاً فشيئاً.

وليس ذلك لكون المعارف هي في نفسها لا تستحق إجلالاً واحتراماً، ولا أن تكون تستحق نقداً وتقريعاً.

إننا كنا نؤمل فيك آمالاً كباراً- هكذا يقول- قبل أن تلتحق بتلك الوظيفة، نؤمل فيك أن تسود القوم بالعلم والمعرفة، فإذا بك تسود عشرة مواطنين وحفنة صبيان لا أقل ولا أكثر.

قلت له: أوما علم فضيلتكم أنني لم ألتحق بهذه الوظيفة إلا بعد أن بلغ السيل الزبى ولصق كفي بالتراب.

أو ما علم فضيلتكم لكثرة ما رددت عليه ذلك أنني لو تيسرت لي وظيفة تقربني من طلب العلم وأهله، وفي الوقت ذاته يكون فيها تأمين حاجتي وعائلتي لما ترددت قط في الاستقالة من وظيفة المعارف والالتحاق بتلك الوظيفة التي تعيدني إلى مكاني الطبيعي في رأس حلقة طلبة العلم الديني في الجامع، لا بدافع مما يريده الناس، أو إلى الأمر الذي جعلهم ينحون عليّ باللائمة حينما تركته وإلتحقت بوظائف المعارف وإنما بدافع من نفسي ومن هواي.

قال: بالله فكر أن فلاناً طالب العلم الذي كنت قد تفوقت عليه في العلوم الدينية هو الآن قاضٍ في بلد كذا يأخذ مرتباً ضعف مرتبك، ومركزه الاجتماعي لا يماثله في البلد مركز ولا مركز الأمير (أي الحاكم الإداري للبلد) إنك لو لم تلتحق بالمعارف لم نقدم عليك في تعيينك في هذه الوظيفة القضائية أو غيرها أحداً، وإنك حينذاك القاضي لا مدير المدرسة الابتدائية الذي يتملق المفتشين وينظر إلى ما تفوه به أفواههم.

ثم يمضي الشيخ على عادته معي في إلقاء مثل هذا الكلام وفي التعليق عليه بشتى التعاليق، ثم يقول: يظهر لي أنك كلما طال عليك الوقت وطال لبثك في وظيفة المعارف كلما نقص قدرك وضعف مركزك الاجتماعي، وبعدت عن وظيفة القاضي، فأقول له ما قلت له سابقاً من أن الضرورة وحدها المسؤولة عن جميع ما حدث.

ثم يقول: إن الأمر ما زال فيه بقية من أمل وثمالة من رجاء، قلت له: وما هو هذا الأمل؟

قال: أن نتسبب لدى جلالة الملك المعظم في أن يستمر لك راتبك في المعارف وتتفرغ لطلب العلم في الجامع، أي أن يكون راتبك الذي تزعم أنه هو وحده السبب في استمرارك في وظيفة إدارة المعارف جارياً لك بلغة لك ولعائلتك كما تقول، وتعود إلى طلب العلم في الجامع، تعود لا كما كنت سابقاً أي بدون راتب بل براتب، وراتب ضخم هو راتب مدير مدرسة كما أنت الآن وهو راتب ضخم بالنسبة لرواتب وظيفة المعارف.

قلت: إن هذا لجميل، إنني أحب أن أطلب العلم، وأحب العلوم الدينية ولا أكره لنفسي المستقبل المرموق، مستقبل الوظيفة، وإنني كذلك ككل إنسان يحب لنفسه أن تكون سمعته حسنة، وجاهه عريضاً لاسيما إذا كان مثل (عزيز قوم ذل).

ثم أحدث نفسي فأقول: إن هذا عرض سخي، إن هذه ميزة لم تكن لغيري فيما أعلم لا مفتشين ولا تقارير ولا منافسة ولا منازعة ولا قيود ولا حدود ولا صدور ولا ورود، إنني الآن أدرس على الشيخ في الجامع آناء الليل وأطراف النهار- كما ورد في القرآن الكريم- وما عليّ لكي أنال هذه المزية إلا أن أزيد هذه الدروس دروساً أخرى في وقتي الظهر والضحى.

وجعلت هذه العواصف الفكرية تغزو رأسي هوجاء عنيفة بغير رفق ولا هوادة.

هذه عاصفة بل عاصفات ثم جعلت أحدث نفسي فأقول: هذه هي حسنات هذا العرض الجديد أو بعبارة أدق هذه مغرياته، فما هي الأشواك التي تحف بوروده، وما هو الصاب الذي يرسب دون عسله؟ نعم، إن لوروده لشوكاً وإن لعسله لصاباً.

من غير المعقول أن تستمر الحكومة التي هي هنا جلالة الملك في صرف هذا الراتب لي إلى نهاية عمري، أو إلى نهاية رغبتي في طلب العلم؟، ولأضرب صفحاً عن جواب هذا السؤال إلى ما بعد أسطر فأتساءل لأي شيء تعمل الحكومة كما يعبر فضيلة الشيخ أو جلالة الملك كما أحب أن أعبر، وكما هو الواقع كل هذا من أجلي أو من أجل شخصين أو ثلاثة في بريدة، إذا ما توسط لهم فضيلة الشيخ؟

ولماذا يتوسط الشيخ؟ ولأي شيء حرص جلالة الملك على مثل ذلك؟

الجواب أن الحكومة تفعل ذلك، ولكن بدافع من حاجتها المتزايدة إلى قضاة شرعيين تخفف بهم من أزمة القضاة التي تعانيها وتسد بهم فراغاً كبيراً في مناصب القضاة التي عجزت مدرسة دار التوحيد التي أسست لنفس هذا الغرض عن أن تقوم بتخفيف هذه الأزمة لأن طلبتها الذين نجحوا منها وهم لا يكادون يجاوزون العشرين

ليسوا كلهم بصالحين لمناصب القضاء، لأن بعضهم صغار السن وتكاد تجتاحهم العلوم العصرية.

ولأن هذه المدرسة أيضاً هي مدرسة ثانوية لا عالية لذلك أسست كلية الشريعة بمكة المكرمة والتحق بها أولئك الطلاب، ومع ذلك فالمؤمل أن ينجح فيها بعد ثلاث سنوات عدد قليل لا يبلغ العشرة يخرجون منها بعد أن درسوا في دار التوحيد وكلية الشريعة وأكثرهم في أقسامها الداخلية، وبعد أن ذاقوا فيها من ألوان الترف وفنون النعيم ما يجعلهم غير قادرين في الغالب على تحمل مراكز القضاء في البوادي وفي القرى النائية عن المدن أو العمران، ويجعلهم لا يستطيعون تحمل شظف العيش أو العيش على هامش الحياة وبالتالي لا يفيدون شيئاً في تخفيف أزمة القضاة التي تعانيها الحكومة والتي لا يقدر على تخفيفها إلاَّ المشايخ الذي يصنعون القضاة في المساجد ويخرجونهم بدون أن يذوقوا من ماء النعيم قطرة، بل هم في الغالب أقل مستوى في المعيشة من غيرهم لأنهم تغلب عليهم عيشة الزهد والقنوع والعزوف عن مخالطة الناس، وبالتالي لا يألفون المدن والمجتمعات والنوادي، فهم لذلك مستعدون للعيش في القرى النائية وفي أجواء البادية وفي أي موضع بنفس طيبة وصدر فسيح، لأنهم يعتقدون أن هذه هي مهمتهم التي خلقوا لها، وهذا هو مقامهم الذي ينبغي أن يمثلوه، لأنهم يعتقدون أنهم بصفتهم طلبة العلم وبصفتهم العارفين بين الجاهلين يجب عليهم أن يقوموا بالدعوة إلى الله تعالى وإرشاد الناس إلى ما خلقوا له من عبادة الله

وحده لا شريك له، ومن عدم الاغترار بالدنيا، ومن الدعوة إلى الرغبة في الآخرة وعن الدنيا وأن العيش بين جهال يعلمهم العالم أفضل بكثير من العيش في وسط تهفو إليه نفسه ويأنس إليه خاطره، ولكنه لا يقوم فيه بأداء رسالته التي خلق من أجلها والتي وجبت عليه حينما كان أهلاً لطلب العلم وحينما حباه الله تعالى مزاياه وفضائله) (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ)إلى قوله تعالى(لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ).

إن هذه المزية العقدية لا توجد في غير طلبة العلم المتخرجين من المساجد، طلبة العلم الذين لا يعرفون غير العلوم الدينية حتى ولا العلوم العربية فيما عدا ما يضطرون إليه مثل مبادئ النحو واقتناء (مختار الصحاح) أو (القاموس المحيط).

ولكن كيف تنتخب الحكومة من هؤلاء الطلبة من تريد من قضاة؟ وكيف تعرفهم وهي لم تر منهم أحداً ولا يحبون هم أن ترى منهم أحداً غير من بلاه القضاء والقدر بالاحتياج إلى درهم الحكومة؟ كما يعلنون هم سواء أكانوا صادقين أو مصانعين.

إنها لا تعرفهم ولا تتصل بهم، ولكن الملك أو ولي العهد حينما تشغر وظيفة قاضٍ أو تحدث وظيفة قاضٍ يبادر فيكتب إلى الشيخ الكبير يخبره بحاجته إلى قاضٍ جديد ويطلب منه أن يشير بأحد الموجودين لديه من طلبة العلم لكي

يكتب- الملك أو ولي العهد- إلى أمير البلد بإلزام هذا الطالب بالقضاءِ حتى ولو كان لا يرغب الجهة التي يريد الملك بناء على نصيحة الشيخ أن يرسله إليها، وحتى ولو كان يفضل جهة على جهة، فأمره الآن ليس بيده، وإنما بيد الملك والشيخ، وغالباً فإن الوسائط وبرقيات الاسترحام والاستعطاف لا تجدي شيئاً في هذا الأمر.

وإذا ما اعتذر هذا الشيخ الذي وقع عليه اختيار جلالة الملك في أن يختار من بين طلبته ومريدي علمه من يصلحون لوظيفة القاضي التي تستدعي من يملأها، فإن هذا الشيخ سوف ينتقد من لدى الملك أو ولي العهد وسوف يرمى بعقمه وبقلة إنتاجه، وبالتالي بتقصيره في تبليغ علمه إلى من يخلفه في مقامه أو مقام غيره، لذلك فسائر المشايخ والقضاة المدرسين يتحاشون مثل هذه المآزق، ويتقون مثل هذه الوصمة باقتناص الطلبة بشتى الوسائل، ثم بايقاعهم في الفخ حتى ولو كان هذا الطالب ثرياً وكان أهله أثرياء لا يرغبون في الوظيفة، ولا يريدون أن يفارقهم ابنهم، ولا الابن أن يفارق أهله، وليس شيخنا ابن حميد من أولئك، فهو معروف عند الحكومة والشعب بعلمه ومكانته وكثرة من تخرج عليه من طلبة العلم.

ولكن أكثر هؤلاء الطلبة أو بعضهم يكون ذلك التوظف وذلك التعيين من حظهم ونصيبهم، فإن بعضهم لا يلبث بعد أن يعين في وظيفة قاضٍ صغير أن يرقى إلى وظيفة قاضٍ أكبر ثم قاضٍ كبير، وهكذا حتى إن غالبية طلبة العلم

كذلك لا يكرهون التوظف لذاته، وإنما يكرهون بعض البلدان التي لا يرجع إليهم في اختيارهم لها أو في اختيارها لهم.

يوم الاثنين ٢صفر ١٣٧٠هـ:

نسمة من سحر الماضي:

بعد عصر اليوم زرت مكتبة جامع بريدة بعد غياب طويل عن هذه المكتبة، لأن مواعيدها تخالف أوقات فراغي، زرتها بغية مطالعة كتاب واحد هو (كتاب الأدب الكبير لابن المقفع) الذي لم يكن موجوداً لدي، فدخلتها ولم أشأ أن أكدر صفو قيمها بأن أجعله يذهب ويجئ به لي هو بنفسه، بل ذهبت أبحث عنه، ولكنني حينما بدأت بالبحث عنه نسيته، بل ونسيت نفسي الحالية ورجع بي الزمان على أجنحة الذكرى إلى ما قبل ثلاث سنوات مضت إلى عالم يختلف عن عالمي الحاضر تمام الاختلاف، إلى عالم مملؤ بالأنس والأفراح، إلى عالم محدود الحدود في الظاهر متشعب النواحي مترامي الأطراف واسع النطاق في عالم الباطن أو عالم الحقيقة.

نعم أقول إلى عالمي القديم أو عالمي الفردوسي أيام كنت قيم هذه المكتبة أو مديرها كما يقولون، أيام كنت لا أعرف من الدنيا غير المكتبة، ولا أملك من الدنيا غير فكر أسيمه في رياضها وناظر أجيله بين رفوفها، أيام كنت خالصاً لها مخلصاً، وكانت هي خالصة لي مخلصة، لا مال لي في تلك الأيام ولا عيال، ولا خيل ولا جمال ولا مسئولية ولا أعمال.

نعم، كانت المكتبة كل دنياي ، كنت أقضي كل أوقاتي ولا أقول أوقات فراغي، فكل أوقاتي أوقات فراغ لها ولها وحدها، كنت ألج بابها كل يوم مع طلوع الشمس أو بعد طلوعها بقليل لأخذ كتابي الذي أقرا فيه على الشيخ في درسه بالجامع ثم

لا أفتأ أتردد عليها بعد الفينة والفينة لأحقق مسألة عرضت في إحدى كتب الطلبة أمرني الشيخ باستخراجها من مراجعها أو لأفتش عن بحث عرض طرفه في كتاب طالب آخر.

ثم ينقضي درس الشيخ في الجامع بعد ثلاث ساعات من طلوع الشمس في الغالب وبانقضائه بدء الجلوس في المكتبة فأجلس فيها ويأتي الطلبة على اختلافهم هذا يطلب كتاباً، وهذا يطلب تحقيق مسألة، وهذا أمسك طرف بحث ويأمل أن أمسك معه طرفه الآخر، وهذا طالب مسكين لا يستطيع أن يطالع درسه لأنه مكفوف البصر ويسترحمني أن أقرأه عليه، وهكذا حتى ما قبل الظهر بقليل لا يزيد على ساعة أو حواليها فأذهب إلى البيت مسرعاً، اذهب بجسدي لأودي مطالب جسدي، وروحي في فردوس روحيّ في المكتبة فآكل ما تيسر لا أبالي ما حصل لي منه وأعود إلى المسجد الجامع أسابق الآذان لأفتح المكتبة قبله وقد أسبقه وقد يسبقني، ولكنني لا أجلس بعد فراغ صلاة الظهر أبداً، بل أذهب من فوري إليه أو على الصحيح أرجع إليها لأقضي أكثر وقت ما بين الظهر والعصر فيها.

أما بعد العصر فلم يكن يذهب منه قليل أو أقل من القليل في غيرها، وكيف لا وهو وقت يكثر فيه زوار المكتبة حتى – علم الله- إنني اضطررت في أحد الأيام إلى زيارة السوق زيارة قصيرة كان شعوري شعور الغريب إذا دخل بلدة طال فراقه عنها، وما هي الغربة غير المفارقة، وهي ما أتمتع بها.

ثم يأتي الليل ومواعيده الطويلة المتواصلة التي يعلم الله أنني أنتظرها بفارغ الصبر ولا أدري كيف أقضي ما بين العشائين وإنما أقول: إنني أدخل المكتبة من بعد صلاة العشاء مباشرة ولا أخرج منها إلاَّ في تمام الساعة العاشرة أو حواليها.

ولمحبتي للكتب ذكر لي أن عند أحد طلبة العلم كتاباً أريد الإطلاع عليه، فطلبت أن يعيرني إياه فامتنع، وقال: أخشى عليه من الضياع.

قلت فليكن نصيبنا من الكتاب في الليل، الليل وحده ولا حاجة إلى وقت آخر فقال قد سمحت لك بذلك، لكن بشرط أن يكون استلامك له بعد صلاة العشاء الآخرة، على أن تقسم لي بأن تعيده قبل طلوع الشمس، وقبلت!!

وكان ليل أشبه بالنهار وعلم الله لقد غربت الشمس وصليت الفجر جماعة، ولم أذق خلالها غمضاً، ووفيت بما أقسمت له عليه.

ومن أجل محبتي للكتب كنت أصادق أناساً لا تجمعني بهم رابطة، وليس لي بهم أية علاقة إلا رابطة وجود الكتب عندهم وكنت أقرأ في الكتب والمجلات بأن في مدن الأمصار الكبرى مكتبات عامة حافلة بالكتب من جميع الفنون، فأتمنى لو قدر لي أن أحظى بإقامة في إحدى تلك المكتبات حتى أبل غليلي وأشفي عليلي من وصال الكتب ولكن ليس بيدي غير التمني.

ولكم سعدت ولكم سررت،بل لكم تذوقت السرور العظيم الصادق في حياتي عندما علمت في سنة ١٣٦٤هـ أن صاحب الفضيلة الشيخ عبدالله بن

حميد قاضي بريدة ورئيس قضاة مقاطعة القصيم قد عزم على تأسيس مكتبة في غرفة من غرف جامع بريدة ولكن يمنعه من ذلك أنه لا يوجد كتب وقفية في بريدة تصلح أن تكون نواة لتلك المكتبة حتى يسر الله تعالى وتبرع الشيخ علي العبدالعزيز العجاجي رئيس هيئة الأمر بالمعروف ببريدة واحد طلبة العلم بها أن يضع مكتبته الخاصة جميعها وقفاً كنواة لمكتبة جامع بريدة المزمع إنشاؤها، وكانت كتبه تقارب المائة والثمانين مجلداً في فنون مختلفة من العلم.

كما قدم آل رواف: محمد وسليمان ابنا الشيخ عبدالله الرواف كتباً كثيرة قيمة.

وفتحت المكتبة فعلاً في سنة ١٣٦٥هـ باسم (مكتبة جامع بريدة) ولم تكن تزيد محتوياتها عن مائتي مجلد في أول الأمر ما لبثت أن أخذت تتزايد من الكتب الموقوفة التي وقف أكثرها على طلبة العلم عامة في بريدة، ولم يمكن القيام بشرط الواقف إلا بوجود هذه المكتبة.

وقد عهد إليَّ شيخي عبدالله بن محمد بن حميد بملاحظتها لاهتمامي بالكتب، وعندما أسسها فضيلة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد أخبر سمو ولي العهد المعظم بذلك وطلب منه أن يأمر لها براتب مالي سنوي لمساعدتها فأمر بإجراء ثلاثة آلاف ريال سنوياً، فأمر فضيلته بأن يرتب من هذه الثلاثة آلاف ريال كما يأتي:

٦٠ ريالاً في الشهر في قهوة وشاي للحضور بعد صلاة العشاء وهم من طلبة العلم.

٤٠ ريالاً لقيم المكتبة أي أمينها راتباً شهرياً.

١٥ ريالاً شهرياً للخادم الفراش فيها.

وباقي النقود يرصد لحاجاتها، وفي مقدمتها شراء الكتب اللازمة أو الأكثر لزوماً لها.

وهذا المبلغ غير مبلغ آلاف الريالات الثلاثة التي أمر بها جلالة الملك عبدالعزيز معونة لطلاب العلم في بريدة، تصرف لهم شهرياً، وتقدم ذكر ذلك.

وكانت خطوة جريئة مباركة لم يحدث لها مثيل في بريدة من قبل، وأصبحت المكتبة عند ذلك الملجأ الوحيد لي في هذه الدنيا لأنني صرت أجد فيها كتباً من سائر العلوم، وإن لم تكن كتباً مرتبة منتقاة حسب ما يضطر إليه المطالع من المهم فالأهم، ومضت سنة ١٣٦٥هـ وأنا من أكثر المترددين على تلك المكتبة إن لم أكن أكثرهم، وكان معي مفتاح لها، وهي تزيد في كل شهر محتويات وتتوافد عليَّ الكتب من كل طريق.

وفي سنة ١٣٦٦هـ وفي يوم ٢٨ من شوال أرسل إليَّ فضيلة الشيخ عبدالله بن حميد بمفاتيح المكتبة وبتعييني أميناً لها براتب قدره ٤٠ ريالاً، وبراتب آخر قدره إثنا عشر ريالاً بصفتي من طلبة العلم، وبذلك بعد أن حصلت على مبلغ

اثنين وخمسين ريالاً في الشهر أصبحت لا أغادر مبنى المكتبة إلاَّ نادراً، حتى في الليل لا أخرج منها إلاَّ إذا أوشك أن يذهب نصفه الأول، وأصبح حبها يجري في دمي، بل أصبحت أحس بأنني قطعة منها وأنها قطعة مني، ولذلك فقد جن جنوني وأقول هذه الكلمة بدون حرج لأنني أتجاوز المعقول في طلب الكتب للمكتبة ولذلك فقد جن جنوني في طلب الكتب لها والسعي في تحصيلها حتى صرت أسعى إلى كل شخص أظن فيه إحساناً أو أتوسم فيه خيراً أشعره بوجود المكتبة وحاجتها إلى مساعدته لها بالكتب أو بالنقود التي يشترى بها كتباً إذا لم يكن عنده كتب، حتى كان بعض رفاقي وأصدقائي يلومونني في إسرافي في السعي وراء تحصيل الكتب لها، وكنت كذلك آتي فضيلة الشيخ كثيراً وأذكر له حاجة المكتبة إلى الكتاب الفلاني، وأنه ضروري وأن تحصيله لا يكلف كثيراً، فكان ينزل على رغبتي حيناً ويخالفني حيناً آخر مظهراً موافقته لضرورته للمكتبة ولحاجتها له، ولكنه يعتذر بعدم تيسر ثمنه.

وفي سنة ١٣٦٨هـ وبعد أن توظفت مديراً للمدرسة الجديدة في بريدة وأصبحت لا أستطيع أن أجمع بين القيام بوظيفة المدرسة مع وظيفة المكتبة لأنهما تتفقان في الوقت، ولم أستطع أن أجد أميناً نائباً عني ولو في الراتب بأكمله ذهبت إلى فضيلة الشيخ وأخبرته بذلك وطلبت منه أن يقيلني من تلك الوظيفة فمانع ثم نزل على رغبتي بعد مدة قصيرة، وكان عدد محتويات المكتبة من الكتب يكاد يبلغ ألفاً وخمسمائة مجلداً بعد أن كان حين دخولي فيها أميناً لها لا يزيد على ثلثمائة مجلد.

وما زالت المكتبة حتى بعد أن استقلت منها محل ملاحظتي، فكنت اقترح على فضيلة الشيخ الاقتراحات الكثيرة في كل مناسبة، والتي أرى في نفسي أنها تستفيد منها المكتبة.

وفي سنة ١٣٧٠هـ وبعد أن هدمت بنايتها الأولى لأنها أصبحت تضيق بمحتوياتها وزيد في مساحتها أكثر من مساحتها الأولى، وبعد أن اجتمع لدى الشيخ نقود كثيرة كلفني بأن أشتري بهذه النقود كتباً للمكتبة من مكة المكرمة.

واليوم ذهبت إلى فضيلة شيخنا عبدالله بن حميد بعد أن فرغت جلسته بعد الفجر التي يجلسها لطلبة العلم في الجامع ويدرس فيها في فنين، هما فن التوحيد وفن النحو، وعرضت عليه مشروعاً رأيت في نفسي أنه كفيل بأن يجعل المكتبة لا تشكو بعده أي نقص في كتاب من المراجع الكبار، لاسيما وقد أصبحت الآن تضم بين جدرانها أزيد من الألفين من المجلدات، فقلت له: إن من رأيي أن نكتب كتاباً باسم طلبة العلم إليكم على أن ترفقوه بكتاب منكم إلى سمو ولي العهد ونطلب في كتابنا أن تتوسطوا لدى سموه بأن يأمر بمبلغ مالي كبير لشراء ما ينقص المكتبة من الكتب.

فحبذ فضيلته هذه الفكرة وقال: إذاً فلتكتب أنت هذا الكتاب وتوقعه بالنيابة عن طلبة العلم في بريدة، فقلت سمعاً وطاعة.

وعندما اجتمعت بفضيلته بعد المغرب اليوم أخرجت الكتاب وقرأته عليه وهذه صورته:

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضيلة شيخنا المكرم عبدالله بن محمد بن حميد حفظه الله وسدد خطاه.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

وبعد: نظراً لأنكم فضيلتكم قد قمتم بإنشاء مكتبة عامة في جامع بريدة منذ ست سنوات، وقد أثمر ذلك المسعى العظيم وأصبحت المكتبة الآن بما تحتويه من الكتب المفيدة الكثيرة في شتى أنواع العلوم ملاذاً لطلبة العلم ومرجعاً لمريد البحث والاستفادة، الأمر الذي لا ينساه طلبة العلم والمواطنون في مدينة بريدة لفضيلتكم عندما يذكرون أعمالكم الجليلة ومساعيكم المشكورة، إلا أنه يا صاحب الفضيلة لا يزال ينقص تلك المكتبة بعض الكتب المطولة والمجاميع الكبيرة التي لا يستطيع طالب العلم أن يحصل عليها من ماله الخاص لغلاء قيمتها وارتفاع ثمنها، لذا فإننا نتقدم لفضيلتكم ملتمسين أن ترفعوا لمقام حضرة صاحب السمو الملكي ولي العهد المعظم وسموه الذي عرف عنه تشجيع العلم والعلماء وإنشاء المعاهد والمكتبات أن تتوسطوا لدى سموه بإصدار أمره الكريم على من يلزم بتأمين المال اللازم لتكميل الكتب التي تنقص المكتبة والتي نعتقد أن ثمنها لا يزيد على خمسة آلاف ريال لكي تصبح المكتبة حاوية لأكثر الكتب المفيدة مزودة بجميع ما يحتاج إليه المراجع.

والله سبحانه وتعالى يرعاكم..

طلبة العلم ببريدة

عنهم/ محمد العبودي

هذه هي صورة الكتاب المقترح وقد تعمدت أن يكون أسلوبه شبيهاً بأسلوب طلبة العلم المتعلقين بالأسلوب القديم.

وعندما قرأه فضيلته أو على الأصح قرأته أنا على فضيلته أظهر استحسانه للكتاب وللفكرة، وقال إذاً سنكتب معه غداً - إن شاء الله- كتاباً إلى الأمير سعود ولي العهد وسنرفقه بهذا الكتاب وبعد هنيهة ظل فضيلته خلالها ساهماً كأنما يفكر بشيء التفت إلي وقال:

أذكر أنني توسطت أمس لفلان لأن قليبه انهدمت بأن يساعده ولي العهد بأمره على مالية بريدة بما يراه، وتوسطت كذلك لفلان الذي طلب منا هو وجماعته أن يبني لهم مسجد، فتوسطت لدى ولي العهد أن يأمر بصرف إعانة لبناء هذا المسجد، وقبل يومين توسطت لفلان وأخشى أن تكثر عليه الوساطات، إذا ما جاءت دفعة واحدة، ومن رأيي أن تتريث وتؤجل إرسال هذا الكتاب مدة شهر واحد تعرضه بعد مضيه علينا، وسوف نعمل ما في وسعنا إن شاء الله.

فقلت له: الأمر أمر فضيلتكم والمكتبة ومحتوياتها حسنة من حسناتكم.

رحلة الرحلات مع الشيخ عبدالله بن حميد:

رحلت مع شيخنا الشيخ عبدالله بن حميد أكثر من مرة، وكان في كل المرات يطلب مني أن أرافقه في الرحلة التي تكون من بريدة إلى مدينة أخرى، ولكن أهم رحلة كانت أسميتها أنا (رحلة الرحلات) إذ كانت إلى عدة مدن بعيدة آنذاك عن بريدة وهي مكة وجدة والطائف والمدينة المنورة.

وكان وقتها طويلاً استغرق بالنسبة إليَّ نحواً من تسعة أشهر، وكانت رحلة حافلة بالغرائب بالنسبة إليَّ أنا الشاب- آنذاك- الذي يتطلع إلى معرفة كل ما يحيط به فضلاً عما يواجهه من أمور أو يتفرس في قسمات وجوه أناس كانوا يعتبرون من الأجانب عنه، وهي إلى ذلك رحلة عمل.

وشيء مهم آخر وهي أنها أتاحت لي رؤية أكبر الأشخاص في بلادنا ابتداء من الملك البطل عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود مؤسس المملكة العربية السعودية إلى رؤية أبنائه وبعض أحفاده، كما أتاحت لي الجلوس بل تكرار الجلوس مع كافة من علماء المملكة المعروفين آنذاك، ابتداء من الشيخ عبدالله بن حسن رئيس القضاء ومقره مكة المكرمة وصلاحياته في المنطقة الغربية والجنوبية من المملكة، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ كبير آل الشيخ وأعلم علمائهم في ذلك الوقت، إلى عشرات من العلماء والقضاة والمدرسين في المساجد وغيرهم.

وهي أطول رحلة رحلتها في حياتي حتى الآن إذ استمرت من النصف الأول من صفر إلى شوال عام ١٣٧٢هـ.

ومن تيسير الله تعالى لي أن قيدت فيها أو في بعض أيامها مذكرات يومية لم أكن ألقي لها بالاً عندما كتبتها ولا عندما فرغت من كتابتها، ولكنني الآن أجدها مهمة عندي، لأنها مضت عليها نحو من ستين سنة وأصبحت الأحداث التي حدثت فيها جزأ من التاريخ.

وأصبح الأشخاص المذكورون فيها شخصيات تاريخية يتلمس الناس أخبارها تلمساً ويبحثون عنها حتى في الروايات الشفهية التي قلت وتلاشت من ذاكرة أهل البلاد لأن الذين عاصروها ذابوا في خضم الأيام وأكلت الأرض عظامهم، كما أكل النسيان أخبارهم وربما آثارهم أيضاً.

سبب الرحلة:

رفع أعيان من أهل الحجاز: مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والطائف إلى الملك عبدالعزيز آل سعود برقية مضمونها أن بعض القضايا في محاكم الحجاز يتأخر البت فيها إلى ما قد يصل إلى سنين طويلة، والقضية التي امتدت المحكمة فيها عشر سنين تنتهي مثلها أو تنتهي هي لو كانت بعينها في الرياض في أسبوع أو نحوه مع أن بلادنا مملكة واحدة.

وذكروا أن الناس صاروا يعانون من ذلك، وبعضهم يترك مواصلة التقاضي لما يجره ذلك عليه من تعب وضياع وقت.

فرأى الملك عبدالعزيز آل سعود أن يرسل إلى الحجاز أحد قضاة نجد المعروفين بالعلم والحصافة وحسن السياسة إلى الحجاز لإنهاء القضايا المتخلفة فيها المشار إليها وأمثالها.

كان ذلك في عام ١٣٧١هـ فأبرق الملك لشيخنا الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد بأن يذهب إلى هناك لهذا الغرض وأن يأخذ معه هيئة مكونة من ثلاثة أشخاص تساعده في ذلك.

وقد اختارني شيخنا ضمن تلك الهيئة الثلاثية التي تألفت على النحو التالي:

الشيخ القاضي عبدالله بن سليمان بن حميد رئيس محاكم جيزان سابقاً.

علي بن عبدالعزيز العجاجي من كبار طلبة العلم في بريدة، وكان الشيخ عبدالله يأخذه معه إذا سافر.

محمد بن ناصر العبودي كاتب هذه السطور ومن المعروفين عند الشيخ بسرعة القراءة وعدم اللحن أو التلاكؤ فيها.

وقد تبسطت في الحديث عن عملي في الحجاز لأنه في الواقع كان عملاً منتظماً استغرق وقتاً طويلاً براتب منتظم، ولم يكن مجرد مهمة عاجلة أو حتى غير عاجلة ولكنها انقضت في عدة أيام.

ومع ذلك لم أذكر من التفاصيل كل ما واجهتها في ذلك العمل، وقد كنت كتبت مذكرات عن السفر من بريدة إلى الرياض في طريقنا إلى الحجاز لأداء هذه المهمة وأودعتها كتاب: (رحلات في البيت الذي يتعلق بالرحلات داخل المملكة العربية السعودية).

وقد حملني على تخصيص كتاب عن الرحلات داخل المملكة في تلك الفترة القديمة كوني قيدت مذكرات يومية عنها في حينها، وكوني زرت بعد ذلك جميع أنحاء العالم بدون استثناء وكتبت عن ذلك كتباً كثيرة لا يكاد يصدق بعددها إلاَّ من رآها وهو ١٧١ كتاباً بعضها كبير والقليل منها صغير، وقد طبع منها حتى كتابة هذه السطور ١١٢ كتاباً مما جعلني أكثر من كتب في الرحلات باللغة العربية منذ أن بدأت الكتابة بالعربية حتى الآن.

وقال لي بعض المطلعين على ثقافات الأمم الأخرى: إنك أكثر من كتب في

الرحلات في جميع لغات العالم ولكنني لا أزعم لنفسي ذلك لأنني لم أعرفه.

ومع ذلك رأيت أن أنقل هنا نص مذكراتي عن العمل في الحجاز لأنها كتبت في ذلك التاريخ القديم فكان لتاريخها عندي أهمية وكان لأسلوبها أيضاً شيء من التميز، ليس ذلك بحسن أو لغير ذلك، وإنما يدل على تلك المرحلة من عمر الكاتب وكتابته، وقد يكون في بعضها تكرار لما سبق وهذا طبيعي، غير أنها تتعلق بسفري وعملي صحبة شيخنا ابن حميد، فهي إذاً تكاد تعتبر جزءاً من ترجمته.

يوم الأربعاء ١١ محرم عام ١٣٧٢هـ:

العودة إلى بريدة من الرياض:

استيقظنا مع طلوع الفجر ونحن في طريقنا من الرياض إلى بريدة فصلينا الفجر ثم تحلقنا حول النار، فقد كان الجو بارداً في الصباح، ثم شربنا القهوة والشاي وبعد طلعة الشمس ومضى ما يقرب من نصف ساعة أو نحوها على طلوعها تحركنا من مكاننا فوصلنا (بريدة).

وذهبت إلى بيتنا وكان مغلقاً لا سكان فيه وقد كنت أملت أن أجد فيه زوجتي لأنني قد أبرقت لخالي عبدالله بن موسى العضيب برقية بتوجهي ولكنني وجدت البيت مغلقاً فوضعت أمتعتي عند عتبته وأرسلت بنية صغيرة لجيراننا إلى بيت خالي حيث زوجتي ومفتاح البيت لإشعارهم بحضوري.

وبعد قليل حضر خالي معه المفتاح، وفتحنا البيت ثم حضرت زوجتي واسترحت قليلاً وحضر بعض الأقارب للسلام.

وكان يشغل بالي مسئلة سفر الشيخ عبدالله بن حميد إلى الحجاز فسألت خالي عن ذلك، فقال إنه يشاع أنه سيسافر آخر هذا اليوم أو غداً.

ثم خرجت من البيت عجلاً قاصداً الشيخ عبدالله بن حميد للسلام عليه، فوجدته مشتغلاً بالقضاء فخرجت من عنده قاصداً المدرسة التي أنا مديرها وهي المدرسة الثانية في بريدة، فسلمت على الموظفين فيها ثم عدت إلى منزل فضيلة الشيخ وقد سلمت في

الطريق على عدد من الأصدقاء، فوجدته لا يزال مشتغلاً بالقضاء بين الخصوم ولا يمكن الوصول إليه.

فلبثت في مكان قريب من مكانه مع أحد المنتظرين حتى فرغ بعد فترة فسلمت عليه وجلست معه زهاء ساعة سألني خلالها عما سمعت حول مسيره في المهمة التي طلب لها، فأخبرته بأنها تتعلق بالمحاكم بالحجاز وأنني قد اطلعت على هذا الأمر في الرياض من مصدر وثيق.

فتعجب وقال إن البرقية التي وردتنا من الملك ليس فيها إلا ما نصه: (توجهوا حالاً لمهمة تستغرق شهرين تعودون بعدها لعملكم وعمدوا من يقوم بعملكم حتى ترجعون).

قال الشيخ: لا ندري ما هذه المهمة، وقد سر من إخباري بها ثم قال: هل لك في أن تصحبنا؟

فقلت على كل حال إن صحبتكم هي غاية ما أتمناه، قال إنني أتحدث لبعض الأصحاب وأقول ربما إنه يبقى في الرياض قبل أن أسمع بمجيئك؟

ثم استمر الحديث بيني وبين فضيلته في شؤون أخرى وخرجت من عنده قبل آذان الظهر بقليل، وأنا أحدث نفسي قائلاً: يا هل ترى هل يقدر لي أن أغادر بريدة بعدما وصلتها بيوم أو يومين؟

وصلت البيت ولم أفض لزوجتي بشيء لكيلا أفجعها بالفراق ساعة التلاق.

وكتمت الخبر كتماناً كلياً.

وجعلت أجد في قضاء حوائجي وعلاقتي بالناس في بريدة وأرتب في ذهني من يقوم بعملي في المدرسة ومن يقوم بالأعمال التي تتعلق بالبيت، كما جعلت أرتب شؤون المدرسة قبل السفر، وقد أعددت كل شيء يمكن أن أعده حتى إنني لم أجلس في هذه اليوم إلاَّ متهيأ لقيام.

وعندما جن الليل جلست إلى جهاز الراديو في البيت بعد غياب دام عشرين يوماً، ومعي زوجتي كالعادة.

يوم الخميس ١٢ محرم عام ١٣٧٢هـ:

إن بريدة الآن تقوم لهذا الأمر وتقعد وتضطرب ألا وهو سفر فضيلة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد قاضي بريدة، بل والد أهالي بريدة وحتى الآن لم يظهر للناس الأشخاص الذين سوف يستصحبهم معه من طلبة العلم.

ويتكهن كثير من الناس عنهم.

وقد لقيني ضحى اليوم صديقي الشيخ حمد بن عبدالمحسن التويجري مدير مالية بريدة وقال لي: هل ستسافر مع الشيخ؟

فقلت: لا أدري وهل ذكر لك ذلك؟

فقال: أنا أسألك، فقلت له: وأنا أيضاً أسألك، فقال: لا أكتمك إنه أسرّ إليّ أنه سيستصحبك أنت وأحد المشايخ القضاة ولكنه لم يخبر أحداً بذلك، فقلت وأنا لن أخبر أحداً بذلك، وأشكرك، فقال: إن الملك طلب منه في البرقية أن يأخذ معه اثنين أو ثلاثة من المشايخ ليساعدوه في مهمته.

ورحت أتأهب للسفر، وبعد صلاة العشاء ذهبت إلى فضيلة الشيخ فجلست عنده فقال لي: هل تأهبت للسفر معنا؟ فقلت نعم.

والمدرسة:

ثم قال فضيلته وأما عملك في المدرسة فإننا نبرق للملك أو ولي العهد بأن يبرق للمعارف بأن لا يخصم من راتبك شيء مدة غيابك معنا لأنك مسافر

معنا في مهمة رسمية!!!

فشكرت لفضيلته تعطفه ذلك وفضله العظيم شكراً حاراً بما وسعني من العبارات.

وخرجت من عنده فرحاً بذلك وقد كنت من قبل أفكر بالمدرسة، وكيف العمل بشأنها بدون ذلك؟ إنها لابد لها من معاملة رسمية قد تستغرق وقتاً أو أعد مخالفاً للنظام، أما الآن فإن كل شيء على ما يرام.

سوف أحصل على رحلة رسمية جميلة بصحبة فضيلة شيخنا الشيخ عبدالله بن حميد تشمل الرياض ومكة وربما غير مكة من مدن الحجاز، بوسائل نقل منها السيارة والطائرة، وسوف أتمكن من التعرف على شخصيات بارزة بواسطة فضيلة الشيخ لأنه رجل صديق لذوي الشخصيات البارزة.

هذا مع تأمين راتب وظيفتي كاملاً، ومع ما يمكن أن أحصل عليه من الرحلة من فائدة مادية علاوة على الفائدة المعنوية.

وعدت إلى البيت فأخبرت زوجتي الخبر وقلت إننا سوف نسافر صباح السبت أي بعد غد وإن عليها أن تهيء لي ما يجب أن تهيأه وأن تتأهب لمغادرة البيت الذي لم تدخله إلاَّ أمس.

كان وقع ذلك عليها فظيعاً ولكنها تجلدت، وسكتت تنصت إليَّ وأنا أعددعليها الفوائد التي سأحصل عليها من هذه الرحلة.

يوم الجمعة ١٣ محرم عام ١٣٧٢هـ:

ذهبت صباح اليوم إلى فضيلة الشيخ فقال: إننا أبرقنا لسمو ولي العهد بشأن صحبتك لنا وأن يأمر على المعارف لإشعارها بأنك مسافر في مهمة رسمية حتى لا يحسم من راتبك شيء، فشكرته ودعوت له.

الاستعداد للسفر ثانية:

ها آنذا أستعد للسفر إلى الرياض ولما يمض على قدومي منها غير يوم وبعض يوم، ولكن الظاهر أن رحلتنا سوف تطول لأن مهمتنا في الحجاز قد ذكر جلالة الملك لفضيلة الشيخ في برقيته أنها ستستغرق شهرين وتتعلق بشؤون المحاكم في الحجاز، وإذا كان الأمر كذلك فمن المؤكد أنها سوف تستغرق أكثر من الشهرين كثيراً، بل ربما امتدت إلى عدة شهور.

حزمت أمتعتي وأوراقي العزيزة عليَّ فأودعتها حصناً حصيناً في البيت ونزعت جهاز الراديو الخاص الحبيب إلى نفسي من مكانه فأودعته كذلك وسط صندوق حديدي.

إن هذين الشيئين جهاز الراديو الخاص وأوراقي العزيزة هما من أعز الأشياء المادية لدي التي تأثرت وأنا ألقيها في أكفانها حتى أرجع.

وزاد تأثري في تلك الساعة قول زوجتي وهي تراني أفعل ذلك: إن سفرك سوف يطول بدليل ما تفعله الآن، إنه ليس شهر كما قلت لي- وكنت قد قلت لها إنه شهر فقط- فطمأنتها على أن الصحيح هو ما سمعت به عن المهمة.

وانقضى أكثر اليوم الذي سنسافر في غده ولم يعلم أكثر الناس بأنني سوف أسافر مع فضيلة الشيخ، بل إن أكثر الذين ألاقيهم كانوا يسلمون عليَّ سلام القدوم من الرياض لأنني لم أقدم إلاّ أمس.

هذا وكان هذا اليوم يوماً كثر فيه تجوالي وحركتي في سبيل الاستعداد لهذا السفر الذي فوجئت به، فقد مشيت فيه كثيراً وأنجزت أعمالاً خاصة كثيرة وأعمالاً تتعلق كذلك بوظيفتي مثل تعيين وكيل غيري في إدارة المدرسة حتى أرجع وتعيين مراسل للمدرسة وتعيين وكيل عني لقبض رواتبي، وتعميد أحد أقاربي ليقوم بقضاء ما يحتاجه أخواي ووالدتي في الرياض من بريدة وتعميده أيضاً بتسديد ما بقي علي من شؤون البيت وغيرها.

وفي مساء اليوم كنت قد انتهيت من كل شيء، فذهبت إلى فضيلة الشيخ عبدالله بن حميد بعد صلاة العشاء وتحدثنا قليلاً وقال فضيلته إننا سوف نسافر في الصباح الباكر غداً.

يوم السبت ١٤ محرم عام ١٣٧٢هـ:

صليت الفجر ثم حضر بعض الأصحاب لتوديعي ثم ذهبت مبكراً إلى بيت فضيلة الشيخ عبدالله بن حميد فوجدتهم مستعدين للسفر فرجعت مسرعاً إلى البيت حيث ودعت زوجتي التي ستذهب مع أخيها إلى بيت والدها، وهي وحيدة لأننا حتى الآن لم نرزق بأولاد.

ثم عدت إلى بيت فضيلة الشيخ، فإذا بكبار الأعيان ووجهاء بريدة قد حضروا لتوديع فضيلة الشيخ، فودعت الجميع وركبت مع فضيلة الشيخ على سيارته الأنيقة الخاصة ثالث ثلاثة هم الشيخ ابن حميد نفسه وعلي العجاجي وأنا.

بسم الله مجراها و(موقفها):

وسرنا على اسم الله تاركين بريدة مبتدئين في السفر، وسوف نمر في طريقنا على أحد البساتين تلبية لدعوة وجهها أحد أعيان بريدة إلى فضيلة الشيخ وهو علي بن خلف السيف، وهناك تناولنا طعام الغداء ولحق بنا سمو أمير بريدة لتوديع فضيلة الشيخ كما وجدنا هناك جماعة من المودعين.

ثم واصلنا السفر حتى وصلنا إلى (الربيعية) ونزلنا في بعض الغرف التي ينزلها المسافرون عادة وهي خارج البلدة، إلا أن أهل البلدة وعلى رأسهم أميرها وإمام الجامع فيها حضروا وأبوا وحلفوا بالأيمان المغلظة أن ندخل إليهم فنزلنا في أحد البساتين وهو بستان جميل فيه أشجار متعانقة تكاد فروع بعضها تتشابك حتى ليحسبها الإنسان خيمة عظيمة منصوبة في ذلك لا تختلف عن الخيام المعتادة إلا بكثرة أطنابها.

كانت قيلولة ممتعة قضيناها في هذا البستان ذي الجداول المتطاردة، وقد قام صاحبه بكل ما يمكنه بل وبما لم يكن يظن أنه يمكنه أن يقوم به من إكرام فضيلة الشيخ وإكرامنا.

وقد صار هذا البستان قبلة لأهل تلك البلدة الفتية فراحو يتعاقبون دخوله والخروج منه للسلام على فضيلة الشيخ وتوجيه الدعوة إليه لزيارة بساتينهم ومحلاتهم، ولم يقنع بعضهم بالاعتذار إلا حينما وعده بأنه يكون نصيبه من

حضوره لمحله عند رجوعه إلى بريدة لأنه لا يمكن الآن تلبية دعوات هذا العدد العديد من هؤلاء الناس الكرام.

غادرنا قرية (الربيعية) بعد صلاة العصر وبعدما تناولنا طعام العشاء فيها لدى صاحب البستان.

وواصلنا السير حتى غربت الشمس فصلينا المغرب والعشاء جمعاً واستأنفنا السير حتى الساعة الرابعة ليلاً- حسب التوقيت الغروبي- حيث توقفنا قليلاً واسترحنا بينما كان الرفاق يعدون القهوة والشاي ثم عدنا إلى السير حتى قرب منتصف الليل وقد قاربنا أن نصل (مراة) فأخلدنا إلى الأرض.

يوم الأحد ١٥ محرم عام ١٣٧٢هـ:

استيقظنا مبكرين وواصلنا السفر قبل طلوع الشمس وجعلنا نستبق مع الشمس إلى مراة فسبقتنا الشمس إليها ولكننا لم نتأخر بعدها إلا قليلاً.

كان أمير بريدة قد أبرق إلى أمير مراة يخبره بقدوم فضيلة الشيخ عبدالله بن حميد إليهم ويأمره بتلقيه، ولم نكد نصل بل لم نصل إلى مراة حتى تلقانا رجاله الذين كان قد أمرهم بتلقينا وأرشدونا إلى بيته فأسرع يهلي، ويقول أهلاً- ويرحب- أي يقول مرحباً طلبنا منه أن يسرع بالأمر على المستودع الحكومي لوقود السيارات في مراة بأن يصرف لسيارتنا ما يلزمها فامتنع طالباً أن نقضي هذا اليوم في ضيافته.

وبعد لأي أقنعه فضيلة الشيخ أنه لا يستطيع البقاء بسبب تأكيد جلالة الملك الأمر عليه بالإسراع بالقدوم إلى الرياض فشربنا عنده القهوة والشاي وزودنا ببعض الهدية.

وغادرنا مراة بعد أن لبثنا فيها ما يقرب من الساعة ولم نتوقف عن المسير إلا في الحيسية قرب العيينة، في الوادي الذي ينحدر من جبل طويق إلى جهة الشرق مكوناً بعد ذلك (وادي حنيفة)،فاسترحنا في ظل شجرة كبيرة على فراش جميل من السجاجيد وجلسنا نقرأ في بعض الكتب مع فضيلة الشيخ حيناً ويتحدث حيناً آخر بينما كان الرفاق ولا أقول الخدام لأنني لا أحب هذه اللفظة يهيئون القهوة والشاي و الغداء، وكانوا راكبين في سيارة مرافقة.

وبعد أن فرغنا من تناول الغداء وصلينا الظهر والعصر جمعاً استأنفنا السفر ومررنا بالعيينة، ثم بالجبيلة وجدَّ بنا السير، وبعد غروب الشمس بنحو عشر دقائق كنا نرى أضواء مدينة الرياض تتلألأ من بعيد ثم من قريب.

ولم يشأ فضيلة الشيخ أن ندخل البلد في الليل فصلينا المغرب والعشاء وجلسنا نتحدث قليلاً ثم أوينا إلى مضاجعنا مبكرين.

عجيب!!!

وجعلت أفكر وأتعجب من تصاريف الأقدار لقد ودعت أمي وأخويَّ في الرياض منذ ستة أيام فقط، وأنا لا أظن وهم لا يظنون كذلك أننا سوف نلتقي إلاَّ في شعبان أو في رمضان من هذه السنة، أي بعد تسعة شهور تقريباً، ولكن ها أنا الآن سوف ألتقي بهم بعد سبعة أيام فقط.

يا عجباً، إن تصاريف الأقدار لتفوق في بعض الأحيان ما يتخيله الإنسان، جئت من الرياض التي كنت فيها غريباً إلى بريدة حيث نويت الإقامة فيها كما كنت أُقيم فيها من قبل ولكن كانت مدة أقامتي في الرياض في الغربة سابقاً ثمانية عشر يوماً أما بريدة فيومين فقط.

الحمدلله! غداً سوف ألتقي بوالدتي وإخوتي واجتمع بهم بعد غياب كنت أظن أنه سوف يطول ولكنه قصر فالحمدلله وإن قصره هذا قد جعل له من الأثر في نفسي ما للغياب الطويل وما أحلى الأمل بعد اليأس!

يوم الاثنين ١٦ محرم عام ١٣٧٢هـ:

استيقظنا قبل طلوع الفجر بنحو نصف ساعة فشربنا القهوة والشاي وتوضأنا ثم قصد كل منا مكاناً منفرداً وجعلنا نصلي نافلة حتى طلع الفجر فصلينا صلاة الصبح ثم غيرنا ملابسنا بملابس تليق بمن سوف يستقبلون استقبالاً رسمياً حكومياً مثلنا، ولم تبزغ الشمس حتى كنا قد وصلنا مدينة الرياض.

وقصد فضيلة الشيخ إلى دار قريب له هو عم والدته وكان شيخاً يبلغ من العمر على وجه التحقيق وبدون مبالغة أكثر من مائة عام، بل إن عمره حسب ما قدرناه مائة واثنتا عشرة سنة، فقد كان فيما يقول رجلاً مكتمل الرجولة عندما مات الإمام فيصل بن تركي جد جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، وقد كانت وفاة الإمام فيصل في سنة ١٢٨٢هـ أي منذ تسع وثمانين سنة وهذا حسب ما اعترف به هو وإلاَّ فإن أبناءه وعارفيه يقولون إن عمره أكثر من ذلك.

وكان شيخاً رقيق القلب حلو الكلام لم يفقد من حواسه شيئاً إلا حاسية النظر فقد فقدها منذ عهد قريب جداً.

جلسنا عنده وتناولنا طعام الإفطار ثم ودعناه وكانت الشمس قد تعالت قاصدين قصر الإمارة في الرياض.

الرياض مرة أخرى:

ولم تختلف عليَّ الرياض فإنني قريب العهد بها، فقد غادرتها يوم الاثنين الماضي، وكان أول من علم بنا مأمور البيوت في الرياض وهو الأخ إبراهيم الشايقي، فأسرع إلينا وقال: تفضلوا إلى بيتكم، إنه مفروش الآن ومعد لكم.

ولكن موقع هذا البيت لم يعجب فضيلة الشيخ فطلب استبداله ببيت آخر فقال له المأمور: إننا على أتم إستعداد لذلك وذهب هو وأعوانه يبحثون ومعهم أحد الرفاق وتركناهم على ذلك قاصدين إلى فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ للسلام عليه، فوجدناه في مسجده وقد تحلق حوله طلبة العلم وهو يدرس في كثير من الكتب فسلم عليه فضيلة الشيخ عبدالله بعد أن انتظر قليلاً حتى انتهى الدرس.

وقد كان فضيلة الشيخ يوماً ممن تحلقوا حوله لطلب العلم فالشيخ محمد بن إبراهيم هو شيخه يطلب عليه العلم مع الطلاب ولكنه بشهادة الشاهدين عن علم وصدق أنجب طلابه أجمعين.

لدى سمو أمير الرياض سلطان بن عبدالعزيز:

وبعد قليل حضر أحد رجال القصر وهمس في أذن فضيلة الشيخ يدعوه إلى السلام على سمو أمير الرياض الأمير سلطان نجل جلالة الملك عبدالعزيز.

فتوجهنا إلى القصر وبصحبتنا ذلك الهامس في أذن الشيخ والتفت إلى فضيلة الشيخ قائلاً : إنكم سوف تقابلون جلالة الملك بعد أن تسلموا على سمو

الأمير ويحسن أن تأذنوا لمن لا لزوم له لمقابلة جلالة الملك فتركه فضيلة الشيخ وسرنا فتخلف بعض من كانوا معنا حتى لم يعد معه غير فضيلة الشيخ وقائده إلا اثنان أحدهما أنا، والثاني الشيخ علي العجاجي.

دخلنا على سمو الأمير سلطان بن الملك عبدالعزيز أمير الرياض في ركن من القصر الملكي القديم في مدينة الرياض وقد أثث مجلسه بأثاث ثمين ووقف حول الغرفة التي يجلس فيها جماعة من الشرطة و(الخويا) فاستقبل سموه فضيلة الشيخ عند باب الغرفة ثم صافحنا واحداً واحداً وأخذ بيد فضيلة الشيخ حتى أجلسه بجانبه وجلسنا بجانب فضيلته فتحدث فضيلة الشيخ مع سموه.

ثم اتصل سموه بالقصر الملكي خارج المدينة (المربع) وقال إن فضيلة الشيخ قد وصل الآن وسوف يقابل جلالة الملك بعد قليل ثم التفت سموه إلى الشيخ قائلاً إنه قد بقي على موعد جلوس جلالة الملك المعظم حوالي عشرين دقيقة فيحسن أن تجلسوا هنا حتى يحين موعد الجلوس فشكر له فضيلة الشيخ وقال إننا نحب أن نجلس في انتظار جلالة الملك هناك.

فقام سمو الأمير لتوديعنا ممسكاً بيد فضيلة الشيخ حتى خرج عن الغرفة، حيث كان تحت تصرفنا أحد التشريفاتية الخاصة بجلالة الملك.

وجدنا في انتظارنا سيارة فاخرة فامتطيناها وقال فضيلة الشيخ للتشريفاتي، ونسيت أن أقول إنه غير التشريفاتي الأول الذي قادنا للسلام على سمو الأمير

سلطان أمير الرياض قال له فضيلته إن الجماعة هؤلاء سوف يقابلون جلالة الملك معنا لأن جلالته هو الذي طلب إحضارهم – يشير فضيلته إلى البرقية التي وصلت إليه من جلالة الملك بأن يصطحب معه ثلاثة من طلبة العلم المجيدين ليعاونوه في مهمته.

في قصر المربع:

دخلنا قصر المربع وكان على بابه الحراس وأكثرهم من جنود الجيش ومن الباب الخارجي دخلنا، وكأننا قد دخلنا في مدينة خاصة وهو في الواقع مدينة خاصة فيها مدرستها وجامعها وغير ذلك، وفيها القصور المتعددة والعوائل الكثيرة.

إنني قد دخلت هذا القصر منذ مدة طويلة منذ أربع سنين ولكنه قد تغير الآن لقد غلب عليه التطور ومظهر الإنفاق حتى غدا أشبه بالقصور التي قرأنا عنها في التاريخ أو في قصص ألف ليلة وليلة.

وترجلنا من السيارة حيث دخلنا مع باب آخر عليه حراس مسلحون، ومن هنا صعدنا إلى سلالم ثم إلى باب آخر عليه حراس، ثم إلى غرفة الانتظار بجانب الغرفة الخاصة بجلوس جلالة الملك عبدالعزيز، وكنت أظن قبل ذلك أن هذه الغرفة هي غرفة الجلوس لفخامتها ونظافة رياشها ولأن فيها كل ما يجب لكي تكون غرفة لجلوس ملك.

لبثنا في تلك الغرفة مع التشريفاتي حوالي نصف ساعة فقد تأخر حضور الملك بمقدار عشرين دقيقة، وخلال هذه المدة قابلنا عدداً عديداً من كبار رجال الحاشية والمقربين من الملك عدداً لا يمكن أن نجدهم كذلك إلاَّ في مثل هذه الغرفة.

وكان مجرد وجودنا في هذه الغرفة رمزاً على أننا محترمون وذلك من الذين لا يعرفون فضيلة الشيخ أما ممن يعرفونه من الحاشية وهم الأكثر فهم يجلونه ويحترمونه تمام الاحترام.

وقف الناس الكبار في غير هذا القصر الناس الذين كانوا خارج هذا القصر لا يوصل إليهم إلا بالرسائل بل ولا تصل كل الرسائل إليهم، وقفوا لدى فضيلة الشيخ مهلين مرحبين به، ومهلين مرحبين بنا أيضاً تبعاً لفضيلته لأن لنا شرف صحبته.

قابلت جلالة الملك عبدالعزيز المعظم:

رأيت حركة عظيمة وأناساً يدخلون بسرعة بل يقفزون وحراساً من الجيش يصطفون وكل من رأيت يقومون ويبدون غير عاديين، وإذا بصاحبنا التشريفاتي يقول لفضيلة الشيخ: تفضلوا.

خرج فضيلة الشيخ وخرجنا معه وأدخلونا في غرفة الاستقبال وهي غرفة فسيحة الأرجاء واسعة النواحي، ورأينا في صدرها جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود جالساً في صدرها فلبثنا نمشي قبل أن نصل إليه، وقد كانت أركان الغرفة مليئة بالجنود المسلحين غير النظاميين إلا من قرب من جلالة الملك.

سلمنا على جلالته فصافحه فضيلة الشيخ ثم صافحنا وجلس فضيلة الشيخ عن يمينه وجلسنا عن شماله، فتلطف بنا وسألنا عن أحوالنا وعن سفرنا وكان يكرر قوله كيف أنتم، وكيف حالكم فنشكر له ونقول له: بخير، كالعادة.

فتكلم مع فضيلة الشيخ بعض الكلام، ثم ابتدأ القاري يقرأ أمام المايكرفون في (كتاب البداية والنهاية) المعروف بتاريخ ابن كثير.

كانت هذه عادة جلالته منذ عشرات السنين حتى الآن أن يستقبل القارئ في المجلس ولكن فضيلة الشيخ عزيز عليه ولذلك فقد سلم عليه ولاطفه ثم ابتدأ القارئ.

ها هو القارئ يقرا في خلافة المتوكل على الله العباسي وقد خشع كل من في الغرفة وكأن ليس فيها أحد غير القارئ الذي يرن صوته رفيعاً من مكبر الصوت (الميكرفون).

ولكن هل انصرف ذهني إلى ما يقول صاحب الكتاب؟ لا: إنني لم أفهم مما يتلوه القارئ غير قليل فقد سبحت في عوالم من التفكير.

أفكر أولاً في هذا الجالس أمامي، إنه جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ملك المملكة العربية السعودية، هذا ما يقوله أبسط الناس الآن، وهذا هو اسمه الرسمي ولكنه أكثر من ذلك، إنه مجموعة من أحداث التاريخ ومن حوادث الزمان ومن صفات الإنسان في صراعه مع حوادث الزمان.

لقد سمعت والدي رحمه الله وهو شيخ كبير أول ما سمعت من الدنيا يحدثني ويتحدث كذلك مع الرجال المسنين مثله في أخبار ابن سعود وفي غزواته ودهائه وحيله وسيرته وبطولته وكيف نشأ من ضعف، وعز بعد أن كافح، ولكنه لم يصل إلى ما وصل إليه عبثاً، بل إنه خاض معارك بينه وبين الناس وبينه وبين الزمان، معارك لا ينتصر فيها إلا مثله العباقرة الموفقون.

إن حياة ابن سعود وسيرته كانت مادة من أهم المواد التي تغذي المجالس في بريدة والتي سمعت حوادثها وقصصها وما يدور حولها منذ أن كنت طفلاً إلى أن أصبحت رجلاً.

ثم بعد أن تجاوزت في تلقي سير الرجال والبحث عن أخبارهم حد ما يقال في المجالس قرأت الكثير عن سيرته في مؤلفات الشرقيين والغربيين والعرب والإفرنج، فكانت تأييداً لما سمعت قبل ذلك من أبي ومن زملائه الشيوخ المسنين.

إنني الآن أتمثل ذلك في نفسي، وأنا أمام ابن سعود بطل الأقاصيص والأساطير والحقائق والمتناقضات والمتوافقات الكثيرة فأعجب وأكرر النظر إليه إلى كل كبيرة وصغيرة فيه، غطاء رأسه إلى لون حذائه ولون جوربه إلى كيفية لباسه.

إنني أنظر إليه وأكرر النظر وأفحصه فألمح بل أجد واضحاً أثر ذلك كله في مظهره، أجد أثر معارك الحوادث وأحمال السنين الطويلة قد هدت من كيانه وأضعفت من بنيانه، فهو الآن جالس على عربة تدفع باليد لا يستطيع أن ينتقل عنها إلا بمساعدة الآخرين.

ذلك الرجل العظيم الذي كان يقطع المسافات الطوال في الصحارى الحارة القارة حينما كان يسعى في بناء ملكه القائم على تحكيم الشرع الشريف أصبح الآن يحمل على هذه العربة الضيقة.

يا عجباً لابن آدم كيف تصبح قوته ضعفاً وعنفوانه تواضعاً ويصبح بعد حين وكأنه لا يمت إلى حالته الأولى بصلة.

لقد قابلته قبل ذلك وصافحته وسلمت عليه وجلست معه في مجلسه في سنة ألف وثلثمائة وست وستين هجرية سنة ١٣٦٦هـ أي منذ ست سنوات، ولكن تلك السنوات الست قد هدت من بنائه ما عجزت عنه السنون التي قبلها، وا لتي تزيد على أكثر من خمس وأربعين سنة منذ تولى الملك.

إنني أنظر إليه الآن، مطرقاً يستمع إلى القارئ وبدا للحظة كما لو كان قد نعس ولكنه سرعان ما أفاق.

الكل هنا في هذه القاعة صامت خاشع وهناك بعيداً عنه ولكنهم أقرب من في الغرفة إليه جماعة ليس لهم ألوان أهل نجد ولا سحنتهم، إنهم رجال السياسة الذين يعاونونه في هذه الناحية من نواحي الحكم إنهم رشدي ملحس ورشيد عالي الكيلاني الزعيم العراقي الذي لجأ إلي جلالته بعد أن فر من العراق وغيرهما من أبناء الأقطار العربية المجاورة.

إن الكل هنا قد خشع وأطرق برأسه وباطرافه وكأن على رؤوسهم لا الطير كما يقولون، ولكن الملوك، إلا شيئاً واحداً لم يخشع ولم يطرق ولم تقف حركته، إنه ذهني، إنه الخواطر التي تغزو رأسي.

إنها حوادث السنين التي لم تسكن ولم تخشع بل أخذت تتجمع أمام خاطري وتكتمل حتى تلف بطلها ابن سعود هذا الماثل أمامي.

لم أشعر إلاَّ بصوت القارئ قد توقف عن القراءة إنه قد انتهى من المقرر الذي كان يقرأ مثله في كل يوم.

فجئ بالقهوة ثانية وهي قهوة رمزية لا تعدو نقطة لا تكاد تغطي قاع الفنجان.

ثم عاد الملك عبدالعزيز يحادث شيخنا الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد حديث لطف وظرف.

وبعد قليل استأذن فضيلة الشيخ من جلالته فصافح جلالته فضيلة الشيخ مودعاً كما صافحنا جلالته مودعين.

وعدنا نمشي في تلك الغرفة مدة قبل أن نخرج منها وقد وقف كل من في الغرفة احتراماً وإجلالاً لفضيلة الشيخ عبدالله بن حميد وقفوا جميعاً وكأنهم رجل واحد ثم جلسوا جميعاً عند ما غادرنا الغرفة.

خرجنا من الغرفة وهناك وجدنا عدداً من أنجال جلالة الملك عبدالعزيز وكل منهم يقبل فضيلة الشيخ في جبينه ويقول معرفاً بنفسه فلان بن عبدالعزيز، منهم ممن تمكنت من سماع أسمائهم بندر بن عبدالعزيز وسلطان بن عبدالعزيز وغيرهما فضلاً عن الكبار من الحاشية والمستخدمين.

وهذا رجل آخر كنت أعرفه من قبل بل إنه صديقي وقريبي، لقد سلم على فضيلة الشيخ وسلمنا عليه وزيادة منه في تكريمنا اصطحبنا حتى خرجنا من الباب الداخلي للقصر فهل فعلاً حصل مقصوده من ذلك؟

نعم إنه قد حصل من جهة ولكنه لم يحصل من جهة أخرى.

إنه أراد أن يدعو الشيخ إلى عشاء في بيته فاعتذر له الشيخ عن الإجابة، إنه محمد بن علي الذيب، أما من هو ذلك الرجل؟ فهو رئيس الحرس الملكي، وقد تعبنا معه لأن كل جندي أو جنود يمر عليهم يؤدون له التحية العسكرية بصوت مزعج فيضربون بأرجلهم على البلاط فيحدث ذلك صوتاً مجلجلاً.

إن محمد بن علي الذيب هو من أبناء عمنا آل سالم، ولكن ذلك ليس هو الذي شده إلينا وإنما هو مقام فضيلة الشيخ عنده هو وعند الملك.

خرجنا من لدن القصر الملكي وكأننا قد خرجنا من زيارة للتاريخ بما في التاريخ من أحداث وحوادث ومجريات عجيبة غريبة.

لقد كنت أشعر بذلك لدى خروجنا من القصر ولقد غطى هذا الشعور بشخصية ابن سعود وآثارها في الماضي والحاضر على التفكير في أنني قابلت ابن سعود أكبر شخصية عربية معروفة الآن وملك المملكة العربية السعودية.

ووصلنا إلى بيتنا الجديد حيث وجدنا من ينتظرنا هناك.

كان بيتنا جديد البناء لم يقطنه قبلنا قاطن، وهو ليس بالواسع، ولكنه بالنسبة لبيوت نجد بيت يعتبر جميلاً.

وكانت مزيته التي جعلتنا نتعلق به هو أنه مضاء بالكهرباء القوية الساطعة ما يكفيه ربعه ولكنه من الحكومة والحكومة تعطي بلا حساب.

كانت أجرته لمدة شهر واحد كحد أعلى الفاً ومائتي ريال وعلى نفقة الدولة وإذا ما فرغنا منه قبل هذه المدة فإن صاحب البيت يستحق كل هذا المبلغ أما إذا لم نفرغ إلا بعد مضي أكثر من هذه المدة فإن المدة الزائدة على ذلك تدفع لصاحب البيت بحسب الزيادة، وتدفع الحكومة آجرته كما قدمت.

جلسنا في البيت وإذا بالموزع يدخل ببرقيات فضيلة الشيخ، وكانت إحداها بخصوصي أنا، وكانت من سمو ولي العهد سعود بن عبدالعزيز، وكان مضمونها.

بخصوص توجه محمد العبودي معكم عرفنا المعارف بذلك لعدم معارضته بشيء وبتعيين بدله يقوم في عمله.

يوم الثلاثاء ١٧ / ١ / ١٣٧٢هـ:

كان من بين الجموع الذين جاءوا للسلام على فضيلة الشيخ أعيان الجماعة من أهل بريدة المقيمين في الرياض، وكلهم وجلون خائفون من أن يكون فضيلة الشيخ قد نقل عن بريدة، لا أنه في مهمة رسمية إذا انتهى منها عاد إلى بريدة، ولكن فضيلته يطمئنهم بأن الأمر لا يعدو كونه انتداباً في مهمة رسمية.

وقد كان مضيفنا الليلة الذي تناولنا طعام العشاء عنده هو فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، كبير العلماء.

يوم الخميس ١٩ / ١ / ١٣٧٢هـ:

إنها فرصة طيبة فقد استعدت ذكرياتي السابقة عندما حضرت إلى الرياض صحبة فضيلة الشيخ عام ١٣٦٧هـ وتعرفت على عدد من الشخصيات من مختلف الطبقات التي لا يجمعها إلا كونها شخصيات بارزة.

يوم الجمعة ٢٠ / ١ / ١٣٧٢هـ:

أنا مسرور أقضي أوقاتي في البيت الرسمي الذي استأجرته الحكومة للشيخ عبدالله بن حميد ومن معه وأنا أحدهم، وأزور والدتي في اليوم مرتين مرة في الصباح ومرة في المساء.

وقد زرت اليوم أحد الأصحاب من أهل بريدة الذين حضروا للرياض

والتحقوا بالمعهد العلمي فيها، وقد منح سكن غرفة تقع في شرقي مسجد الرياض الكبير وهي غرفة صغيرة إلا أنها مزودة بالتيار الكهربائي اللازم للنور وللطبخ وغيره.

والحقيقة أنه يشكر للقائمين على المعهد أن يوزعوا على الطلبة الغرباء غرفاً، إما في المساجد أو في أمكنة خاصة بهم يسكنونهم فيها مجاناً.

يوم السبت ٢١ / ١ / ١٣٧٢هـ:

الشرهة:

هكذا تسمى هنا في نجد، بل في جميع أنحاء المملكة وهي أشبه شيء بما يسمى في اللغة العربية (صلة) أو جائزة وهي ما أخذوه من الاستشراه أي الاستشراف فكأن من يفد على ملك من ملوك نجد أو على أمير من أمرائها تستشرف نفسه لأن يعطيه الملك شيئاً من النقود فسمى ما يسد به استشرافه شرهة.

وقد وصلتنا شرهتنا اليوم من الملك وقد خصني منها ثلثمائة ريال ومشلح، أي عباءة بعته بـ ٨٥ ريالاً لأنه لا يلائمني ملبسه.

ومثلي الشيخ عبدالله بن سليمان بن حميد والشيخ علي بن عبدالعزيز العجاجي يأتي بعدنا المرافقون وهم أقل قدراً منا بكثير وعددهم قليل أيضاً وكانت (شرهتهم على قدرهم).

وقد كان منح الشرهة إيذاناً بالأمر بالسفر وكرخصة في عرف أهل نجد ولكننا قد استدعينا لمهمة رسمية فلا يمكن أن نسافر إلا بأمر مع أننا مستعدون للسفر في أية لحظة.

وأن نصيبي من الشرهة هذا القدر هو ثاني نصيب فيها من حيث الكثرة فأول وأكثر نصيب هو ما خص فضيلة الشيخ ثم نصيبي وزميلي ثم باقي الخويا والخدم.

يوم الأحد ٢٢ / ١ / ١٣٧٢هـ:

عرفنا اليوم بصفة رسمية أن مهمتنا تتعلق في المحاكم بالحجاز ولكننا لا ندري ما هو نوع هذه المهمة ولا كم يستغرق العمل فيها إلا أن أعيد علينا ما قيل قبل ذلك إنها تستغرق شهرين هذا وقد علمنا أنه سوف يسافر صحبتنا الشيخ عبدالملك بن إبراهيم آل الشيخ إلى مكة ولمهمة رسمية أخرى ولم نعرف مهمته بالتحديد أول الأمر، ولكن تبين انها لرئاسة هيئة الأمر بالمعروف بمكة المكرمة، كما علمنا أن كل ما سبق أي استدعاء فضيلة الشيخ عبدالله بن حميد والأمر عليه باستصحاب بعض طلبة العلم هو كان بناء على اقتراح مقدم من سمو ولي العهد إلى والده الملك عبدالعزيز، وقد قام الملك بالابراق إلى فضيلة الشيخ كما سبق.

وقد خصصت لنا فيما ذكروا طائرة ملكية خاصة بنا لتقلنا إلى الحجاز وقيل إن السفر سوف يتم بعد يومين.

يوم الاثنين ٢٣ / ١ / ١٣٧٢هـ:

في وادي لبن:

خرجنا إلى وادي (لبن) تلبية لدعوة وجهها إلى فضيلة شيخنا الشيخ عبدالله بن حميد أحد أعيان أهالي الرياض الذين يملكون بستاناً في وادي لبن، وهو عبدالرحمن بن عبدالله آل الشيخ.

وقد قصدنا إلى الجهة الغربية من مدينة الرياض إلى أن دخلنا وادي حنيفة وهو يسمى هنا (الباطن).

وسارت بنا السيارة بين النخيل والبساتين التي يزدحم بها ذلك الوادي العظيم الذي لو تكلم لأتى بالعجب العجاب من سير الناس ومن أحداث الزمان وفعله بالآدميين.

ومن شعبة تصل إلى الوادي المذكور دخلنا إلى وادي (لبن) وهو واد مذكور في الشعر العربي القديم.

دخلنا إلى مكان ريفي في وسط خضرة فقدم لنا صاحبه بعض الماكولات ومعها اللبن وكانت نكتة أضحكت الجميع حينما قلت ما أحلى لبن (لبن).

سألنا صاحبنا عن الوادي، فقال: إنه واد عظيم يصب في الوادي الكبير (الباطن) وإن مياهه تتجمع من مسافات بعيدة.

سألناه عن سبب تسميته، فقال: إن السبب في ذلك يرجع إلى أن ماءه

كاللبن، أي حلو اشهب اللون فيما يخيل للناظر.

قلت له: وهل عثرتم على ما تعتقدون بسببه أن هذا الوادي كان مأهولاً بعمارة القاطنين فيه، فقال: أجل عثرنا على أشياء كثيرة حتى على مساكن بجانبه قد طمرها التراب، هذا زيادة على قطع الفخار وبعض الأواني الطينية وغيرها، كما عثرنا على مقابر كثيرة، وقد اتفقنا جميعاً على الظن بأن هذا الوادي كان في السابق إما أنه دائم الجريان أو يجري أكثر السنة.

أما الآن فإن الوادي الكبير وادي حنيفة، وكذلك هذا الوادي وادي لبن قد شح في بطنهما الماء الذي يخرج الآن بواسطة المكائن الارتوازية.

وقبل أن تغيب الشمس بنصف ساعة خرجنا نتمشى في هذا المكان الجميل في الخضرة والماء، ثم عدنا إلى الرياض بعد صلاة المغرب مباشرة.

يوم الثلاثاء ٢٤ / ١ / ١٣٧٢هـ:

هذه فرصة مناسبة لكي نطلب كتباً في مختلف العلوم من خزائن الكتب الحكومية في الرياض.

فكرت في ذلك ثم كتبت قائمة مطولة بما نطلب وطلبنا من كل كتاب ثلاث نسخ لي ولزميلي.

وقد كان مأمور الكتب في الرياض صديقاً لفضيلة الشيخ، ولقد دعا فضيلة الشيخ إلى طعام العشاء غداً في بستانه في الباطن، فلنعطه كشف طلبنا بالكتب غداً في ذلك الموعد.

وقد تناولنا الشاي والمرطبات لدى رئيس الحرس الملكي في بيت له فخم قريب من قصر المربع في الرياض.

وهو بيت ينطق بأن صاحبه تنهال عليه الدنيا بلا حساب، أقول هذا مما رأيته من مظاهر البذخ والمبالغة في أثاث البيت ورياشه.

يوم الأربعاء ٢٥ / ١ / ١٣٧٢هـ:

كانت أمسية جميلة قضيناها في الباطن في بستان أحد المقربين من الملك هو المسؤول عن شؤون القضاة والكتب والمطاوعة والأئمة والمؤذنين ورواتبهم وعاداتهم ومخصصاتهم، وهو المسئول أيضاً عن الكتب كما قدمت وهو إبراهيم الشايقي.

تناولنا طعام العشاء في محل جميل تكسوه الخضرة والأشجار من كل جانب وينساب الماء الصافي الذي ترفعه (المكائن) من باطن الأرض بجوارنا.

وسلمناه القائمة بالكتب كما قدمت فوعد خيراً وقال إن بعضها غير موجود وكنا نعلم ذلك، وإن كل ما كان منها موجوداً سوف نسلم منه ثلاث نسخ كما طلبنا فشكرناه على ذلك وصلينا لديه المغرب.

ثم بدأ يتحدث مع فضيلة الشيخ أحاديث تاريخية نادرة عن آل سعود وعن حكمهم وشؤونهم وعن جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود في ماضيه وحاضره وتمنيت لو أمكنني أن أسجل هذه الأحاديث لأنها أحاديث نادرة مفيدة لاسيما وهي تتردد بين بطلين من أبطالها أولهما فضيلة شيخنا الشيخ عبدالله بن حميد، وثانيهما هذا: إبراهيم الشايقي ثم عدنا إلى الرياض قبل العشاء الآخرة.

يوم الخميس ٢٦ / ١ / ١٣٧٢هـ:

صدر أمر من جلالة الملك أن يكون سفرنا إلى الحجاز يوم السبت القادم على طائرة ملكية أي بعد غد.

فهل أتأهب للسفر؟ إنني متأهب فعلاً فأنا الآن مسافر والمفروض أن مقامنا في الرياض لا يزيد على أسبوع وها هو قد امتد إلى حوالي نصف الشهر.

يوم الجمعة ٢٧ / ١ / ١٣٧٢هـ:

ذهبنا إلى مستودعات الكتب في الرياض حيث قبضنا ما طلبناه مما كان موجوداً لديهم، كما قبضنا كتباً أخرى لم نطلبها ولكنهاكانت موجودة عندهم.

وقد أعطينا – مجاناً- من كل كتاب ثلاثة نسخ فخص كل واحد منا ما يزيد على ستين مجلداً من بينها كتاب تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ١٢ مجلداً.

وتساوي قيمة هذه الكتب مبلغاً كبيراً من المال لو بيعت ولكننا حصلنا عليها مجاناً، نظراً لصفتنا العلمية والرسمية، فأودعت حصتي من الكتب بيت والدتي وإخواني ليحفظوها لديهم كما أرسل زميلاي كتبهما إلى بريدة.

والشيء الوحيد الذي كان لازماً لنا في رحلتنا ولم يكن معنا فاشتريناه من الرياض اليوم هو ثياب الإحرام.

يوم السبت ٢٨ محرم ١٣٧٢هـ:

السفر إلى الحجاز:

كان أول ما فعلته اليوم أن ذهبت مبكراً لوداع والدتي وإخواني في الرياض ثم عدت إلى بيت الضيافة حيث وجدت الأصحاب يحزمون أمتعتهم وينتظرون السيارة التي سوف تقلنا من الرياض إلى المطار خارج البلد.

وفي الساعة الثالثة حضرت السيارة وذهبنا إلى مطار الرياض وجلسنا في صالون الاستقبال فيه، مع جماعة من الكبار والأعيان من بينهم جمع من آل الشيخ من علماء ووجهاء.

جلسنا هناك بينما كان الخدم يرفعون أمتعتنا إلى الطائرة، ولم يكن ليسافر على الطائرة الملكية الخاصة الرابضة أمامنا إلا نحن فضيلة الشيخ عبدالله بن حميد ومرافقوه والشيخ عبدالملك بن إبراهيم آل الشيخ ومرافقوه.

وقد تبادلنا نحن المسافرين مع الحاضرين القبل المتكررة الوداعية ثم امتطينا الطائرة.

تحركت الطائرة من الأرض بعد ما علت أنفاسها حتى اصبح لها فحيح كفحيح المصدور وبسرعة فائقة صارت الأرض تبعد عن الطائرة أو الطائرة تبتعد عن الأرض.

وأشار الركاب إلى الأرض هذه هي الدرعية هذه هي القرية الفلانية، وأنا لا أعرف هذه القرى والبلدان في العالم الأرضي، فكيف أعرفها في عالم السماء.

أما جبل طويق الذي كنت أعرفه قبل ذلك مرفوع الرأس عالي الجبين فارع القامة فقد تقاعس أمام الطائرة وجثا على ركبتيه حتى كادت قممه تستوي بالأرض.

كان أزيز محركات الطائرة ليس بالشديد كالأزيز الذي سمعته لأول مرة ركبت فيها الطائرة في العام الماضي.

ولذلك فقد جعل بعض الركاب يتحدث مع بعض وجعلت أنا أطالع في عدد من أعداد مجلة الهلال.

وكنت أقرب الراكبين إلى مكان الطيار فجلس بجانبي ضابط اللاسلكي في الطائرة وكان قصيمياً فمرت بنا طائرة ولكنها أنزل منا بكثير حتى إنها تبدو من تحتنا وكأنها الجرادة تسبح في الماء فسألته على كم تطير طائرتنا من الأرض فقال: إننا نطير الآن على ارتفاع ثمانيةآلا ف قدم، أما الطائرة التي رأيت تحتنا فإنها تطير على ارتفاع سبعة آلاف قدم على نفس الخط الذي نسير فيه وإنما هبطت عنا قليلاً خوفاً من التصادم.

ثم جاء ضابط اللاسلكي يسألنا عن أسمائنا جميعاً وقال: إنه اتصل بسمو ولي العهد في جدة وإنه طلب منه أن يبعث إليه بأسمائنا.

وقبل أن نحاذي الميقات بقليل لبسنا ثياب الإحرام وكانت الطائرة قد استمرت في الجو ثلاث ساعات كاملة قطعت خلالها أكثر من ألف كيلومتر.

في مطار جدة:

هبطت بنا الطائرة في مطار جدة ففتحنا الباب لنجد أمامنا المستقبلين الكثيرين ومن بينهم بعض الكبراء من حاشية سمو ولي العهد فقابلونا بالحفاوة والتكريم البالغين، ثم ركبنا مع المستقبلين على سيارات فاخرة وقصدنا أو على الأصح قصدوا بنا فناء واسعاً جميلاً تقع فيه عدة (فيلات) أنيقة نزلنا في اثنتين منها فاسترحنا قليلاً في تلك الغرف المجهزة بآلات تكييف الهواء وبجميع ما تحتاج إليه البيوت الراقية، وهي من أرقى أنواع (الفيلات) المعروفة.

استرحنا قليلاً وإذا بأحد الخدم الذين قد عينوا هنا لراحتنا وهم عدة يقرب عددهم من سبعة فيما يظهر وقال وهو شبه مرتبك: إن القائمقام يستأذن واسرعنا نستقبل قائمقام جدة الذي سلم على فضيلة الشيخ وعلينا بأدب جم.

شخصيات بارزة:

ولم يكن قائمقام جدة معالي الأمير عبدالرحمن السديري هو الوحيد من الشخصيات البارزة التي زارتنا هنا، فقد زارنا أيضاً رئيس ديوان سمو ولي العهد الشيخ فهد بن كريديس، وبعض مستشاري سمو ولي العهد الكبار وقصد الجميع هو السلام والاطمئنان على راحتنا،والمراد بقولي: زارنا أنه زار فضيلة شيخنا عبدالله بن حميد ونحن تابعون له.

قضينا ما يقرب من ثلاث ساعات في تلك الفيلات الأنيقة الجميلة ذات الأثاث الرفيع الذي لا يوجد مثله إلا في قصور الملوك وأشباههم، وقد قيل لنا إنها مخصصة لاستقبال الشخصيات البارزة من الأجانب ونادراً ما يسكنون فيها من الوطنيين أحداً إلا من كانوا عزيزين عليهم، ورفيعي المقام عندهم.

هذا وقد أخبرونا بأنه قد وضع تحت تصرفنا وطلبنا سيارتين صغيرتين فاخرتين إحداهما صغيرة والأخرى بكس.

والمكان الذي سكنا فيه مجهز بجميع أنواع ما يطلبه الإنسان من مأكولات ومشروبات فكنا نطلبها فتحضر إلينا سريعاً.

وقد اعد لنا غداء فاخر لم أر في مائدة كثرة أصنافه حتى إن من بين الموائد التي حضرتها مائدة كان الملك عبدالعزيز نفسه أحد الحضور فيها، وما بيني وبينه إلا قليل ولكنها لم تكن في كثرة أصنافها كهذه.

إلى مكة المكرمة:

وحينما بقي على غروب الشمس ما يقرب من أربعين دقيقة كنا قد غادرنا مكاننا هذا بالسيارات قاصدين مكة المكرمة ونحن محرمون لأداء نسك العمرة.

وقد أخبرنا كل من زارونا من حواشي سمو ولي العهد بأنه قد أعد لنا بيت في مكة وبيت في جدة وكلاهما مجهز بالخدم والضيافة أي الطباخين وما يطبخونه، وكل شيء حتى فرش النوم.

فوصلنا مكة المكرمة بعد غروب الشمس بقليل وطفنا بالبيت الحرام ثم سعينا بين الصفا والمروة، ثم عدنا إلى السيارة حيث وجدنا مندوباً من الحكومة ينتظرنا ليدلنا على البيت الجديد.

ويقع بيتنا هذا في حارة المسفلة في شارع المسيال، دخلناه فالفينا مأموراً من قبل مدير البيوت الذي استقبلنا استقبالاً حافلاً وقال: إن بيتكم هذا مجهز بكل شيء وكل ما طلبتموه غير ما فيه فنحن مستعدون لإحضاره.

جلسنا فيه ولم نكد نجلس حتى أقبل جمع من الأعيان يسلمون على فضيلة الشيخ من بينهم رئيس المحكمة الكبرى والقضاة وغيرهم.

ورحنا نتجول في البيت فألفيناه خمسة أدوار كل دور منها مكون من قاعة كبيرة وغرفة واسعة، والجميع مؤثث ومفروش بالفرش الرفيعة التي أغلبها السجاد.

ثم نمنا في بيتنا هذا لأول مرة.

يوم الأحد ٢٩ / ١ / ١٣٧٢هـ:

جاء أحد الرجال المقربين لدى سمو ولي العهد وقد أرسله سموه إلى فضيلة الشيخ ليطمئن على راحته وليسأله إذا كان يحتاج غير ما أعد له في استقباله فشكر فضيلة الشيخ لسمو ولي العهد ذلك شكراً جزيلاً.

وقال هذا الرجل: إن بيتكم في جدة مهيأ مفروش.

إلى جدة ثانية:

ذهبنا إلى جدة عائدين فقضينا يومنا هذا فيها وكان الجمع الكثير يفدون إلى بيتنا ليستقبلوا فضيلة الشيخ بالسلام والتحية.

أما بيتنا هذا فهو بيت عصري كل ما فيه على الطراز الحديث، فالأثاث والأبواب والنوافذ وغيرها كلها كذلك.

وهو شيء جديد علينا نحن معشر النجديين، وهو كذلك مجهز بالضيافة اللازمة، إذْ فيه مطبخ كامل مستقل فيه ما لا يقل عن خمسة موظفين من طباخين ومعاونين وكذلك فيه موظف للقهوة خاصة.

وفي آخر النهار قصدنا إلى البحر لكي نتمشى على الشاطئ في آخر النهار وعدنا بعد أن صلينا المغرب.

يوم الاثنين ١ / ٢ / ١٣٧٢هـ:

هذا هو عملنا:

ذهبنا مبكرين إلى مكة المكرمة حيث تبين لنا أن عمل فضيلة الشيخ هو: النظر في القضايا والدعاوى القديمة التي مضى عليها أكثر من ستة أشهر أي من قبل تاريخ أخر رجب عام ١٣٧١هـ، جميع القضايا التي من هذا النوع في محاكم مكة والطائف وجدة والمدينة المنورة.

وفعلاً طلب فضيلة الشيخ من أحد رؤساء ديوان نيابة الملك في الحجاز الذي أوفده ولي العهد ليسأل فضيلة الشيخ عن الأشياء اللازمة لعمله.

فأخبره فضيلته بأنها: أولاً مكتب ملائم مجهز بالأدوات اللازمة وما يتبعه من أجهزة تليفونية في البيت وفي المكتب وكاتب أو كاتبان وضابط من الشرطة وخمسة جنود.

وقد نفذ أكثر هذه الطلبات فوراً وجاءوا يسألون فضيلة الشيخ عن مكان المكتب ويخبرونه بأنهم قد أعدوا المكتب الخاص سابقاً لسمو الأمير فيصل وزير الخارجية ونائب جلالة الملك، ويقع ذلك المكتب في دار الحكومة بمكة المسماة (الحميدية) وهل يلائم أم لا؟

كما ذكروا له أن هناك مكاناً ملائماً بجوار الحرم المكي ويطل عليه بفتحات كثيرة من جهته حتى كأنه جزء منه ويسمى (مدرسة جلالة الملك) لأن الملك كان يصلي فيه.

وبعد مداولة اختار فضيلة الشيخ الأخير.

ثم أرسل إلى رئيس المحكمة يطلب منه أن يبدأ بتحويل القضايا القديمة التي عمد بإرسالها وذلك حرصاً من فضيلة الشيخ على إنجاز العمل، ولكن المذكور أرسل يقول: إنه مهتم بذلك إلا أن تلك القضايا تحتاج إلى تهيئة ملفاتها، ويعد بإرسال بعض منها غداً.

قدمت لنا الضيافة في البيت في الصباح طعام الفطور والقهوة، وبعد الظهر طعام الغداء وبعد العشاء الآخرة طعام العشاء، وهي ضيافة سخية هائلة بالنسبة لنا إذ أن جزءاً من ستة أجزاء منها يكفينا.

فمنها يومياً: خروفان للحم واثنا عشر كيلو من الأرز وأربع وعشرون أقة من الفواكه وأربعة عشر كيلو من السكر و٢٥ زفة من الماء العذب أي مائتين وخمسين جالوناً وأربعة كيلو من الشاي، أما اللبن والبيض والطماطم واللبن الحليب والخضروات وغيرها والحطب فعلى مقياس ذلك ويكفي أن أذكر أن الذين يعملون فيها ما بين طباخين وسفرجيين وقهوجيين (من يعدون القهوة)، يبلغ عددهم أكثر من عشرة ولهم سيارة من الحكومة تحت طلباتهم تنقل لهم الغنم والحطب وكل شيء، وهذا كما ذكرت بالإضافة إلى البيت المعد لنا في جدة والمجهز كذلك، ولن أذكر في يومياتي هذه الدعوات ودعوات الشاي والغداء والعشاء التي كانت تعرض علينا هناك لأنها كثيرة.

يوم الثلاثاء ٢ / ٢ / ١٣٧٢هـ:

أرسلت اليوم لنا بعض القضايا في البيت ولم يتم تشكيل المكتب، ولذلك فقد أجل استجلاب أربابها حتى غد.

أما نحن أنا وزميلاي الآخران مع فضيلة الشيخ وهما علي العجاجي وعبدالله بن سليمان بن حميد، فقد أطلق علينا رسمياً اسم (الهيئة المساعدة لفضيلة الشيخ عبدالله بن حميد).

قال فضيلة الشيخ: إنه ما دام أن عملنا هنا في مكة وإننا لن نسافر منها إلى جدة أو غيرها إلا بعد أن ننتهي منها، فإننا سوف نترك بيتنا الذي في جدة لأننا لسنا في حاجة إليه.

وكذلك فقد استغنى فضيلته عن إحدى السيارتين اللتين جعلتا تحت طلبنا مكتفياً بواحدة، قائلاً: إنها وحدها تقوم بلازمنا، وقد أخبرنا بعد ذلك بأن بيتنا في جدة قد أنزل فيه أحد المهمين في الحكومة.

وفي آخر هذا النهار خرجنا للتنزه بالسيارة إلى جهة أسفل وادي مكة المسمى هناك بالمسفلة.

ورجعنا إلى مكة قبل غروب الشمس بخمس دقائق.

يوم الأربعاء ٣/٢/١٣٧٢هـ:

مدرسة جلالة الملك:

نزلنا في المكتب الجديد وهو المدرسة أو هكذا يطلقون عليها الملاصقة للحرم المكي الشريف، وهي إذا فتحت نوافذها تبدو وكأنها من الحرم لأنه لا حاجز يحجز بينها وبينه إلا تلك النوافذ.

وقد اخترناها على ذلك المكتب الفخم مكتب الأمير فيصل لأنها منعزلة عن دوائر الحكومة، ولأنها قريبة من الحرم فبإمكاننا أن نعمل فيها ثم نصلي في مكاننا مع إمام الحرم.

وجدناها مجهزة ببعض أدوات المكتب، أما البعض الآخر فقد أرسلنا الفراش لكي يحصل عليه، وقد حصل على بعضه اليوم، كما حضر فيها اليوم لدى فضيلة الشيخ مدير الأمن العام في المملكة العربية السعودية موفداً من قبل سمو الأمير سعود، ويحمل توصيات من سموه بتنفيذ جميع ما يحكم به فضيلته من قضايا، وقد أرسل فوراً ضابطاً من الشرطة وخمسة من الجنود ليكونوا تحت طلبنا.

وقد حضر مهندس التلفونات وركب جهاز التليفون في مكتبنا هذا أو في مدرسة جلالة الملك كما يسمونها، ولم يستمر العمل القضائي اليوم .

يوم الخميس ٤/٢/١٣٧٢هـ:

ذهبنا إلى المحكمة أي المدرسة المذكورة، وقد وردتنا بعض المعاملات، فكتب بيان بأسماء المتداعيين وأعطي للجنود لكي يستجلبوا أرباب تلك القضايا فحضر بعضهم والبعض الآخر لم يحضر، وجرى النظر في بعضها وأجلت إلى حين استكمال بعض الأشياء اللازمة كإحضار مستندات أو غيرها.

هذا وجميع تنقلاتنا كانت بالسيارة مع أن بيتنا قريب جداً من المكتب، ولكن ما دامت السيارة تحت طلبنا في كل وقت ولحظة وهي بدون عمل فلنستعملها إذن في كل شيء.

نزهة:

خرجنا بالسيارة بعد عصر اليوم إلى بستان الوزير المسمى (بستان الزاهر) ويقع غربي مكة في آخر العمارة منها فالفيناه بستاناً جميلاً انيقاً متقن التنظيم بديع التنسيق حتى إنه ذكرني بالبساتين التي رايتها في الظهران لدى الأميريكيين، جلسنا فيه على بساط أخضر يحوطه حائط أخضر يسمع من قرب خرير الماء حوله.

وقد لبثنا فيه ما يقرب من الساعة قضيناها في المطالعة على الشيخ بكتاب كنا قد ذهبنا به معنا ثم عدنا إلى الحرم قبل غروب الشمس بنصف ساعة.

وبعد وصولنا للحرم بقليل وصل الأمير سعود إلى مكة من جدة لكي يطوف بالبيت ويصلي صلاة الجمعة في المسجد غداً، وقد ازدحم الناس وأغلبهم من

السوقة لكي يروه وقد دخل المسجد تتقدمه ثلة من الجنود ويتبعه ثلة منهم كذلك، ولكن ذلك لم يكن ليحجبه عن أنظار المتطلعين تماماً بسبب طول قامته، وبعد أن طاف بالبيت وصلى المغرب خرج إلى القصر الملكي في مكة.

أناس بارزون:

كنت سابقاً حريصاً على الاتصال بكل شخصية بارزة واعد اليوم الذي أتصل فيه بشخص بارز يوماً استفدت فيه فائدة كبيرة، أما بعد أن رافقت الشيخ في هذه الرحلة فإنني أصبحت كما قال القائل:

تفرقت الظباء على خراش فما يدري خراش ما يصيد

لقد حاولت أن أحلل وأحلل ولكن المحلَّلات كانت أكثر وأكبر من معامل التحليل الموجودة لدي، لقد قابلت في هذه الرحلة أكبر شخصية في المملكة، بل ولعلها أن تكون أكبر شخصية في البلاد العربية كلها، ألا وهي شخصية الملك عبدالعزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية، ثم أمراء وعظماء وقضاة ومشايخ ورؤساء وأكابر وأمراء مقاطعات أي حكام إداريين ووجهاء وتجاراً وأعياناً وغيرهم.

ولذلك فإنني لم أذكر في هذه اليوميات كثيراً من الذين لاقيتهم وهم يستحقون أن يذكروا، كما كنت أفعل قبل ذلك.

والشيء البارز في بحثي الذي خرجت به من هذه المقابلات أو على الأصح في انطباعاتي من هذه المقابلات لأن الحقيقة أنني لم أستطع أن أبحث في أسباب تكون

هذه الشخصيات وفي مميزاتها بحثاً صحيحاً.

أقول: إن الشيء البارز فيها هو أن شخصيات هذه المملكة وأنا أقول ذلك عن يقين لأنني قابلت الكثير منها كما سبق أن قدمت إن الشيء البارز هو أن هذه الشخصيات تنقسم إلى قسمين: شخصيات برزت لكونها قريبة من الملك عبدالعزيز وملازمة له من حين ظهوره إلى الآن تقريباً وهي موضع ثقته وظهورها وليد اختياره وهذا القسم من الشخصيات تكون كفؤاً لما أهلت له، وتكون قد استحقت ذلك البروز والظهور عن جدارة و استحقاق.

والقسم الثاني من الشخصيات شخصيات برزت حديثاً أو برزت لأن عائلتها أو من تتصل به قد امتازت بالبروز، وهذه الشخصيات يغلب عليها أن تكون لا تستحق ذلك البروز لولا ما أحاطها من ظروف وإمكانات جعلتها تبرز وتظهر.

ويصيب الشخص الذي يتعرف بها خيبة أمل إذا ما تعرف بها أو اطلع عليها على حقيقتها، فيجد أن الثياب التي على بعضها تستر حقيقتها، أو إنها شخصيات لا تستحق ولا بعض تلك المظاهر التي منحت إياها.

يوم السبت ٦/٢/١٣٧٢هـ:

باشرنا العمل اليوم في المكتب، أو على الأصح في المحكمة وحضر المدعون في القضايا كما أحضر المدعى عليهم الذي أحضروا بواسطة الشرطة بناء على أمر الشيخ بإحضارهم، وقد جلس الشيخ في الوسط على الأرض، وتحته بساط وعلى يمينه مخدة كما جلست أنا عن يساره وجلس مندوب رئاسة القضاة واحد أعضاء الهيئة الرئاسية القضائية الذي انتدبته رئاسة القضاة لكي يساعد الشيخ في القضايا كما أمر بذلك ولي العهد المعظم، والمذكور أي مندوب الرئاسة هو الشيخ ناصر بن محمد الوهيبي، كما حضر أحد الرفاق الذين معنا، وكان يجلس بين يدي الشيخ.

وقد عرض اليوم قضيتان تم انجاز واحدة منهما وأوقفت الأخرى بينما يحضر شهود طلب إحضارهم أحد المتخاصمين.

وقد تم انجاز القضية الأولى على الوجه التالي:

جلس الشيخ كما سبق وجلس أمامه قريباً منه المتخاصمان على الأرض أيضاً وبينهما وبينه ما يقرب من المتر، فقال الشيخ: نعم، ولم يتكلم أحد، ثم قال نعم أيضاً، ولم يتكلم أحد.

ثم قال الشيخ أيكما المدعي؟ فأجاب أحدهما: أنا.

فقال الشيخ ما اسمك؟ فأجاب: فلان بن فلان فقال: تكلم بدعواك.

فأجاب قائلاً: لقد سبق أن تكلمت وهذه هي دعواي موجودة لديكم هذا هو ملفها.

لقد تكلمت طويلاً لأن لها الآن أكثر من ثلاث سنين في المحكمة.

فقال الشيخ: كل ما راح ليس لنا بذكره غرض عليك الآن أن تتكلم بدعواك بلسانك مجدداً.

فتكلم المدعي بدعواه وهو يتعثر بكلماته لأنه لم يعتد مثل ذلك، وإنما كانت العادة أن يعد الدعوى للمدعي أحد المحامين ثم يذهب بها المدعي مكتوبة إلى القاضي فيسلمها له أو يقرأها بنفسه.

وعندما فرغ المدعي من دعواه، قال الشيخ للمدعى عليه: وش تقول؟

أي ماذا تقول: فأجاب أكتفي بما سبق أن قلته سابقاً، فقال الشيخ: قل الآن.

فتكلم بما يدفع تلك الدعوى.

فالتفت إليَّ الشيخ وقال لي: أعد عليَّ ما قرأته سابقاً من موجز الدعوى والإجابة عليها في الملف الخاص بقضيتهما، فقرأته عليه وكان قد قرأه قبل ذلك في البيت، ثم قال الشيخ للمدعي: أين الشهود الذي ذكروا في ملف القضية الذين سبق أن قلت لك أحضرهم.

فأجاب: هم الآن حضور، ثم أدوا شهادتهم فحكم الشيخ وانتهت القضية. وكتب من الشيخ لمدير الأمن العام بإنفاذ الحكم الصادر منه.

ولم يعط صاحب القضية صكاً بالحكم مباشرة، بل أعطي رقم المذكرة الصادرة من الشيخ إلى مدير الأمن العام وتاريخها لكي يعقبها في الإدارة المذكورة.

كما تكلم المدعى عليه عندما أصدر الشيخ حكمه وذكر أنه غير قانع بالحكم، فقال له الشيخ: ومن قال لك أن تقنع؟!!

والجدير بالذكر أن أحكام الشيخ كلها لا تقبل التمييز أو الاستئناف أو التصديق، أو المعارضة من أحد، بل هي ملزمة للخصوم بمجرد إصدارها، وعلى مدير الأمن العام بموجب توجيه من ولي العهد بذلك عليه أن ينفذها.

هذا وقد أشرت على الشيخ أن يكتب للذي حكم له صكاً مؤيداً بيده، حذراً من أن يستأنف المحكوم عليه القضية بعد غيابنا عن مكة فلا يجد المحكوم له مستنداً بيده، ولكنه قال: يمكنه أن يتصل بنا في أي وقت، وكتابتنا لمدير الأمن العام فيها الحكم وكيفية تنفيذه.

أما القضية الأخرى فقد أجلت لاستكمال الاطلاع على بعض الحجج التي ذكرها المدعى عليه في وقته وقد تأجلت إلى ما بعد غد.

كما راجع اليوم بعض أرباب القضايا وقد ضرب لثلاثة منهم مواعيد في غد وأمر الشرطة الذين عندنا بإحضار خصومهم غداً إلى محكمتنا بعد أخذ أسمائهم من المدعين، وقد أخذنا معنا من مكتب المحكمة ملفات القضايا المذكورة وبعضها يبلغ عدد أوراقه المائة والخمسين، وواحدة منها خمسة وثمانون وأخرى خمسون.

وبعد أن صلينا الظهر في المحكمة نفسها التي سبق أن قلت إنها مدرسة كما تسمى بجانب الحرم المكي وإنها تطل عليه بواسطة شباك يفتح فتصبح وكأنها جزء منه إلاَّ أن أرضها أعلى من مستوى أرض المسجد بما يقرب من قامة الرجل الطويل.

أقول: بعد أن صلينا الظهر في المحكمة مع إمام الحرم ركبنا السيارة عائدين إلى البيت وقد قلت سابقاً إن المسافة بينهما لا تحتاج للركوب على السيارة لقصرها لولا أن السيارة ليست ملكاً لنا ولكنها تحت طلبنا مجهزة بكل شيء من وقود وغيره.

عدنا إلى البيت فتناولنا غداءنا ويتألف من خروف كامل قد قسم إلى قطع صغيرة ومن ستة صحون أرز تكفي لإطعام خمسة وعشرين رجلاً أو يزيدون وحدها وكذلك ما يتبعها من الفواكه والأمراق والحلو وغيرها وقد سبق أن

ذكرت بعض ذلك.

وبعد أن انتهينا ذهبت إلى غرفتي الخاصة وذهب كل من الرفاق إلى غرفته الخاصة.

وقبل آذان العصر بقليل امتطينا السيارة إلى المسجد الحرام حيث صلينا العصر ثم خرجنا إلى جهة منى حيث مكثنا آخر العصر حتى صلينا المغرب قريباً من ماء أحد منافذ عين زبيدة غرباً عن منى وكان الجو معتدلاً والنسيم عليلاً.

ثم عدنا إلى المسجد الحرام قبل صلاة العشاء بقليل.

وبعد أن أدينا صلاة العشاء في الحرم رجعنا إلى البيت، ثم تناولنا العشاء الذي كان مثل الغداء بدون زيادة ولا نقص كما هي العادة ثم قرأنا ملفات القضايا التي سوف تعرض على محكمتنا غداً، وانتهى هذا اليوم بذهابنا إلى النوم.

وقد ذكرت كل ما ذكرت بالتفصيل لأنني أظن أن الأمر سيجري في الأيام التي تليه كما جرى اليوم إلا أن النظر في القضايا سوف يستمر ويكثر، فيما نقدر.

يوم الخميس ١١/٢/١٣٧٢هـ:

الآن تبين لنا أنه لو لا وجود مندوب رئاسة القضاة معنا وهو الشيخ ناصر بن محمد الوهيبي وهو الرجل النجدي الذي أمضى أكثر من عشرين سنة في الحجاز أقول إنه لو لا وجوده معنا لصعب علينا معرفة بعض مصطلحات العامة من أهل الحجاز، ومن كلامهم، فهو الذي يفسر لنا دائماً ما لا نعرف منها.

وقد تبين لنا أن الفرق بين أهل نجد وأهل مكة يجعل من المستحيل أن تطبق عليهما أحكام عامة بدون أن يكون في ذلك خروج عن العادة والفات للنظر إلا بعد مدة طويلة من الاتصال والامتزاج تحت علم المملكة العربية السعودية، وبالمقارنة بينهما- أي أهل الحجاز وأهل نجد- تبين لنا أن أهل الحجاز أرقى معيشة من أهل نجد، وهذا أمر طبيعي لأن معظمهم عاشوا في مدينة هي مكة المكرمة ومدن أخرى في المنطقة وهم على اتصال مستمر بأهل الأمصار الإسلامية عن طريق الحج والمجاورة في الحرمين الشريفين.

يوم الثلاثاء ١٦ ٢ / ١٣٧٢هـ:

على مائدة سمو ولي العهد المعظم:

كان ولي العهد الأمير سعود قد دعا لفيفاً من وجهاء الحجاز وكبارها وكذلك من المقيمين فيها من أهل نجد إلى مأدبة عشاء تقام بعد صلاة المغرب اليوم في القصر الملكي بجدة (قصر خزام).

وقبل صلاة العصر كنا نغادر مكة قاصدين جدة فصلينا العصر في (بحرة) منتصف الطريق تقريباً بين مكة وجدة ثم قصدنا بعد وصولنا جدة إلى شاطئ البحر حيث أمضينا فترة ما بين العصر والمغرب هناك في النظر إلى البحر والمشي حوله ثم صلينا المغرب وقصدنا القصر.

في القصر الملكي:

تركنا سيارتنا في الساحة الخارجية للقصر المذكور ووجدنا أحد رجال الأمير سعود بن عبدالعزيز ولي العهد المعظم من أصل نجدي ينتظر قدومنا ليقوم بتكريم الشيخ.

وقصد الرجل المذكور بالشيخ ونحن معه إلى قاعة الاستقبال فأجلس الشيخ مما يلي المقعد المخصص لسمو ولي العهد المعظم إلى جهة اليسار، وكان بينه وبين المقعد المذكور فضاء يسير وجلسنا نحن إلى جانب الشيخ.

أما أعيان أهالي الحجاز وكبراؤهم من جدة ومكة فقد جلسوا في المجالس غير الملاصقة لمجلس ولي العهد.

ولبثنا قليلاً وكبار القوم يتقاطرون إلى المجلس فرادى وجماعات صغيرة.

أما قاعة الجلوس هذه فهي عبارة عن ردهة ليست مسقوفة قد فرشت بقطع السجاد وصفت عليها الكراسي التي تتسع لحوالي مائة مدعو وهي تعلو عن الأرض حوالي المترين ولا أدري هل هي سطح أم إنها مكان من الأرض مدفون ما بين جدرانه، وفيما كان يدخل المدعوون وقد وصل بعض كبار الموظفين، أو المقيمين في الحجاز فجلسوا إلى جهة اليمين من المقعد المعد لولي العهد ومن بين أولئك مدير المعارف العام ورئيس القضاة ورئيس المحكمة الشرعية الكبرى ورئيس محكمة جدة.

فيما كان ذلك كان ولي العهد يدخل إلى المجلس بقامته المديدة وجسمه الرَّيَّان وقبل أن يجلس على كرسيه بادره أهل الحجاز بالسلام وكل واحد منهم يقبل يده بعد أن ينحني عليها قليلاً، أما أهل نجد الحاضرون فقد اكتفى بعضهم بمصافحته وبعضهم لم يصافحوه نظراً لزحام الحاضرين.

وعندما فرغ من ذلك وجلس في كرسيه التفت إلى الشيخ عبدالله بن حميد فحياه وأشرنا نحن وبقية أهل نجد بتحيته، ثم أديرت القهوة.

وفي هذه الأثناء دخل سمو الأمير فيصل أخوه ووزير خارجية المملكة العربية السعودية، وكان قدم لوقته من الرياض فسلم على ولي العهد فصافحه منحنياً ثم سلم عليه بعض الحضور مقبلين يده ثم جلس مع الذين هم في صدر المجلس كما قدمت، وربما كان ذلك لكون أهل نجد ضيوفاً هنا.

ثم دعينا إلى العشاء، فنهض سمو ولي العهد ونهض معه الجميع قاصدين غرفة الطعام فمشينا في ممر طويل حيث أدى بنا ذلك الممر إلى الغرفة المذكورة فألفينا المائدة الكبيرة الطويلة قد صفت حولها المقاعد وحولنا الطهاة من السودانيين الذين كانوا يترددون ببعض أنواع الطعام التي لم تتسع المائدة له، وكان السخاء والوفرة يظهر واضحاً في كل شيء من المائدة حتى في أصناف الفاكهة والحلويات.

كان الجميع يأكلون وهم مسرورون فرحون بكل ذلك وجميع اسباب السرور متوفرة.

إلا أنني ألاحظ أن جميع ما في هذه المائدة من الخارج وأنه ليس فيها شيء من نتاج البلاد، حتى ولا الفاكهة ولا الحلوى ولا اللحم.

إنني أذكر ذلك فأتأسف ولا يهنأ لي أكل هذا الطعام اللذيذ بدون أن يكدر عليّ ذلك التذكر، ولا أتخلص من هذه الأفكار فأقارن في نفسي بين شيئين ماذا لو أخذنا ثمن هذه المائدة الكبيرة وأمثالها وصرفناه فيما ينقص البلاد من جميع النواحي أو بعضها، أفلا يكون أولى من إقامة مثل هذه المآدب التي لا يستفيد منها إلا من يبيعون محتوياتها وهم أجانب؟

كل شيء هنا كما قدمت ينطق بالسخاء وليس طعام المائدة كله هو الذي نتاج الخارج وليس من فيه من نتاج البلد شيء بل إن جميع أثاث المحل وجميع مشتملات المائدة من الخارج ومصنوع في الخارج كذلك.

وزاد كمال المائدة أنها خلت من تقليد أهل نجد في مثلها تلك التقاليد البالية التي تحتم على المدعوين أن ينظروا إلى أكبرهم في القدر فيقلدوه في فراغه من أكله أو استمراره فيه، فإذا ما انتهى من الطعام ذلك الكبير انتهى الكل كذلك، ولم لم ينتهوا في نفس الأمر.

ولو انتهى أحد منهم قبله فلا يستطيع أن يتحرك من موضعه أو يظهر أنه قد شبع حتى ينتهي الكبير قبله.

هذا في نجد، أما هنا على هذه المائدة فكانت الحرية هي الطبق الذي ختم به الأكل فمن شاء فليستمر في الأكل ومن شاء فليقم، وقد كان سمو ولي العهد آخر الجالسين على المائدة قياماً عنها، وكنت ألاحظه وهو قريب مني.

عندما انتهى الطعام عدنا إلى قاعة الاستقبال التي تركناها منذ قليل، وعاد الجلوس إلى حالتهم الأولى فتكلم سمو ولي العهد ببعض الكلام، تكلم بلهجة نجدية، ثم أديرت القهوة ومباخر العود فاستأذن فضيلة الشيخ عبدالله بن حميد كما استأذن غيره من كبار المدعوين فقام سمو ولي العهد فصافحنا مودعاً.

وقد ذكرتني مصافحته بالمرة الأولى التي صافحت فيها والده جلالة الملك عبدالعزيز، وكانت يد كل منهما تكاد تبلغ في الحجم يدي رجلين من الرجال العاديين.

لقد صافحنا سموه هاشاً باشاً.

نزلنا من الردهة المذكورة وقد كان نزولنا في هذه المرة من طريق غير الطريق الأولى من درج غير مدرج إن صح هذا التعبير فقد كان الذي نزلنا منه مفروشاً (بالأسفلت) بدون درج وقد أعد كذلك لتصعد عليه سيارة جلالة الملك عبدالعزيز وذلك عندما ثقل جلالته وأصبح يشق عليه الصعود إلى القصر المذكورماشياً.

وقد ركبنا السيارة عائدين إلى مكة المكرمة.

وقد كنا أخذنا معنا الأمر لنا بالكتب فطلبنا من رئيس ديوان ولي العهد الأخ محمد بن سعيد أن يوضح أن الكتب المطلوبة كلها من أربع نسخ لفضيلة الشيخ واحدة ولكل واحد منا أي الهيئة المساعدة له- كما هو الاسم الرسمي لنا- نسخة واحدة وقد كان ذلك وننوي أن نذهب إلى مأمور الكتب بذلك.

يوم الأربعاء ١٧/٢/١٣٧٢هـ:

ذهبنا إلى مأمور الكتب بالورقة فوعدنا بشرائها وقال إنها تكلف قيمة كبيرة، وإنه لابد من وقت لتحصيلها من السوق لاسيما وأكثرها نادر، ثم استدرك يقول: إلاَّ إذا أردتم أن نسلمكم بدلاً من الكتب قيمتها، فقلنا إننا قد طلبنا كتباً فإذا لم يمكن تأمينها فلتؤمن قيمتها حتى نبحث عن الكتب ونشتريها بأنفسنا، وهذا في المشتريات أما الكتب الحكومية فقد وعدنا بتأمينها غداً أو بعد غد.

يوم الجمعة ١٩ / ٢ / ١٣٧٢هـ:

المرتب:

نحن الهيئة المساعدة للشيخ عبدالله بن حميد في إنهاء القضايا القديمة كما ندعى رسمياً فيما بعد ثلاثة أشخاص أحدهم أنا،والآخران هما عبدالله بن سليمان الحميد، وعلي بن عبدالعزيز العجاجي.

وقد انتدبنا ونحن جميعاً- موظفون واستمرت رواتبنا تصرف لنا من مالية بريدة، أحدهم وهو أنا حسب أمر رسمي من سمو ولي العهد والآخران يرجعان في عملهما إلى الشيخ بدون أمر من ولي العهد صريح.

ولكن هل يكفي صرف رواتبنا وحدها ونحن مغتربون ومسافرون حسب أمر ملكي من جلالة الملك؟

لا، ولذلك فقد دار في الرياض بين بعض الموظفين المختصين وبين فضيلة الشيخ نقاش حول ذلك ثم أُجِّلت المسئلة إلى ما بعد حضورنا للحجاز، والتأكد من جلوسنا فيه كثيراً، والآن وقد انتهى كل ذلك فنحن مازلنا نتباحث مع فضيلة الشيخ وقد اتفق رأينا على الكتابة إلى سمو ولي العهد المعظم بذلك وشرح الموضوع له على أن نسلمه لمعاون رئيس ديوانه ليسلمه لسموه، وذلك المعاون رجل صديق لنا وهو لا يألوا جهداً في مساعدتنا، ولم نكتب الكتاب اليوم.

يوم الأحد ٢٨ / ٢ / ١٣٧٢هـ:

بعد العصر قصدنا بالسيارة إلى مأمور الكتب أنا وأحد الرفاق حيث أخذنا منه حصة كل واحد منا نحن الهيئة المساعدة قيمة الكتب وهي تبلغ ألف ريال وخمسمائة وخمسين ريالاً، أي ما يعادل راتبي كمدير للمدرسة المنصورية الابتدائية أربعة أشهر تقريباً، كما استلمنا منه حصتنا من الكتب الحكومية وتبلغ أربعاً وخمسين مجلداً من سائر الكتب.

أما فضيلة الشيخ فلم يرغب تسلم القيمة وطلب الكتب بأعيانها فوعد المأمور المذكور بشرائها له.

يوم الاثنين ٢٩ / ٢ / ١٣٧٢هـ:

المخصص:

ليس هذا هو كتاب المخصص لابن سيده في اللغة، ولكنه المقدار المخصص في المالية لنا وقد سمي كذلك أي لم يسم مرتباً لأننا نتناول مرتباً من المالية عن وظائفنا، أقول إننا كتبنا ما اتفقنا على كتابته كما ذكرت في يوم الجمعة ١٩ من هذا الشهر إلى سمو ولي العهد وقد وافق سموه وكتب كتاباً أمراً بذلك إلى وزير المالية باعتماد مبلغ خمسمائة ريال لكل واحد منا شهرياً مدة عملنا في الحجاز مع الشيخ عبدالله بن حميد، وهذا هو نص الكتاب الموقع من سمو ولي العهد والمرسل منه إلى وزير المالية:

بسم الله الرحمن الرحيم

ابن سليمان

اعتمدوا تخصيص مبلغ خمسمائة ريال شهرياً لكل من الشيخ علي العجاجي والشيخ محمد الناصر العبودي والشيخ عبدالله بن سليمان بن حميد وذلك مدة عملهم مع الشيخ عبدالله بن حميد ابتداء من غرة صفر عام ١٣٧٢هـ.

التوقيع

سعود

وذهب به أحد الأصحاب فوراً إلى وكيل وزارة المالية فشرح عليه باحالته إلى مدير المالية العام للاعتماد.

يوم الثلاثاء ١٤ ربيع الأول ١٣٧٢هـ:

اليوم يكون قد مضى على بدء رحلتي بصحبة فضيلة الشيخ عبدالله بن حميد شهران كاملان، و قد كان ورده في البرقية التي أرسلت إليه من قبل، والتي أمر فيها بالسفر بأن مهمته سوف تستغرق شهرين يعود بعدها إلى عمله.

مضى اليوم شهران على سفرنا من بريدة نصف شهر من هذين الشهرين أمضيناه في الرياض والشهر والنصف الآخران أمضيناها في مكة المكرمة ولا نزال.

ها قد مضى شهران فهل انتهت مهمتنا كما قيل في البرقية؟ الواقع أنه قد بقي على انتهائها ليس شهرين فقط وإنما عدة شهور كان فضيلة الشيخ عبدالله حينما سافر من بريدة لا يعرف مهمته على وجه التحديد ولكنه قيل له إنها في الحجاز أما الآن فقد ابتدأنا في العمل وتبينت المهمة فكانت النظر في القضايا القديمة في عموم الحجاز.

يوم الاثنين ١٩ / ٤ / ١٣٧٢هـ- ٥ / ١ / ١٩٥٣م:

وثيقة صحيحة:

تلك هي الوثيقة التي أبرزها أحد المتاصمين في إحدى القضايا التي عرضت على فضيلة الشيخ اليوم وتناولتها لأقرأها وكانت تقضي بوقفية حوش داخله عشتين واقع كل ذلك بحارة الباب من مكة المكرمة.

وجدت الوثيقة المذكورة مؤرخة في ١٣٦٣/١/١هـ ومذيلة بختم مالك الحوش المذكور ومحتوياته وتقضي أنه وقف وسبل وابد الخ ألفاظ الوقف المترادفة وبمراجعة حجة تملك الواقف للحوش الموقوف وجدناها مؤرخة في عام ١٣٦٤هـ أي بعد الحجة المزعومة بأكثر من السنة مع أن كاتب الوثيقة الأخيرة كاتب معروف معتبر وشهودها كذلك بخلاف كاتب وشهود الوثيقة الأولى.

وأحاط فضيلة الشيخ والإخوان بذلك وكان هذا كافياً ليظهر أن الوثيقة مزيفة إلا أنني أعدت النظر والتأمل مرة ثانية في تلك الوثيقة فتبين أنها ليس عيبها الوحيد ذلك فحسب بل ظهر أن الختم الذي قد ذيلت به، وقد كتب عليه اسم الواقف أنه مؤرخ في عام ١٣٦٥هـ أي بعد تاريخ كتابتها بسنتين أي أنها كتبت قبل أن يصنع ذلك الختم بتلك المدة.

ذكريات:

هذا اليوم هو يوم الذكريات فقد ذهبت اليوم إلى مقر مديرية المعارف العامة بمكة وقد كنت بعيد العهد به لأن لي عنه أكثر من سبعة عشر شهراً وليس ذلك فحسب فإن الذي جعلني استعيد ذكرياتي فيه ليس ذلك وإنما لأنني سبق لي أن أقمت فيه إقامة كلية لمدة عشرة أيام في عام ١٣٦٩هـ.

والشيء الثاني الذي أثار ذكرياتي هو لقائي الأستاذ حسين حسن المفتش المصري المنتدب فإنني على الرغم من وجوده بمكة ووجوده بها طيلة هذه المدة لم ألقه إلى اليوم وقد كان قد سبق لي التعرف به خلال دوراته التفتيشية على مدارس القصيم ومنها مدرستنا في عام ٧٠ و٧١ وقد توطدت بيني وبينه الصداقة وقد عمل معي معروفاً بذلك لن أنساه، التقيته اليوم فكان سلامه حاراً وأبدى أسفه لعدم اجتماعنا قبل ذلك وطلب معرفة محل اقامتي ليتصل بي فشكرته وطلبت منه كذلك محل اقامته وقلت إنني أحق بأن أتصل بكم، وقد أثار لقائي به أشياء كثيرة وذكريات محزنة ومفرحة، فقد كان معي على موظف كبير كان حاول أن يشتري ضميره وإخلاصه لواجبه بالنقود فأبى عليه ذلك وكان ذلك الموظف يستغل جميع ما أسند إليه من أعمال في مصالحه الخاصة ويشرك كل مفتش يرسل للتفتيش عليه في ذلك حتى أصبح المفتشون شركاء له، فأخذ صديقنا هذا يناصرني في الحق ويصحح أخطاء أسلافه من المفتشين المصريين وغيرهم.

هذان شيئان والشيء الثالث فهو: كانت هذه الليلة والليلة الجمعة هي عطلتنا عن دراسة العلوم الدينية على فضيلة الشيخ بالحرم المكي بعد المغرب

فلذلك عزمنا على أن نأخذ معنا ما يجب للنزهة بالسيارة من فاكهة وشاي وقهوة وخرج الشيخ مع بعض الإخوان من البيت إلى المسجد الحرام قبل صلاة العصر في السيارة التي تحمل كل شيء أما أنا واحد الإخوان فقد تأخرنا للوضوء على أمل أن نلحقهم في الحرم ولكننا صلينا في البيت لتأخر الوقت ثم خرجنا إلى الحرم فلم ندركهم وظنوا أننا سوف نلحق بهم.

لذلك فقد تجولنا بالحرم المكي جميعه، وزرت رباط الداودية الملاصق للحرم وفي هذا الرباط كنت قضيت قرابة العشرين يوماً في واحدة من غرفه في النهار فقط أما في الليل فإنني أنام مع أقاربي في مكة.

وقد خصصت تلك الغرفة لسكنى النهار لكونها قريبة من الحرم وقريبة من محل عملي في مراجعة المعارف حول شؤون المدرسة، ومراجعة المكاتب لأنني أشتري كتباً لمكتبة جامع بريدة وذلك كله قبل أكثر من سنتين.

هذه الأشياء الثلاثة أثارت ذكريات لم يستطع شيء أن يرجعها إلى مكانها في أعماق الذاكرة لو لم يكن هذا الشيء هو تذكري لبيتي وزوجتي وأثاث منزلي ومنه جهاز الراديو وكتبي وأوراقي فقد كنت اليوم وحيداً منذ صلاة العصر إلى بعد صلاة العشاء وقد امتنع فكري عن الكتابة وجف المداد في قلمي فحاولت أن أخرج وأجول في الأسواق وأتفرج على بعض الأماكن ولكنني تذكرت أنني اعتبر من الناحية الشكلية عضواً في هيئة قضائية يجب أن تظل بعيدة عن الناس حتى يظل احترامها في مكانه من النفوس.

ولذلك فقد أمضيت ذلك الوقت باجترار الذكريات حيناً ومطالعة بعض القصص والروايات حيناً آخر، على أن في تلك القصص والروايات ما يزيد ذكراي، ويزيدني شوقاً إلى ما اشتقت إليه فأتركه إلى غيره، ولكن ما حيلة الإنسان وبلاؤه في نفسه وذكرياته في خاطره وشوقه في ضميره وأنى له الهرب من نفسه وخاطره وضميره؟!

يوم الثلاثاء ٢٠ / ٤ / ١٣٧٢هـ- ٦ / ١ / ١٩٥٣م:

الاحترام:

اقصد بالاحترام هنا احترام الشخص أو الأشخاص لغيره أو لغيرهم هل هو في نفس المحترم أم نفوس من احترموه أي هل الذي يوجب احترام الناس للشخص هو شيء في نفسه هو أم هو شيء في نفوسهم هم.

قد يكون لشيء في نفسه أي الشخص المحترم بفتح الراء كأن يكون قوي الشخصية ذا صفات ممتازة ولكن ذلك لا يمكن إلاَّ بعد الوقوف على المزايا التي تسبب احترام الناس له أو الاتصال والاحتكاك به ليسبب ذلك احترام الناس له لقوة شخصيته وقد يكون الاحترام لشيء في نفوس الناس المحترمين بكسر الراء لا لشيء في نفس الشخص المحترم بفتحها فقد يكون منشأ احترام الناس لشخص ما قد سببه مظاهر محترمة وحتى لو مصطنعة قد يكون كل ذلك وكل القسمين صحيح.

والذي دعاني إلى التفكير في هذا هو أنني مررت اليوم فيما بين الحرم المكي وفيما بين بيتنا والطريق بينهما قصير، وكنت أرى رجلاً يجلس على كرسي أراه كلما ذهبت أو جئت على أنني قليل المشي بنفسي وإنما أكثر انتقالي على السيارة وهي تمر بطريق آخر غير ذلك الطريق وكنت إذا مررت بذلك الرجل سلمت عليه لأنني أراه مستشرفاً لأن أُسلم عليه فيرد علي رداً جميلاً عادياً.

وقد مررت اليوم عليه كعادتي وكان يجلس بجانبه رجل آخر فسلمت عليهما فرد كعادته أما ذلك الرجل الجالس معه فقد قام ونزل عن الكرسي ورد السلام بتأثر وبالغ في الاكرام في رد السلام لماذا؟

الجواب لأن له قضية تنظر لدى فضيلة الشيخ وكنت أحضر وأجلس عن يسار فضيلة الشيخ وأشترك في قراءة وثائق القضايا وابداء الملاحظات على مستنداتها، وقد رآني في ذلك المجلس الذي يجله هو ويعظمه إما خوفاً وإما لغير ذلك.

فهل يا ترى احترام ذلك الشخص لي هو لشيء في نفسه أم لشيء في نفسي؟ لاشك أن الجواب الصحيح أنه لشيء في نفسه هو لا لشيء في نفسي أنا ولكن الشيء أثر في نفسه حتى جعله يظنني أهلاً للاحترام.

يوم الأربعاء ٢١ / ٤ / ١٣٧٢هـ- ٧ / ١ / ١٩٥٣م:

ومن العجائب والعجائب جمة ... قرب الشفاء وما إليه وصول

كالعيس في البيداء يقتلها الظما ... والماء فوق ظهورها محمول

لعل لسان- تلك المرأة البائسة التي حضرت اليوم إلى المحكمة تحمل على صدرها طفلها الذي يبلغ من العمر الثالثة أو تزيد لعل لسانها لو نطق لما نطق بغير هذين البيتين.

أما قصة هذه المرأة وطفلها فتتلخص فيما يلي:

توفي منذ عامين رجل يسمى فلان السندي عن زوجة وطفل رضيع وكانت له زوجة قد طلقها قبل موته بأكثر من ثلاثة أشهر طلاقاً بائناً فما كان من تلك الزوجة المطلقة حين علمت بموته إلا أن دخلت في مأتم موته وجعلت تندبه كما تندب المرأة زوجها.

ووضع مأمور بيت المال يده على التركة كغيره من أهل مكة وغيرها من أكثر مدن المملكة ولا أقول كلها لأن جميع القطر النجدي لا وجود لبيت المال هذا فيه أصلاً، فادعت تلك الزوجة المطلقة بأن زوجها لم يطلقها وأنها في عصمته خاصة يوم مات وطالبت تبعاً لذلك بأن تعطى حقها من ميراث زوجها.

وبالطبع فقد انكرت الزوجة أم الطفل والوصي على الطفل استحقاقها في التركة وطلب من مأمور بيت المال أن لا يسلمها شيئاً من التركة وبعد مداولات

ومخاصمات أحيل النزاع بينهما إلى المحكمة الشرعية بمكة ومنذ سنتين والمحاكمة جارية إلى أن أحيلت تلك المعاملة إلينا في ضمن المعاملات والقضايا التي أحيلت وبعد النظر في ا لقضية وسماع الشهود اتضح أن الزوجة المطلقة لا تستحق من التركة شيئاً لأن زوجها طلقها في حياته حال كونه جائز التصرفات سليم العقل والبدن ولم يبق إلا إصدار صك بذلك ليعتمد عليه مأمور بيت المال.

وقد حضرت زوجة المتوفى وطفلها ولما سألناها لماذا حضرت بعد أن انتهت القضية أجابت قائلة: إنني الآن أموت جوعاً أنا وطفلي ولا نعيش إلا على حسنات المحسنين، في حين أن مالنا لدى الحكومة منذ أكثر من سنتين أطلب ما نستحق لنأكله، و قد طيبنا خاطرها وقلنا إننا نأمر فوراً مأمور بيت المال ليسلم لها استحقاقها وبعد ذلك نسلمه الصك.

هذا ولا يظن أن السبب في كون النظر في القضية يستغرق في المحكمة سنتين وربما يستغرق أكثر بكثير لو لم تحل إلينا لا يظن أن السبب في ذلك أنها قضية معقدة لا فهي لا تزيد على ما ذكرت ولكن السبب هو الإجراءات الإدارية مع عدم العناية بملاحظة أمور المحاكم من المختصين.

نزهة ولكن:

خرجنا بعد صلاة العصر في السيارة إلى قرب منى كعادتنا في مساء كل يوم وقد صلينا المغرب في مكاننا واستمعنا إلى الراديو وكنا نستمع وجلين خائفين نخشى أن يعثر بنا أحد من هيئة الأمر بالمعروف بمكة ذلك لأن تلك

الهيئة تخرج في دوريات إلى خارج مكة تبحث عن الذي يخرجون معهم بآلات اللهو فتتلف آلاتهم وربما جازتهم إذا تكرر فعلهم، ونحن بطبيعة كوننا نجديين وكوننا – كما يقال- مشايخ علم وكوننا لا نأخذ آلات لهو مجرد بل ولا نستمع من الراديو إلى غناء أو موسيقى لا نخاف أن نعاقب على فعلتنا أي استماعنا إلى جهاز الراديو المثبت بالسيارة عقاباً مادياً كعقاب غيرنا ولكننا نخاف من العقاب الأدبي نخاف أن ندفع الثمن غالياً من سمعتنا واحترامنا عند الناس، وبخاصة طلبة العلم.

يوم الخميس ٢٢ / ٤ / ١٣٧٢هـ- ٨ / ١ / ١٩٥٣م:

ما أحسن العدل:

كان من العادة الجارية في جلب الخصوم أن يرسل إلى عمدة الحارة التي يسكن فيها المدعى عليه جندي يحمل ورقة من المفوض أي الضابط الذي عين لمحكمتنا فيبحث عنه عمدة تلك الحارة حتى يحضره أو يدل عليه الشرطي وقد كان لأحد أعضاء مجلس الشورى قضية عينت لها أول جلسة يجب أن يحضر فيها الخصمان اليوم وكان المدعى عليه هو أمين العاصمة القائمقام محمد عبدالله صادق فقال ضابط الشرطة المسمى المفوض كما قدمت ماذا أصنع به هل يليق أنه يرسل له كما يرسل لغيره فقلنا له أجل فما كان منه إلا أن أرسل إلى عمدة المحلة قائلاً يجب إحضار محمد صادق إلى المحكمة لسماع الدعوى مع خصمه محمد الفاسي.

فما كان منه إلا أن حضر كما يحضر غيره وحضر خصمه كذلك وهو عضو بمجلس الشورى كما يحضر غيره وقد كانت قاعة المحكمة تكاد تنؤ بمن فيها فجلس أمين العاصمة خلف الناس وبعد أن فرغ من قبله قام فسلم على الشيخ وذكر أنه قد رفض توكيل من وكله في الدعوى وكان يدعى عليه بالوكالة.

وقد أعجبت بأخلاقه وعدم التفاته لمركزه وقد لبث أكثر من نصف ساعة هو وخصمه وعن يمينهما وشمالهما وحولهما البدو والعامة لا يميزهما عنهم إلا نظافة اثوابهما وطيب مظهرهما.

في مزدلفة :

ذلك المشعر العظيم الذي لم أكن أراه قبل هذا العام إلا مرة واحدة في ليلة واحدة من ليالي السنة مع ألوف بل مئات الألوف من الحجاج قد أصبحت الآن أراه وأحضر فيه في كل أسبوع، أو في الأسبوع مرتين وثلاثاً.

لقد ذهبنا مساء اليوم في نزهتنا وانتهجنا شعبة منه فأوقفنا السيارة واستمعنا إلى الأخبار من الراديو الموجود فيها وقد كنا قصدنا الاستماع إليه باهتمام أكثر من أية ليلة مضت لأن هذا اليوم فيما تذكر إحدى الصحف الداخلية يصادف ذكرى جلوس الملك على عرش المملكة، وقد ذكرت تلك الصحيفة أن الإذاعة سوف تخصص برنامجاً لهذه المناسبة.

وقد لبثنا في مكاننا هذا إلى ما بعد الساعة الثالثة والنصف ليلاً حسب التوقيت الغروبي.

يوم الجمعة ٢٣ / ٤ / ١٣٧٢هـ- ٩ / ١ / ١٩٥٣م:

غداء:

كان وزير الأمير فيصل بن عبدالعزيز نائب جلالة الملك في الحجاز، والوزير هذا في عرف أهل نجد شبيه بالسكرتير تقريباً إلا أنه عام في كل شيء في شؤون المال وغيرها، فقد كان من المعتاد أن يجعل الملك عبدالعزيز لكل ابن من أبنائه وزيراً يصاحبه وهو صغير ويشب معه يقوم بشؤونه التي يترفع عن ممارستها الأمير ويرعى حقوقه في كل شيء.

كان وزير الأمير فيصل وهو رجل من أهل الرياض قد ألح منذ مدة على فضيلة الشيخ عبدالله بن حميد ليجيبه إلى غداء يقيمه في بيته فامتنع فضيلة الشيخ أول الأمر وتحت إلحاحه الشديد اضطر إلى الإجابة فكان موعد الغداء اليوم بعد صلاة الجمعة مباشرة.

فعندما انتهينا من الصلاة في المحكمة وهي محل عملنا وهي تطل على المسجد الحرام ملاصقة له قصدنا إلى بيتنا فتناولنا فيه بعضاً من غدائنا المعتاد الذي تقدمه لنا الضيافة الحكومية، فأكلنا من الفاكهة.

ثم ذهبنا إلى صاحبنا بالسيارة، فتلقانا في بيته بكل إكرام وكان لطيف المعشر حسن الاستقبال مهذب الأخلاق وجلسنا في قاعة الاستقبال وهي قاعة فخمة مبنية على الطراز التركي القديم مؤثثة بأثاث فاخر قد مر عليها وقت من الأوقات وبناؤها غاية ما يكون البناء الجميل الفخم إلاَّ أن الزمن سار

وتركها فتحسن الفن المعماري وتغير وتبدل لتغير ذوق الناس بل لتغير الناس أنفسهم.

لا أطيل في وصف القاعة الواسعة وأثاثها إلاّ أن أقول إنها لا تختلف عن منازل الأمراء الكبار في الحجاز التي لم تمسها يد الفن الغربية إلا بقليل من التغير.

وبعد قليل انتقلنا إلى قاعة الطعام فوجدناه قد صنع لنا غداءنا، أقسم بالله أننا لم نأكل جزءاً واحد من مائة جزء منه فيه خروف وهو خروف كبير سمين وفيه غير ذلك من أصناف الطعام، وقد زاد على ما يصنع في الحجاز فصنع أنواعاً من الطعام التي تصنع في نجد مثل الجريش والقرصان، لأنه يعلم أننا هنا عزاب، وأننا لا يمكننا تناول طعام نجد لأنه لا أحد يصنعه هنا.

أكلنا قليلاً ثم خرجنا من عنده مودعين منه بكل إجلال وتكريم، ولقد انتابتني شتى المشاعر عندما خرجنا من عنده، لم كل هذا الإسراف؟

وما الداعي إلى ذلك كله؟

الخوف من هيئة الأمر بالمعروف:

قد كان أحد جيراننا يختلس في بعض الأحيان فرصة لا يظن أن أحداً من أعضاء الهيئة يسمعه فيها فيفتح الراديو خلسة ليستمتع ببعض الألحان، ولكن لسؤ حظه سمعه خلسة كذلك أحد أعضاء الهيئة فحضر بعد المغرب مع آخر من الهيئة وجلسوا في بيتنا مختفين بين جدرانه علهم يسمعون من صاحب ذلك البيت موسيقى أو غناء من الراديو فيعاقبونه على ذلك، ولكنهم لسوء حظهم ولحسن حظ صاحب البيت ذهب كل الوقت بين العشائين ولم يظفروا ببغيتهم ولم يسمعوا الراديو تلفظ ببنت (محطة).

وهكذا لم تنجح الخطة ورجع الكمين إلى العرين مخفوض الجبين.

يوم الأحد ٢٥ / ٤ / ١٣٧٢هـ- ١١ / ١ / ١٩٥٣م:

العمر الطويل له الله!!!

انتهت اليوم الدعوى التي أقامها الشريف (....) على قريبه الشريف منصور وملخصها: يدعي الشريف المذكور أن والد الشريف منصور قد وقف عقاراً يحتوي دكاكين ودوراً وأنه وقفه على نفسه ومن بعده على ذريته على أولادهم وعلى أولاد أولادهم ثم على نسلهم وعقبهم ما تناسلوا وتعاقبوا نسلاً بعد نسل وعقباً بعد عقب، فإذا انقرضوا كان وقفاً على عصبة الشريف المذكور ويقول الشريف المدعي: إنني من العصبات وإن هذا الناظر ابن الواقف قد اهمل بعض الوقف أرجو محاسبته وكفه عن اهماله لآن الوقف يعود لي ولذريتي إذا انقرض أولاد الواقف ونسله.

أما الشريف منصور المدعى عليه فيقول إن ذرية والدي الواقف كثيرون أحدهم أنا ولي ذرية، ولن يؤول الوقف إلى هذا المدعي أو حتى لأولاده أو لأولاد أولاده إلا بمعجزة وأنا أقول إنه الآن غير مستحق في الوقف.

وكان الحكم أن لا حق له في التدخل في شؤون الوقف لأنه ليس من أهل الاستحقاق اللهم إلا إذا حصل من الناظر تفريط كبير وإضاعة للوقف فإنه تسمع دعواه لأجل الوقف نفسه لا لأجله هو.

وبهذه المناسبة مناسبة الكتابة عن هذه القضية أقول إنه يجري النظر كل يوم في عدة قضايا تبلغ ملفات بعضها أكثر من مائتي ورقة، ومبلغ عدد القضايا تسع قضايا إلى سبع كل يوم ولكنني لا أذكر هنا إلا ما هو غريب أوما يتسع ذهني وخاطري للكتابة عنه.

يوم الاثنين ٢٦ / ٤ / ١٣٧٢هـ- ١٢ / ١ / ١٩٥٣م:

قد قاربنا النهاية إن شاء الله:

نؤمل الآن أن ينتهي عملنا من مكة في آخر الشهر المقبل أي جمادى الأولى ولكن إذا انتهى عمل مكة فليس معناه أنه سينتهي عملنا مطلقاً لأنه أمامنا الطائف وجدة والمدينة وهذه المدن الثلاث لا نستطيع أن نقدر مدة إقامتنا فيها لأننا لا نعلم كم القضايا التي سوف ينظر فيها فضيلة الشيخ، ولذلك فقد طلب فضيلته منذ أيام من رئيس القضاة أن يستعلم له من قضاة محاكم هذه المدن عن القضايا التي من أختصاص فضيلة الشيخ النظر فيها فجاءه الجواب منهم فأرسله هو بدوره إلى فضيلة الشيخ اليوم.

ولقد سرنا جداً لأنه يتضمن أن في المدينة ست عشرة قضية فقط وفي الطائف اثنتان وعشرون.قضية فقط وفي جدة عشرون.

وهذه الأرقام كلها كنا نظن أنها أكثر من ذلك وعلى هذا فإننا الآن نستطيع أن نقدر المدة اللازمة لانتهائنا من العمل والظاهر أنه سيكون فراغنا في آخر شهر رجب أو أول شهر شعبان هذا إذا ما سارت الأمور في مجاريها كما هي عليه اليوم، أما إذا اختلف الوضع أو جاء أمر جديد، فذلك لا يمكن الحكم عليه ولا التكهن به فلننتظر إلى ذلك الحين بعون الله.

لقد سر الرفاق لكون العمل في المدن الثلاث أقل مما قدر حسابه وكذلك سررت أنا مثلهم بذلك من جهة واستأت من جهة أخرى، سررت لأنني سوف أعود إلى وطني وبيتي

وكتبي، وحريتي الكاملة أيضاً، ولكن مع فراغ العمل انقطاع استلامي للمرتبين مرتب من مالية بريدة لوظيفتي كاملاً ومرتب من مالية مكة أكثر من مرتب الوظيفة ومعه فراغ العمل ايضاً العودة إلى العمل بإدارة المدرسة وهو ما لا أحبه الآن بل أحب أن تكون اجازتي منها سنة كاملة لضعف المرتب كما أنني قد استمعت بتلك الإجازة من العمل وإن كانت في عمل آخر فالإجازة من العمل ليست هي دائماً في ترك العمل وإنما قد تكون في التحول منه إلى عمل آخر ليس من نوعه.

ولقد اشبعت تلك الإجازة من تلك الغريزة المتأصلة في نفسي غريزة الاستكشاف والاستطلاع لأن الرحلات والدخول في مداخل لم أعرفها من قبل ومخالطة أشخاص وهيئات كبيرة لها مقامها في المجتمع شيء مفيد لي فائدة كبيرة وإنني بهذه المناسبة قد أزددت شكراً لله تعالى حين قابلت بعض الشخصيات التي كنت أسمع عنها من قبل، وعرفت أنها لا تمتاز إلا بالشهرة فقط، وأنها لأناس عاديين بل أقل من العاديين في بعض الأحوال.

عرفت بعض أولئك الرجال أو هكذا يسمون- فعرفت أنهم لا يستحقون اسم الرجال فضلاً عن اسم الأبطال فأردت أن ألقي بالذنب ذنب وجودهم وذنب تجنيهم على الحقيقة عليهم فوجدت أن الذنب في الحقيقة ليس ذنبهم ولكنه ذنب المجتمع الذي رضي بهم بل ومجدهم وعظمهم وإن مجتمعاً يرضى بهم لخليق بأسوء منهم.

على أن بذرة الحياة قد بدأت تنمو فيه وغشاوة الجهل قد بدأت تتدحرج عن عينيه، فمتى تثمر تلك البذرة بعد أن تكون شجرة ؟

جناية القتل وشهادة الزور:

كانت الجلسة الثانية في جناية القتل الواردة إلينا من وزارة الداخلية اليوم وقد كانت الجلسة الأولى منذ أيام وتأجلت ليحضر المدعي شهوداً يشهدون بقتل المدعى عليه للقتيل عمداً وعدواناً، وقد حضر اليوم وكيل أولياء القتيل وأحضر معه أربعة من الشهود وكلهم من خارج مكة، فكان أول ما فعلناه أن فرقنا بين الوكيل وبين شهوده أي حيل بينه وبين الاتصال بهم وإلا فهو حاضر في المجلس يسمع استشهادهم وطلبنا الشهود واحداً واحداً فحضر أولهم ولا يدري عنه الباقون شيئاً فسئل عن شهادته فأجاب بأنه قد حضر القتل ورأى القاتل والقتيل، فسئل من كان معه آنذاك فأجاب بأنه كان معه فلان أحد الشهود الحاضرين الأول فأمر فضيلة الشيخ بأن تكتب أجوبته بالدقة على ما سوف يسأله عنه.

ثم أخذ فضيلته في إلقاء الأسئلة عليه وقد استغرق صفحتين من القطع المتوسط ثم أمر به فأودع غرفة واحدة وعندما أراد الذهاب عاد مرة ثانية وقال: إن زميله في الشهادة غير حاضر الآن على الرغم من أنه قال منذ لحظات إنه حاضر.

وجيء بزميله الذي قال إنه معه فكان أول ما أجاب أن قال إنه ليس ملازماً لصاحبه وإنه يفترق عنه في الإجابة ويجتمع أحياناً أخرى ثم جرى تسجيل أجاباته على الأسئلة وبمقابلتها على إجابات صاحبه وجد أن بينهما كما بين الحقيقة والكذب فجمع بينه وبين صاحبه وسئل كل واحد منهما بحضرة الآخر عما قصه صاحبه فكان كل واحد يقول لصاحبه: إنه يكذب وأما الشاهدان الآخران فلم تكن شهادتهما بأحسن من شهادة هذين وكانا يدعيان أنهما يشهدان على اقرار القاتل.

وفي النهاية فقد ظهر كذبهم بشهادتهم وارتأى فضيلة الشيخ أن يكون السجن خمسة أيام جزاء لهم على شهادة الزور فأحالهم إلى مدير الأمن العام الذي نفذ ما وصى به.

ولقد ثارت ثائرة الوكيل عن ورثة القتيل وجاء يرجو فضيلة الشيخ ويستعطفه بالكلمات المعروفة عند العرب أن لا يحبسهم على الأقل، كان يقول: تكفى يا ولد العرب آهـ، تأكيدية الا وتكفى، وكان يقول لي: أفزع لي الله يفزع لك.

ولكن فضيلة الشيخ كان يجيب بقوله إن هؤلاء أرادوا أن يطيحوا بعنق رجل مسلم بشهادتهم الزور، إن الذين لم يكن لهم دين ولا شرف يمعنهم عن أن يشهدوا على مسلم بأنهم رأوه يقتل مسلماً لقليل في عقابهم السجن خمسة أيام.

ما هي القصة :

أما قصة هؤلاء فتتلخص في أن جماعة من البدو ينتسبون إلى قبيلتين مختلفتين، تشاجروا وأسفر الحادث عن جرح رجل وقتل رجل آخر.

فجاء قاتل القتيل وسلم نفسه إلى أميره لأنه معروف بأنه لا يحمل بندقية في تلك الساعة غيره وكان قتل القتيل قد حصل في تلك البندقية ثم إن أمير القبيلة سلمه بدوره للشريف ابن ثواب المشرف على شؤون تلك القبائل في مكة وسلمه الآخر إلى مدير الأمن العام.

وجرت مرافعات احيلت بطبيعة الحال معاملتهم إلى المحكمة الشرعية وقد كانت الواقعة جرت في أول جمادى الأولى من العام الماضي أي قبل أحد عشر شهراً وانتهت القضية في المحكمة بأن صرف حاكم القضية النظر عن دعوى المدعين أن القتل عن عدوان يوجب القصاص.

ثم اشتكى أولياء القتيل على الأمير فيصل بن عبد العزيز نائب الملك في الحجاز متظلمين من هذا الحكم مطالبين برأس المتهم في القتل.

ثم اقيل القاضي الذي حكم فيها وجاء الرئيس الثاني فأمرته وزارة الداخلية بإعادة المحاكمة فحكم للمدعين بالقصاص وكان أخذ وردّ حتى حضر فضيلة الشيخ فأحيلت المعاملة إليه من وزارة الداخلية بما فيها الحكمان المتناقضان من المحكمة الشرعية بحكم الرئيس السابق والرئيس الحالي.

غريب:

والغريب أن المعاملة أحيلت إلى فضيلة الشيخ من وزارة الداخلية في أول الشهر الحالي وكان ورثة القتيل هم أبنه وزوجته لا غير وقد وكل رجلاً من أبناء عمهم وكان الجلسة الأولى منذ نصف شهر تقريباً وقد حضر الوكيل المذكور منذ ثلاثة أيام إلى بيتنا وقال أن زوجة القتيل التي كانت قد أصرت مع ابنها من القتيل على القصاص، ورفضت الدية أصابها الجدري وماتت فلحقت بزوجها القتيل وإن ابن القتيل هو مريض الآن بالجدري كذلك ولا أدري هل يموت ويلحق بأبويه أم يسلم والظاهر انه يلحق بهما.

إنه لغريب أن يعيش هذا الذي صدر عليه الحكم بالقصاص أي قطع الرقبة بعد من كانوا السبب في ذلك ومن كانوا يصرون على قطع رقبته وقد يدخل هذا في المحاكم فيطلب العصبة ورثة الدم إذا ثبت القتل العمد إن ثبت ويسألون عن ما إذا كانوا يريدون دم القصاص أو المطالبة بالدية بعد ذلك.

هذا وقد جيء بالمتهم مغلولة يداه بغلٍّ حديدي مطلق القدمين يحرسه اثنان من رجال الشرطة ببندقيتهما التي تعلوهما الحراب جيء به محمولاً على سيارة لأنه كان مريضاً وقد نقص وزنه عن ذي قبل عند انعقاد الجلسة الأولى، إلا أنه كان رابط الجاش في كلتا الجلستين وإن كان يتصنع الضعف والهلع لعله يثير الشفقة في قلوب سامعيه.

أما خصمه وكيل ورثة المقتول فإنه بدوي طويل أسمر ذو لحية كثة تحيط بجميع وجهه وله عينان واسعتان تلمعان في وجهه الأسمر المتغضن إذا ركز نظره في شيء خلت الشرر يقدح من عينيه، نظرت إليه أنا فخيِّل إلي أنه مثال الوحشية الآدمية وهو يطالب بدم القتيل ويكاد يصر أسنانه من الغيظ ويخيل لي أنه لو آذن له في المتهم لقضمه قضماً.

وقد جاء إلى باب المحكمة جماعة من البدو من قبيلة المتهم ومنعوا من دخول قاعة المحكمة خشية التأثير على المحاكمة.

يوم السبت ١ جمادى الأولى عام ١٣٧٢هـ:

يكاد ينتحر لأن قضيته لم تحسم:

حضر لدينا اليوم فلان وخصمه أحد أفراد البيت السعودي، وقد وكل خصمه المذكور أحد المحامين.

وعند سؤال الأول عن الدعوى وكان مدعى عليه انفجر حتى رأيت الدمع يطل من بين أجفانه ولكنه لم يتعدهما فقال بلهجة مؤثرة: إن قضيتي الآن قد لبثت أكثر من ثلاث سنوات تطوف بالمحاكم بدون أن تجد من يحلها ويحسمها إما في صالحي أو في صالح خصمي، إنني تعطلت من صنعتي وقد ذهب جزء كبير من رأس مالي، أنقذوني ينقذكم الله فقد جاء بكم الله إلى هنا لتحلوا المسائل المعلقة.

ثم قال إنني أكاد انتحر لفرط ما فعل بي أخصامي أكاد أشرب السم واستريح.

فطمأنا خاطره ووعدناه بكل خير فقلت له إن شاء الله سوف تنتهي، فقال إنني لست في شك من ذلك إذ وصلت إليكم لأنكم قد حسمتم غيرها من القضايا القديمة.

هذا وسوف يجري النظر في الجلسة الثانية في قضيته بعد حوالي ثلاثة أيام وسوف أر صد إن شاء الله نتيجة تلك القضية.

وهذا الشخص في قوله ذلك لا يختلف عن كثيرين من المتداعين الذين كانت قضاياهم تلبث في المحكمة السنوات الطوال بدون حل، إما لصعوبتها وإما لأغراض أخرى.

يوم الاثنين ٣ جمادى الأولى ١٣٧٢هـ:

أيهم أبوه؟

أبداً لا أنسى تلك النظرات الحائرة العاتبة التي كانت تنبعث من عيني الصبي المراهق (عبدالحميد).

كان يوجه تلك النظرات العاتبة إلى جميع الجهات الست فكأنه بذلك يعتب على الكون جميعه وعلى من فيه.

لماذا يظل دون غيره من سكان بلده الجميع يتبرؤن منه كل يقول إنه ليس أباه وأن عبدالحميد ليس ولده؟

إذاً من هو أبوه؟ وهو ابن من؟

وماذا جنى هو حتى يصير هكذا ضائعاً تائهاً في الدنيا؟

إنه تماماً تائه وهو يقول: إنه ولد فلان، وفلان هذا ميت في دنيا العدم، ولكن لماذا أحضروه في قاعة المحكمة؟

لو علمت قبل أن يحضر بأنه سوف يحضر لما حضر: لما تركته يشهد الخصام حوله والكل ينفض ثوبه منه ويحاول أن يبعده عنه.

لماذا لم يرحموه فيجعلوا الخصام حوله بعيداً عنه حتى إذا ما ظهرت النتيجة نتيجة الحكم في القضية وإن لم تكن الحقيقة قطعاً أخبروه وهو وشأنه والدنيا بعد ذلك.

إن عبدالحميد هذا كان نتيجة شهوة طائشة اهتبلها أبواه وبقي هو الضحية هو الذي يقول لسان حاله:

هـذا جنـاه أبـي عليّ وما جنيـت على أحـد

ولكن ما أكثر ما يجني الآباء على البنين؟ لقد انتابتني شتى المشاعر والانفعالات وأنا أنظر إلى عيني ذلك الفتى الصغير إلى عينيه الصغيرتين الحائرتين يحيلهما في أركان المحكمة وهو يسئل من أبوك فيجيب بأنه فلان أما ملخص قضيته فهو كما يأتي:

توفي حسين منذ سبعة عشر عاماً وكان له ابنان وبنتان وجارية مملوكة، وعندما مات كانت الجارية المذكورة قد وضعت قبل موته بشهرين طفلاً هو (عبدالحميد) وماتت الجارية بعده بمدة قليلة قبل أن تقسم التركة وشب عبدالحميد الصغير هذا مع إخوته، ولكن الإخوة عندما كبروا قالوا إن هذا الولد هو ابن الجارية من غير أبينا وهو ليس أخاً لنا، وإن هذه الجارية كانت قد أتت بولد من الزنا قبله، وجاءوا بشهود شهدوا بطبق ما يقولون.

إذاً من هو أبوه؟

لابد أن يجيبوا على هذا السؤال إنهم يقولون إنه رجل اسمه مطابق لاسم أبينا، كان سقاء البيت وكان معروفاً بصلته بالجارية وجاءوا ببراهين أخرى.

إذاً فليحضر ذلك الرجل الذي يدعى النافون للنسب أنه أبوه ولكن كيف يمكن احضاره؟

إنه كذلك قد مات ولحق الجميع، مات الأب الذي يدعي الابن أنه ابنه أو على الأصح يدعي وكيله الذي تبرع بالدفاع عنه فإنه لا يعرف الدفاع ومات كذلك الأب الغير شرعي الذي يدعي الآخرون أنه أبوه من الزنا، وبقي شاهد آخر يشهد أنه سمع الرجل الذي يدعي الصبي أنه أبوه الشرعي يقول إن الجارية جاءت مني بولد اسمه عبدالحميد.

ولكن صاحبنا هذا يظهر أنه مبطل لأنه شهد مرة أن رآه أي عبدالحميد يمشي فسأل والده عنه فقال إنه ابني رزقته من الجارية، والحال أن الآب المشار إليه قد مات وعبدالحميد لم يتجاوز عمره الشهرين.

ويعلل خصومه الذين ينفون عن عبدالحميد أنه ابن شرعي يعللون شهادته الباطلة فيقولون إنه متهم بأن عبدالحميد أيضاً ابنه لأن الجارية قالت: إنه من السقاء اليماني وصاحبنا حسين كلاهما سقاء ويماني ويتردد على البيت الذي ولد فيه عبدالحميد من الجارية.

إن قضيتهم جرى النظر فيها في محكمتنا اليوم وقد أُجِّلت للتأمل ولإحضار بعض بينة كل من الطرفين.

ولشيء آخر أهم من ذلك إن أحد البنتين قد اعترفت بأن عبدالحميد أخوها فهل هو أي اعترافها صحيح؟ لابد من التحقق من ذلك، ولذلك تأجل النظر فيها.

يوم الخميس ٦ / ٥ / ١٣٧٢هـ:

المرتب:

جاء البيت اليوم وكيلنا في قبض مرتبنا الذي أمر به سمو ولي العهد المعظم اعتباراً من غرة صفر عام ٧٢ وهو خمسمائة ريال لكل واحد منا وقال إنه قبض مرتبنا لشهر جمادى الأول قبل أن نستحقه كما هي العادة الجارية بأن يصرفوا لنا راتب الشهر كذلك.

وهذا المرتب أو على الأصح المخصص لأنه ليس راتباً شهرياً يجري عليه ما يجري على الرواتب الرسمية من علاوة ويحسم منه ما يحسم على الموظفين من تقاعد.

هذا المرتب أو المخصص هو غير راتبي الأصلي الذي أستحقه بوصفي مديراً للمدرسة المنصورية ببريدة وهو يصرف الآن لي كاملاً من مالية بريدة.

فالشرهة أيضاً:

وكذلك جاء إلينا وكيلنا في قبض الشرهة (الصلة) التي أمر بها لنا ولي العهد كذلك ومقدارها لي أنا ألف ريال قال لنا الوكيل إنها لم تصرف حتى الآن ولذا اعتذرت الجهة المختصة بصرفها عن صرفها بأنه ليس لديها نقود الآن ووعدت بالصرف، هذا مع أنه قد مضى على أمر ولي العهد بها لنا أكثر من شهرين لأنه أمر بها لنا بمناسبة سفره من الحجاز إلى الرياض.

أما لماذا صرفت لنا هذه الشرهة فلأننا نقوم بعمل رسمي مع أن هذه الشرهة التي قلت إنها هي الصلة باللغة العربية الفصحى كثيراً ما تمنح لغير الذين يقومون بالأعمال الرسمية بل تمنح كثيراً للزائرين والوافدين إلى الحاكم.

يوم السبت ٨ / ٥ / ١٣٧٢هـ:

في المحكمة اليوم حضر (فلان) كاتب الوثيقة التي سبق أن كتبت عنها في هذه اليوميات تحت عنوان و ثيقة (صحيحة)، وعند سواله عن هذه الوثيقة هل هي بقلمك؟

أجاب: نعم إنها بقلمي وقد جاء فلان وهو الرجل الذي أوقف بيته كما تنطق الوثيقة.

سئل هل وضح ختمه حالاً في التاريخ الذي كتب فيه الوثيقة؟

أجاب: نعم.

عند ذلك أبرزت الوثيقة: فوجدت مؤرخة كما صادق عليها كاتبها في عام ١٣٦٣هـ وحجة التملك للبيت المزعوم أنه وقف مؤرخة في عام ١٣٦٤هـ أي قبل أن يشتري الموقف البيت بأكثر من سنة.

فسئل الكاتب عن هذا التناقض فلم يجد جواباً بل اضطرب، ثم أظهر له الختم الذي على الوثيقة، وأن تاريخه في عام ١٣٦٥هـ على حين أن الوثيقة مؤرخة في عام ٦٣هـ وعلى حين أنه أي الكاتب يقرر أن صاحب الختم المصنوع في عام ٦٥ وضع ختمه هذا على الورقة التي كتبها الكاتب في تاريخ كتابته لها وهو عام ١٣٦٣هـ أي قبل أن يصنع الختم بسنتين.

وإزاء هذه الأمور اعترف بأنه كتب الورقة زوراً وأن الشهود لم يشهدوا فيها،

واحدهم قد مات قبل أن تكتب في الحقيقة واحد الشهود حضر ونفى أن تكون شهادته فيها أو أنه رأها أو حضرها.

ولذلك رأى فضيلة الشيخ أن يعزروه، فأصدر أمره على مدير الأمن العام بسجنه أي كاتب الزور خمسة أيام تعزراً له على فعلته هذه فاقتيد بواسطة أحد الشرطة الملحقين في المحكمة تحت الطلب إلى السجن.

يوم الأبعاء ١٢ / ٥ / ١٣٧٢هـ:

عندما يتخاصم التكارنة:

لعل قضية لم تشهد فيها عدداً ضخماً من التكارنة كما شهدناه في قضية اليوم فقد كان المدعى عليهم من ذوي البشرة السوداء وهم ناس كثير، ويسمون هنا في مكة التكارنة، وإن كانوا لا يشملهم هذا الاسم فيما بينهم فهم يقسمون أنفسهم إلى أقسام الفلاتة والتكارنة والهوساوية الخ.

وقد حضر اليوم إلى المحكمة لدينا عدد منهم يقرب من الثلاثين وليس هذا العدد هو كل المدعي عليهم بل هذا جزء صغير منهم، لأنهم فيما يقولون كثيرون يبلغ عددهم الخمسمائة أو حواليها.

وتحلق هذا العدد الكبير من الآدميين السمر وعرقت جباههم فأضحى لها بريق وحدث ما لم نكن نتوقعه حدث ما لم نظن أنه سوف يحدث: ثارت في جو الغرفة الحار عاصفة من الرائحة، وحاولنا أن نتحامل وأن نصبر على هذه الرائحة، ولكن أنى لنا ذلك؟

فوضع كل منا طرف (شماغه) على أنفه يحاول أن يتقي به ذلك ولكنه لم يغن من ذلك إلا بعض الشيء.

ومن سوء الحظ أن الدعوى تتجه في غير صالحهم وهذا ما جعلهم ينفعلون كثيراً.

وأدهى من ذلك أننا نحاول ان نجعلهم يفهمون المسألة على وجهها فلا نحظى منهم بذلك.

أما فذلكة الدعوى فهي أن شخصاً يدعي بأن أرضاً في المسفلة مملوكة له ولآبائه من قديم وأن لديه على ذلك صكوك شرعية قديمة مسجلة في المحكمة ومحفوظة في سجل المحكمة ويدعي أن هولاء الكثيرين قد سكنوا فيها بطريقة الحكر منذ مدة طويلة تبلغ أكثر من خمسين عاماً.

ويدفع أولئك دعوى المدعي بأنهم واضعون أيديهم من قديم وينكرون دعواه بأنها ملك له أو إنهم كانوا يدفعون له حكراً فيما مضى.

والعجيب أن بعضهم يشهد لبعض بأن كل واحد منهم واضع يده من قديم فنحاول أن نفهمهم أنهم جميعاً مدعى عليهم و لا يصلح أن يشهد بعضهم لبعض لأن كل واحد منهم يجر بشهادته للآخر نفعاً لنفسه فلا يذعنون لذلك ولا يفهمونه.

لقد طلبنا منهم أن يوكلوا واحداً منهم أو اثنين للقيام بالمرافعة عنهم حتى لا يتكلفون بالحضور بأجمعهم إلى المحكمة والظاهر أنهم لا يمتثلون.

مساكين! إنهم فقراء من الدنيا و فقراء أيضاً من التمدن والتفكير الذي يفكر به غيرهم ومع ذلك ولأجل ذلك قلت إنهم مساكين فقد ظهر أن مجرى القضية يفيد أنها تجري في غير صالحهم، ولقد تم الحكم عليهم بدون صلح

أو بدون شيء آخر تصرف القضية إليه لهولاء المساكين وعائلاتهم، ولكن إلى أين يخرجون؟

هذا عدا- بالطبع- من كانوا يدفعون الحكر إلى صاحب الأرض واستمر على ذلك، والحكر: أجرة رمزية سنوية لقاء استعمال الأرض دون ملكها.

يوم الجمعة ١٤ / ٥ / ١٣٧٢هـ:

ظلم الإنسان لأخيه:

دخل علينا في المجلس وسلم على فضيلة الشيخ وهو- أي الداخل- رجل أشيب بل مسن يؤهله عمره كما قال لنا لأن يكون هرماً ولكنه لم يهرم فعمره فيما يقول وفيما صدقناه به لأنه ذكره مربوطاً بحوادث تاريخية يبلغ الثمانين ومع ذلك فقد دخل ودخل خلفه رجلان أسودان إنه أسمر وهما أسودان وتقاطيعه لا تشبه تقاطيعهما ولذلك فليس هناك ما يمكن معه أن يكونا قرابة له فيا هل ترى من يكونان منه؟

هذا ما دار في نفسي من أسئلة.

جلس هو حيث يجلس الناس أمامهما فقد جلسا بعيداً عن مجلس الناس حتى لكأنهما يخجلان من أن يجلسا كما يجلس غيرهما من عباد الله.

وتفرست فيهما فإذا بأحدهما شيخ يكاد يقارب الثمانين أحدب الظهر مغبر اللون متجعد اليدين والقدمين وينضح وجهه ببؤس السنين وشقاءِ الدهر، حتى ليجد الشاعر في وجهه قصائد من آلام وحسرات لو جمعت لكانت أسفاراً يرجع إليها دارسوا الأحزان من صفحات الوجوه.

أما الآخر فهو فتى يقرب عمره من الثلاثين، منتفخ الأعضاء ولكن بدون إشراق، حتى لتبدو كأنما عضلاته أشبه بالأورام، تلمح في وجهه البؤس ولكن بدون مبالاة منه به كأنما صاحبه كان أشد منه حساسية بالألم وأقل احتمالاً منه له.

كنت أتأملهما تارة، وأتأمل الرجل الذي جاء بهما تارة أخرى فما انتبهت إلاَّ وهو يشير إلى الرجلين الأسودين الذين وصفت موجهاً كلامه إلى الحاضرين.

وقال: هذان عبدان للبيع جئت أعرضهما عليكم، إنهما عبدان انصح بشرائهما لأنهما يصليان ويخافان الله وقد نشآء عند قوم صالحين، أما أحدهما فقد نشأ عند البدو في الصحراء وهو يحسن رعي الإبل، وأما الآخر فقد نشأ في نجد في وادي الدواسر.

وارتعت لكلماته تلك فلم يحدث أن شاهدت قبل ذلك آدمياً يعرض للبيع وهو يسمع قبل هذه المرة وكدت لا أصدق سمعي لولا أنه ليس هناك ما يدعوني إلى أن لا أصدقه.

رجعت إليهما لأرى ماذا يعملان وهما يسام عليهما كما يسام على الدابة، فلم أر في وجهيهما غير ما رأيته سابقاً ولم أرهما يتأثران لذلك الكلام وكأنه لم يطرق أسماعهما أو كأن المعني بذلك غيرهما.

طاف بخاطري سؤال بعد ذلك سألت عنه صاحبهما الشيخ قلت له: ألا تخاف أن يهربا منك وهما أجلد منك وأقوى عند المناجزة؟

فأجاب قائلاً: كلا، إنهما يخافان الله، فقلت في نفسي: ولكنك أنت لم تخف الله فيهما حينما بعتهما كما تباع الدابة!

ولكن لماذا لم يفكرا في ذلك.

لماذا لم يفكرا في الهرب وهما يقدران عليه؟

لاشك أن ذلك أمر سهل عليهما يسير ومع ذلك لم يجرباه، ولكن لعله لم يخطر ببالهما ذلك وإذا كان لم يخطر ببالهما ذلك ولم يحاولا أن يخلصا مما هما فيه فإنه لا غرابة في أنهما لم يستنكرا السوم عليهما وبيعهما في المزاد كما تباع الدواب والمتاع.

قمنا للغداء فأكلا معنا أكلاً لم أر منذ جئنا مكة رجلاً يأكل مثلهما أكلاً ذريعاً، ولعل ذلك يوحي بأنهما كانا يجوعان، وهكذا (حشف وسؤ كيله) عبودية وجوع!!!

حقاً إنني لن أنسى نظراتهما الحائرة ولا سيما نظرات ذلك الشيخ الهرم نشأ في الرق وشب على العبودية ولم يدعه بنو آدم الوحوش حتى بعد أن جاوز السبعين بل يريدون أن يبيعوه وهو حطام من الرق والآدمية والحيوانية!!!

في إجازة:

هذه المذكرات اليومية لم أكن أواظب عليها في بعض الأحيان وأحرص على أن لا أدعها بدون أن أكتب فيها إلا حينما كنت في وطني فارغ البال مرتاح الخاطر ثرياً من الساعات التي تناسب الكتابة فيها، أما الآن فإنني كما سبق أن قلت لا أتمكن من الكتابة فيها كما كنت أتمكن ولا قريباً مما كنت أتمكن قبل ذلك، لأنني كنت أختلس الكتابة فيها- على قلتها- اختلاساً واقتنص الفرص المؤاتية لذلك اقتناصاً لأنني مشغول في أكثر ساعات الليل والنهار المناسبة للكتابة وغيرها أو على الأصح مطلوب مني ذلك.

يوم الخميس ٢٧ / ٥ / ١٣٧٢هـ:

حلم يتحقق:

كان من رأيي منذ أن فتحت عيني ورأيت الجهل ضارباً أطنابه في مجتمعنا والنظرة الخاطئة إلى الأشياء ينظر بها الجميع وأنا أعتقد بناء على دراستي ومعرفتي الشخصية أن الناس في نجد لا يمكن أن يتعلموا ولا يمكن أن تصحح نظرتهم إلى الأشياء إلا إذا تعلم العلماء فيهم وطلبة العلم منهم.

وإن الناس في نجد لا يسلس قيادهم لغير طلبة العلم ولا يقتنعون بشيء ويأتونه عن عقيدة إلا إذا اقتنع به وأتاه عن عقيدة طلبة العلم، وأن الذي يملك تغيير طريقة تفكيرهم هم طلبة العلم ولا أحد غيرهم، ولكن طلبة العلم أيضاً- وهنا محط الرحل- كيف يمكن تصحيح نظرتهم إلى الأشياء وإلى الدنيا وكيف تتغير طريقة تفكيرهم؟

هذا ما فكرت فيه واقتنعت أنه لا شيء يستطيع ذلك غير فتح معاهد علمية تدرس فيها إلى جانب العلوم الدينية جملة من العلوم الكونية ويعتني فيها بالأدب والشعر وتحبب إليهم قراءة الكتب العصرية والمجلات الأدبية والعلمية.

ولذلك طالما تمنيت أن يفتح مثل هذه المعاهد وأخذت أبث في جماعة من الإخوان- على قدر طاقتي وما تسمح به ظروفي- ففتح بتوفيق من الله لا بسعي من عندي أو عند غيري ممن هو مثلي ففتح معهد الرياض العلمي فاستبشرت به وتعاونت مع بعض الأصحاب على الدعاية له في بريدة وفي غيرها لكي ينضم إليه الطلبة فيها.

ثم رأيت أن أحسن طريقة هي أن يفتح له فرع في بريدة، فتكلمت مع جميع المسؤولين في بريدة حاثاً لهم على أن يطلبوا من سمو الأمير سعود ولي العهد أن يأمر بفتح فرع لمعهد الرياض في بريدة لأنه هو الذي أمر بفتح المعهد العملي في الرياض، ولكنهم خافوا من معارضة طلبة العلم الذين كانوا ينظرون إلى المدارس والمعاهد على أنها الغول الذي سوف يتم بواسطته القضاء على الدين.

فاتجهت إلى نفر من طلبة العلم الذين أتوسم فيهم سعة الأفق وسلامة التفكير لعلهم يساعدونني فاستجاب منهم اثنان أو ثلاثة وقاموا بمساع في هذا السبيل ولكنها لم تكلل بالنجاح.

ثم سعيت بعد حين لدى أعيان بريدة فوافقوا على ذلك ما عدا واحداً منهم، ولكن هذا هو وحده الذي يثق بأن طلبة العلم يتبعونه ويلينون في يده لاعتقادهم فيه، الدين والغيرة عليه، فبعد أن كتبت الكتاب إلى فضيلة الشيخ على لسان جماعة أهل بريدة فشل المشروع وعدنا لنبدأ من الألف.

وقد كتبت كثيراً عن ذلك في هذه اليوميات في مواضع مختلفة، أما اليوم وبعد أن مات ذلك الشخص المعارض من أعيان بريدة، وبعد أن لمس طلبة العلم الفائدة التي حصل عليها من دخلوا معهد الرياض، الفائدة المادية والمعنوية، ما كانت إحدى الفائدتين لتقوم وحدها بإغرائهم على الالتحاق به أو حتى الإعجاب به.

أما اليوم فقد ورد إلى فضيلة شيخنا الشيخ عبدالله بن حميد من بريدة ونحن الآن معه في مكة، كتابان أحدهما من جماعة أهالي بريدة والثاني من طلبة العلم فيها يطلبون فيهما أن يتوسط لدى سمو ولي العهد المعظم بأن يصدر أمره على من يلزم بفتح فرع لمعهد الرياض العلمي في بريدة على أن يكون تحت رئاسة فضيلة الشيخ عبدالله بن حميد قاضي بريدة.

وهكذا فقد تحقق الآن ما سعيت طويلاً وتمنيت كثيراً أن يتحقق، وأرجو الله تعالى أن يحققه ويحقق النفع الذي أرجوه بسببه، كما تحقق هو نفسه وما ذلك على الله بعزيز.

هذا وسوف يكتب فضيلة الشيخ عبدالله بن حميد إلى سمو ولي العهد المعظم كتاباً يرفق به كتبهم ويؤيد طلبهم ويشهد لما قالوه.

وهكذا فهذا حلم قد تحقق من أحلامي الكثيرة التي أرجو أن يحققها الله وأرجو أن يلهمني الصبر حتى أراها بفضله تعالى، وقد تحققت، وإن الله على كل شيء قدير.

يوم الاثنين ٢ / ٦ / ١٣٧٢هـ:

ومع ذلك لم ينته العمل:

كنا قد قدرنا أن العمل من جميع القضايا القديمة وعددها يزيد قليلاً على المائتين من بينها قضايا قديمة جداً كما أسلفت كنا قدرنا أن عملنا سوف ينتهي في منتصف الشهر الماضي أي جمادى الأولى وأن نصف شهر أيضاً سوف يستغرقه تنظيم سجلات الصكوك وما يتطلبه العمل في تلك القضايا القديمة المعقدة وإننا سوف نسافر من مكة إلى الطائف عند دخول هذا الشهر أي إننا فرضنا أننا سوف نكون في هذا اليوم في الطائف وهذا ما كدنا نجتمع عليه ولم يشذ عن ذلك إلا واحد منا ظن أن عملنا سوف ينتهي قبل هذا اليوم وإنه لا يستغرق كل تلك المدة.

ولكن ها هو الموعد قد حان الآن ولم ينته العمل ولا نظن أنه ينتهي قبل مضي عشرين يوماً على الأقل، وذلك يرجع: أولاً: لأنه قد حول إلى فضيلة الشيخ قضايا جديدة لم نحسب حسابها من قبل وإن لم تكن كثيرة جداً.

وثانياً: لأن الوقت الذي قدرناه لم يكن كافياً للنظر في كل القضايا التي أحيلت إلينا لأن بعض القضايا التي كنا نظن أن النظر فيها سوف يستغرق أسبوعاً واحداً قد استغرقت أكثر من أسبوعين، ومع ذلك كان أصحاب تلك القضايا لم يضايقهم أن يتأخر انتهاء قضاياهم أسبوعاً أو أسبوعين ذلك لأن أغلبها قد مضى عليه في المحكمة سنتان أو سنوات على حين أنها قضايا لو وفقت إلى قضاة أكفاء مجدين مخلصين لما استغرقت من بدايتها أشهراً بل إنها بطريق التحديد لم تلبث لدينا أي لدى فضيلة الشيخ إلا أسبوعاً أو أسبوعين كما قدمت.

ولقد كان بعض أرباب القضايا يفرح بانتهائها ولو كان في غير صالحه، وذلك لكيلا تتعطل مصالحه وتضيع أوقاته في التردد على المحاكم.

ولذلك كان كثيراً ما يفرح من يحكم عليه ومن يحكم له على حد سواء بانتهاء القضية.

ولقد وفق فضيلة الشيخ إلى ارضاء طرفي النزاع معاً في أكثر الحالات لأنه يبسط للجميع بطريقة يفهمها كل واحد وجه حكمه ومقتضى حجة خصمه ومقتضى حجة دفعه والسبب الذي جعله يحكم عليه وينزل إلى درجة عقله وما يفهمه ويكرر ذلك عليه ويسأله هل فهمه أم لا ولا يتركه حتى يقول له نعم: فهمت.

وهذا ما جعل كثيراً من الناس ممن لهم قضايا ليس من اختصاص فضيلة الشيخ النظر فيها أن يبرقوا إلى الملك وإلى سمو ولي العهد برقيات يطلبون فيها أن تحال قضاياهم إلى فضيلة الشيخ لينظر فيها فضيلته.

هذا إلى أنهم قد عرفوا أن فضيلة الشيخ عبدالله بن حميد رجل نزيه ليس له أغراض وليس له مقاصد ولا يتأثر بنفوذ ذوي النفوذ ولا يتطرق إلى نزاهته الشك.

وهم يقولون: إن كثيراً من موظفي المحاكم وغيرهم لا تتوافر فيهم مثل هذه الصفات، هذا ما يقولونه ولا أدري هل ذلك مبني على أساس صحيح أم هو مبني على تخرصات وظنون.

على أية حال فقد كان الجميع هنا في الحجاز يتظلمون كثيراً من تأخر القضايا ومن الإجراءات في المحاكم ولدى القضاة.

ولكنهم يقولون ذلك فيما بينهم وبألسنتهم إذا خلوا لأنفسهم وخلا بعضهم ببعض ولا يستطيع أحد منهم أن يجد الشجاعة الكافية لكي يجهر برأيه.

ويكفي أن نعرف في محيط القضاء أيضاً أن الذي يحكم له من المحكمة ويعطى لذلك صكاً شرعياً لا ينفذ له مقتضى ذلك الصك، إلا بعد أن يبعث بالبرقيات تلو البرقيات إلى النيابة أو إلى وزارة الدخلية مثله من يطلب أن يحال النزاع بينه وبين خصمه إلى القضاء فإنه لا يمكنه ذلك إلا بعد تعب كثير ووقت طويل.

إن الكلام عن انتهاء عملنا كما قدرناه هو الذي جرنا إلى الإفاضة بعض الإفاضة في هذا الموضوع الذي لم نكن نظنه كذلك.

أما الآن ومن اليوم إلى بضعة أيام فإنني سوف أفقد جميع الفرص التي لا تسنح إلا كما تسنح الفرص قليلة نادرة وذلك حسب رغبة فضيلة الشيخ فقد اشار إليَّ فضيلته أنه يرغب أن ستصحب معنا صورة من سجل فضيلته الخاص الذي دون فيه صكوك القضايا التي انتهت لدى فضيلته وذلك لكي يحتفظ به لأن سجله سوف يحفظ بالمحكمة الشرعية الكبرى بمكة، وقد نفذت رغبته وابتدأت من اليوم في نقل صورة من السجل المذكور ويحتوي على ما يقرب من مائة صك الآن ولم ينته تدوين جميع الصكوك الشرعية أي إنه قابل للزيادة.

هذا ولقد سرني جداً أن أنفذ رغبة فضيلته وأن أعمل عملاً يرضى عنه، قياماً بواجب الشكر الذي يجب عليَّ لفضليته، ولما له علي من أياد كبيرة أذكرها ولا أستطيع أن أوفيه حقها من الشكر فجزى الله فضيلته عني أحسن الجزاء.

المعهد العلمي:

أثبت معهد الرياض العلمي أنه جدير بالثقة فكثر طلابه وبخاصة من طلبة العلم على المشايخ وبتعبير عصري من يسمون بالتقليديين وصاروا بعد أن جربوا الدراسة المنتظمة فيه وقبض المكافآت الشهرية السخية، وطريقة التعليم الجديدة التي تسير وفق برنامج محدد يعتبر طالب العلم ناجحاً إذا فهمه، يدعون إلى الالتحاق به.

وقد كثر طلبة العلم من أهل بريدة وسائر أنحاء القصيم الذي ذهبوا إلى الرياض والتحقوا به، وقد ذكرت منهم أخوي الشقيقين سليمان وعبدالكريم ولا أخ لي غيرهما.

وكان بعض طلبة العلم الذين رأوا التحصيل الجدي في معهد الرياض يتمنون أن يفتح معهد مثله لطلبة العلم في بريدة، إلا أن بينهم من يتخوف من بعض العلوم التي تدرس فيه مثل علم تقويم البلدان الذي قد يتطرق مدرسه إلى القول بأن الأرض كروية وهو أمر لم يستسيغوه، ويعتقد بعضهم أنه مخالف لظاهر النص القرآني الذي يوحي بأن الأرض مسطحة لأنها بسطت للناس كما قال تعالى (والله جعل لكم الأرض بساطاً).

ولكن عندما وصلنا هذه المرة بصحبة الشيخ عبدالله بن حميد إلى الرياض قبل سفرنا إلى الحجاز اجتمع بنا بعض الطلبة من أهل بريدة الذين يدرسون في المعهد ورأوا أن يطلب من ولي العهد الأمير سعود أن يأمر بفتح معهد علمي مثله في بريدة أو على الأقل بفتح فرع له في بريدة من أجل أن يدرسوا في بلدهم وهم عند أهلهم، لأن نقل الأسر إلى الرياض واستئجار بيت لها أمر مرهق لهم، إضافة إلى أنه أحياناً يصعب تحقيقه لوجود روابط أسرية، وعوائق أخرى تمنع نقل الأسرة.

وعندما عادوا إلى بريدة صاروا يشيرون على زملائهم بطلب ذلك فاجتمع الطلبة كلهم من تلاميذ شيخنا الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد وكتبوا كتاباً إلى ولي العهد وقعه منهم طائفة يقولون فيه ما معناه: إن أبناءكم وإخوانكم من طلبة العلم في بريدة يرجون أن تتكرموا بالأمر بفتح معهد علمي في بريدة مثل المعهد العلمي في الرياض حتى يفيد طلبة العلم الذين لا يستطيعون أن يدرسوا في الرياض، ولتعم الفائدة منه مثلما حصل من الفائدة من معهد الرياض العلمي، قالوا: ونرجوا أن يكون تحت إدارة شيخنا الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد.

وعندما كتبوا الكتاب وقبل إرساله ذهب وفد منهم إلى جماعة أهل بريدة وكان المقدمون فيهم ثلاثة عبدالله بن عبدالعزيز المشيقح وعلي بن فهد الرشودي ومحمد بن عبدالعزيز الربدي وكان عبدالله بن مشيقح أكثرهم تجارب، وأعلمهم بكثير من تفصيليات الأمور، وطلب طلبة العلم الذين كانوا يطلقون عليهم اسم الإخوان لكثرة تلقيبهم لمن يكون زميلاً لهم وحتى لغيره

بقولهم: يا الأخ، وطلبوا من الجماعة أن يكتبوا أيضاً كتاباً مماثلاً لولي العهد ليكون ذلك أنجح للمطلوب.

وكان ولي العهد هو الذي تبنى مع الشيخ محمد بن إبراهيم إنشاء المعهد العلمي في الرياض ثم أيد توسعه ولذلك ينتظر أن يوافق على إنشاء المعهد العلمي في بريدة.

فقبل الجماعة بإرسال رجاء مماثل لولي العهد باسمهم أي باسم جماعة أهل بريدة ولكن عبدالله المشيقح قال: إنه لا يحسن بنا أن نذكر أن يكون المعهد تحت إدارة الشيخ عبدالله بن حميد لأننا نكون كمن فرض شيئاً على الحكومة، وثانياً من أجل ألا يكون كتابنا نسخة طبق الأصل من كتاب طلبة العلم فنحن لنا توجهاتنا.

هكذا قال لهم كما علمنا، وإلا فإنه قال لي بعد ذلك وربما كان قاله لغيري: إنني أتوقع أن يؤخذ رأي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ في هذا الأمر لأن آل الشيخ هم الذين قاموا على إنشاء معهد الرياض العلمي وطوروه ولا شك أنهم يريدون أن يكون أي معهد آخر ينشأ في مدينة أخرى مثل المعهد العلمي في الرياض تابعاً لإدارته، فإذا ذكرنا النص على أنه يكون تابعاً في الإدارة لغير معهد الرياض نكون كمن نقض هذا الطلب، إضافة إلى أن الحكومة لا تحبذ أن نكون هناك إدارات مستقلة لكل معهد.

قال: وأنتم إذا ذكرتم ذلك في كتابكم فلكم ما تشاؤون ولكننا نؤاخذ بغير ما تؤاخذون به.

ثم كتب طلبة العلم كتاباً للشيخ عبدالله بن حميد وأرسلوه إليه ونحن معه في مكة المكرمة، وكان ذلك في أواخر أيامنا فيها وطلبوا أن يكتب عليه كتاب تأييد منه ويرفعه لولي العهد.

فأرسل الشيخ الكتاب مع كتاب منه إلى ولي العهد الأمير سعود بن عبدالعزيز يحبذ فيه إنشاء هذا المعهد في بريدة ويقول فيه ما معناه: إنه سيكون فيه خير كثير لطلبة العلم في بريدة ولسائر منطقة القصيم وإنه يرجو أن يكون ذلك في ميزان حسناتكم.

وأما جماعة أهل بريدة فإنهم رفعوا الكتاب من قبلهم، ولكنهم أرسلوا صورته إلى الشيخ عبدالله بن حميد يشعرونه بذلك.

وكان احتمال الموافقة على إنشاء المعهد وافتتاحه في بريدة هو الغالب على الجميع.

مع أن الشيخ عبدالله بن حميد كاد يتوقف في إرسال الكتاب لكون طلبة العلم طلبوا أن يكون تحت إدارته وهو أبعد الناس عن أن يطلب لنفسه شيئاً، إلا أننا جميعاً قلنا له: إنه لم يصدر منه هذا الطلب، وإنما هو من طلبة العلم.

وقد بلغت ثقة الجميع بأن الموافقة ستصدر بإفتتاح المعهد عظيمة حتى إن الشيخ عبدالله بن حميد على رزانته وعدم استباقه للأمور قال لي مرة

وقد تطرق للحديث إلى هذا المعهد: إذا جاءت الموافقة على فتح المعهد سوف أتخذك معاوناً.

فشكرته على ذلك شكراً جزيلاً لأن معنى ذلك أن أكون مدير المعهد لأن الشيخ بمسئولياته الكبيرة ومنها القضاء والتدريس سيكون رئيساً للمعهد مثلما أن الشيخ محمد بن إبراهيم هو رئيس معهد الرياض وأخوه الشيخ عبداللطيف هو مدير المعهد.

يوم الاثنين ٩/٦/١٣٧٢هـ:

مسكينة:

جاءت إلينا اليوم في المحكمة وهي لا تدري هل نحن جهة اختصاص لشكواها أم لا.

كانت مستترة متلفعة بعدة خرق حتى لم يبد منها ولا ظفرها ولا ندري عن لون بشرتها هل هي سوداء أم بيضاء.

جاءت تجر وراءها طفلين صغيرين أحدهما طفل في نحو الثانية من عمره والثاني طفلة في نحو الرابعة من عمرها أو أقل من ذلك واتجهت إلى حيث يجلس فضيلة الشيخ وقد عرفته من مجلسه فانكبت قريباً من قدمي فضيلته يكاد جبينها من وراء الستار الأسود يمس الأرض وقالت بصوت يقطر آلماً وآسى حتى لكأنها هي كتلة من الأسى والألم قالت: إن زوجي يتغيب عني ويسهر خارج البيت ولا يجلس معي أبداً ولا يؤاكلني ولا يشاربني إنه يسهر في الخارج ولا يعود إلا في منتصف الليل وأنه يعود وهو نمر متحفز للوثوب لا آدمي، زوجي يعود فيضرب الباب بضربات جنونية وإذا ما تأخر انتباهي من النوم قليلاً ولم أتأخر كسر الباب أو حاول أن يكسره، ثم يدخل ويلقي بنفسه بعيداً عني.

ثم قالت: والبارحة لم يبت بالبيت أصلاً وتركني وحيدة أنا وولديَّ الصغيرين فقط، ثم أضافت قائلة وهو يقول سوف يخرج في نزهة وأكلة مع جماعة من الناس فنصحته بأن تكون هذه النزهة والأكلة في بيته مع زوجته

وصغيريه ولكنه أبى عليَّ ذلك.

إنني قد تزوجت به منذ خمس سنوات وما زال هذا دأبه معي، قالت هذه الكلمات ونحوها كثيراً.

وليس المهم هو أنها قالت هذه الكلمات وليس مبعث تأثرنا هو بمدلول هذه الكلمات فقط ولكن مبعث تأثرنا هو الحزن والآسى والانكسار الذي يسودها وهي تلفظ بتلك الكلمات.

ويظهر من كلامها أنها امرأة في العشرين من عمرها أو قريب منها وأنها عاطفية مرهفة الحس فياضة الشعور.

فصرفها فضيلة الشيخ برفق وأفهمها بلطف أننا لسنا جهة اختصاص لهذه الأشياء فخرجت المسكينة كسيرة الخاطر وتركتنا كذلك، حزينين آسفين على أننا لا نستطيع اسعافها فالعلاج يحتاج إلى التأكد من صحة ما تقول ودعونا لها لهداية زوجها الظالم الآثم.

وكثيرون مثل تلك المرأة من المتظلمين الذين يجيئون إلينا يظنون أننا جهة اختصاص في ظلاماتهم وكثير منهم أصحاب قضايا ولكنها ليست من ضمن القضايا التي تدخل تحت اختصاص فضيلة الشيخ ونفههم أن دائرتنا إنما هي مختصة بالنظر في القضايا القديمة.

يوم الأحد ٢٩ / ٦ / ١٣٧٢هـ:

مفتي الديار المصرية:

لقد قلت سابقاً في هذه اليوميات: إنني أحرص اشد الحرص على مقابلة الشخصيات البارزة في المجتمع بغض النظر عن السبب في بروزها وهل هو سبب حقيقي أم مفتعل، وعما إذا كان بروزها نفسه مُستَحَقاً عن جدارة أم غير جدارة.

وإن هذه الرحلة مع فضيلة الشيخ قد فرحت بها أشد الفرح لهذه المسألة مع غيرها وقد كانت كما توقعت فقد تعرفت فيها أو أقول بلفظ أدق قابلت شخصيات كثيرة بارزة من بينها جلالة الملك وولي العهد والأمير فيصل وزير الخارجية ونائب الملك في الحجاز، والأمير عبدالله الفيصل وزير الداخلية والصحة ووكيل نائب الملك في الحجاز، ورئيس القضاة، ومدير المعارف، ووكيل وزارة المالية وأعضاء مجلس الشورى وغيرهم كثير.

واليوم قابلت شخصية بارزة أجنبية تلك هي شخصية مفتي الديار المصرية الشيخ حسنين مخلوف، فقد حضر إلى بيتنا اليوم بصحبة الشيخ صالح العشماوي سكرتير عام جماعة الإخوان المسلمين في مصر.

وقد كان أحد الإخوة النجديين وهو عضو في مجلس الشورى هو الذي توسط للتعارف بينهم وبين فضيلة الشيخ وصحبه.

تحدثنا طويلاً ودار الحديث بيننا في شتى الموضوعات وشمل شتى الشؤون،

ووجدت أنهم لا يختلفون كثيراً في وجهة النظر معنا إلى بعض الأشياء أو أكثرها، وإنهم لم يزيدوا علينا معشر النجديين شيئاً كثيراً اللهم إلاَّ طريقة التربية وفي حذق بعض الكلمات التي حذقوها لكثرة ترديدها في مجتمعهم.

وبعد أن انتهى المجلس طلب من فضيلة الشيخ أن يرد له الزيارة وأنه ساكن في أحد الفنادق بمكة فأجابه إلى ذلك ووعده بها بعد غد.

ثم تداولنا قصة الرجل الذي يظهر التدين وأنه مزق صورة محمد نجيب قائد الثورة المصرية ومجلة المصور.

وقد تسألني ما هو الباعث له على ذلك فأجيب بأنه هو الباعث الديني فيما يزعم ولكن أي عقل هذا؟ إننا لو فرضنا أن تصوير محمد نجيب أو أي صورة أخرى لا يجوز فماذا صنع الآن؟

إنه مزق نسخة من مجلة المصور وبقي منها الألوف من النسخ.

ويذكرني هذا بما يفعله أعضاء هذه الهيئة أي هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الآن في مكة أنهم يمنعون دخول المجلات والجرائد التي فيها صور إلى المسجد الحرام بمعنى أنهم يصادرونها إذا وجدوها فيه كما يمنعون دخول الكتب باللغات الأجنبية إلى المسجد أيضاً.

يوم الثلاثاء ١ رجب عام ١٣٧٢هـ:

ذهبت مع فضيلة شيخنا الشيخ عبدالله بن حميد إلى زيارة حضرة مفتي الديار المصرية في الفندق المصري بمكة، وكان ينزل فيه ضيفاً على الحكومة، وقد استقبلنا استقبالاً كريماً وجلسنا معه حوالي الأربعين دقيقة جرى الحديث خلالها في شؤون كثيرة من الشؤون الإسلامية والدينية لم أر فيه ما أتمنى أن يكون في بني قومي النجديين اللهم إلا نظرته إلى المدنية الحديثة نظرة صحيحة على حين أن بني قومنا ينظرون إليها نظرة تجعلهم لا يرون منها إلا سيئاتها فقط، ولم يكن مع فضيلة الشيخ غيري.

السفر إلى الطائف

يوم الخميس ٣/٧/١٣٧٢هـ:

سافر أحد الرفاق اليوم إلى الطائف ليسبق فضيلة الشيخ فيلاحظ البيت الذي سوف نسكنه والضيافة التي ستعد فيه وجميع ما يلزم لذلك وما يجب أن يتوفر فيه.

أما نحن فسوف نسافر غداً إن شاء الله أي: يوم الجمعة ١٣٧٢/٧/٤هـ.

السفر إلى الطائف:

بعد أن صلينا العصر في الحرم المكي الشريف حضر جمهور من الوجهاء وغيرهم لوداع فضيلة الشيخ.

وسافرنا بعد ذلك مباشرة إلى الطائف وكنا نمتطي سيارتين صغيرتين فاخرتين.

أما السيارة الثالثة من السيارات التي قد اعدت على نفقة الحكومة لسفرنا هذا فسافر بها صاحبنا أمس فسبقنا إلى الطائف.

وبعد غروب الشمس بقليل كنا نصل إلى السيل (الكبير) المسمى بقرن المنازل وهو ميقات الحجاج الوافدين من نجد يحرمون فيه فصلينا المغرب والعشاء جمعاً فيه ثم واصلنا السير ولم نقف إلاَّ في السيل الصغير دون الطائف حيث كان صاحبنا الذي سافر ومعه بعض الرفاق ينتظرون وقد أعدوا القهوة والشاي ولم نلبث في السيل الصغير إلا قليلاً حتى واصلنا السير قاصدين

الطائف فوصلناها بعدما يقرب من ثلاث ساعات ونصف من ابتداء سيرنا من مكة.

الطائف:

الوقت ليل إلا أن الأنوار الكهربائية تطل من بعض الشوارع المظلمة وبعض البيوت المحظوظة التي يسكنها موظفو الحكومة ومنها بيتنا الذي أعد لنا فهي التي تتلألأ من الداخل ومن الخارج.

دخلنا بيتنا الذي أعد لنا فوجدناه مفروشاً بالفرش الجميلة مهيأ بكل ما يلزم حتى فرش النوم ومناشف الحمام وغيرها وكان الشيء الذي يوجد فيه بكثرة هو الكهرباء، فهي في كل مكان منه وقد أضيئت بإسراف ظاهر.

قلت إن الوقت ليل وأن الحركة هادئة في الطائف وهو البلد الذي لا تكثر فيه الحركة إلا في وقت الصيف إلا أن ذلك لم يمنع أمير الطائف الأمير عبدالعزيز بن محمد بن معمر أن يزور فضيلة الشيخ وهو أي الأمير رجل في نحو الأربعين من عمره إلا أنه قد أصابه ما يشبه الفالج فقد معه سمعه وأصبح لا ينتفع برجليه بسهولة، فكان لا يستطيع المشي إلا بكلفة ومتوكئا على رجل أو رجلين وكانت المفاهمة بينه وبين فضيلته وبين كل من يحدثه تتم بواسطة الكتابة فكان معه كاتب خاص يكتب له كل ما يوجه إليه من كلام في ورقة إلا أنه كان يفهم بعض مراد المتكلم من عضلات وجهه وإشارة يديه.

نمنا أول ليلة لنا في الطائف في ساعة متأخرة بعد أن تناولنا طعام العشاء، وكانت المائدة حافلة كتلك التي في مكة أو أكثر وقد زادنا يقيناً بهذا أن طعام الافطار الذي تناولناه.

يوم السبت ٥ / ٧ / ١٣٧٢هـ:

كان طعاماً يكفي لإطعام أضعافنا عدداً كما كانت الحال في مكة وقد كثر المسلِّمون اليوم فجاء رئيس المحكمة وموظفوها وأعيان أهل الطائف، وقد انقضى أول اليوم في استقبال المسلمين سلام القدوم.

يوميات الطائف:

لم تتح لي الفرصة في الطائف لمتابعة كتابة يومياتي هذه كما كنت أكتبها من قبل ولذلك فإنني الآن وقد انتهت إقامتنا في الطائف وغادرناها إلى جدة أذكر بعض الحوادث المهمة بالنسبة لي أو التي ليست بمهمة ولكن يهمني هنا تقييدها أذكرها هنا بدون ترتيب الأيام.

متى يبتدأ عملنا:

كنا نؤمل أن يبتدأ عملنا في المحكمة هذا اليوم نظراً لأنه سبق أن طلبنا من رئيس القضاة أن يكتب إلى محكمة الطائف بتهيئة ملفات القضايا التي سوف ننظر فيها وهي القضايا التي ابتدأ النظر فيها قبل شهر رجب من العام الماضي عام ١٣٧١هـ ولكننا سألنا قاضي المحكمة عند حضوره اليوم: هل هيأت الملفات للقضايا المذكورة فترسلها إلينا اليوم؟ فأجاب بأنه لم يتهيأ منها حتى ولا واحدة وإنه لابد فيما يقدر من يوم أو يومين على انجاز واحدة أو اثنتين منها، سوف يقصر العمل في المحكمة عليها دون غيرها.

هذا ومع ذلك فإنه لم يصلنا شيء من ملفات القضايا المذكورة إلا بعد

أربعة أيام ولم يبتدأ النظر في شيء منها إلا يوم السبت التالي.

وقد أخبرنا قاضي المحكمة بأن عدد القضايا الموجودة لديه في المحكمة والتي سوف تحال إلينا تبلغ ثمان عشرة قضية.

وقد برزت مشكة لم تبرز لنا في مكة وهي أن بعض أرباب القضايا المدعين فيها لم يحضروا إلينا ويطلبوا جلب خصومهم وإنها قضاياهم كما هي العادة في مكة، فهل نكتب للأمير أن يحضر أولئك المدعين؟ والمدعى في الشرع هو من إذا سكت تُرك أي لم يجلب ولكن ليس من ذلك مقصود، وقد يكون سكوتهم لا حد له ونحن نحب أن نسافر وينتهي العمل لأن القضايا الموجودة في الطائف قليلة.

وهذا ما جعلنا نكتب للأمير قائمة بأسماء المدعين والمدعى عليهم في القضايا التي وردتنا طالبين منه أن يحضرهم إلى محكمتنا بالقوة.

وقبل أن يحضر بعضهم بيوم أو ثلاثة كنا نجلس في المحكمة بدون عمل يذكر وهي أي المحكمة بيت كبير لم نشغل منه إلا ما يقارب جزءاً من عشرة من مجموع مساحته الصالحة للسكنى وهو كمكتب مكة مجهز بمكتب وفرش من سجاد ووسائد وأرائك، مجهز كذلك بأدوات صنع القهوة والشاي اللذين يعدهما لنا بدون حساب الفراش والقهوجي صانع القهوة نفسه كل ما طلبناهما.

ونتردد إليه من البيت بالسيارة وتقارب المسافة ما بينهما مائتي متر.

أول قضية :

وكانت أول قضية جرى النظر فيها قضية قتل وقد كنا درسنا القضية من ملفها الذي تبلغ مجموع أوراقه ثلثمائة وخمسين ورقة هذا مع أنه يظهر أنه قد فقد منه أوراق أخرى بالنظر إلى أنه غير مرتب.

أما هذه القضية فهي بدأت سنة سبع وخمسين وثلثمائة وألف أي منذ خمس عشرة سنة!

وملخصها: أن بدوياً وجد مقتولاً في مكان بالشفا بين نجد والحجاز وكانت إصابته في جوفه ببندقية صيد فدفنه أهله وبلغوا شرطة الطائف ولما كان لا يوجد هناك دليل يدل على تعيين الجاني عليه فقد تحروا عن شخص سبق أن كانت بينه وبين القتيل عداوة، وذكروا رجلاً قريباً منه من قبيلة أو فخذ آخر، فبحثت دائرة الأمن في الطائف عن الشخص المذكور فلم تجده و كان له أخوان وأم فسألتهم الدائرة المذكورة عه فلم يستطيعوا أن يخبروا عنه بشيء فاتهمتهم إدارة الأمن المذكورة بأنهم يعرفون مقره ولكنهم يتسترون عليه وساقت أخويه إلى السجن وتركت الأم وحيدة خارجه فماذا حدث بعد ذلك؟

هل اعترف الإخوة المسجونان بمقر أخيهما المتهم؟

يجب أن نطرح هذا السؤال بعد خمس سنوات من تاريخ الحادثة لنجد الجواب أنهما لم يعترفا ولن يعترفا أبد الدهر لأنهما ماتا في السجن أي والله ماتا في السجن مات أحدهما بعد حبسه بثلاث سنوات وتبعه الآخر بعد حبسه بخمس سنوات.

ثم بعد موت الأخ الثاني بمدة يسيرة صدف أن حصل في وادي فاطمة وهو مكان قريب من مكة حدث أن حصل شقاق بين شخصين فسجنا معاً في سجن مكة العمومي وكان يوجد في نفس السجن شقيق للقتيل المذكور فتعرف على الشخص المتهم بقتل شقيقه والذي ظل البحث عنه مستمراً مدة طويلة وحبس أخواه حتى ماتا في السجن وكان أحد الشخصين المتخاصمين من وادي فاطمة ولدى التحقق معه ذكر أنه سمع بأن الشرطة تطلبه ففر إلى وادي فاطمة خوفاً من رجال الأمن واشتغل عاملاً عند أحد الأشراف في أحد البساتين.

وجرت محاكمة طويلة ومرافعات وتحقيقات في المحكمة الشرعية تارة وفي دائرة الشرطة تارة أخرى وقد ضيق عليه الشرطة أي البوليس الخناق لينتزعوا منه الاعتراف انتزاعاً فلم يستطيعوا ذلك بالتهديد ويسهرونه الليالي تلو الليالي يوكلون به شخصاً يضربه كلما أراد النوم ونحن لا ندري صحة ذلك، وإنما هذا ما في أوراق القضية، حتى أقر بقتله تخلصاً مما هو فيه.

هذا ما يقوله هو وقد أوشكنا على عدم تصديقه في ذلك لولا أننا وجدنا في ملف القضية كتاباً موجهاً من إدارة الشرطة (البوليس) إلى إدارة الطائف تخبرها فيه أنهم سهروه حتى أقر، وقد أيد جميع من حضرنا من الطائف كلامه لما يعرفونه عن الشرطة من مثل ما ذكره وعندما قال ذلك ذكر لنا كاتب المحكمة الذي عين لدينا وهو من أهالي الطائف واسمه محمد صالح بن أحمد كمال ذكر لنا قصة عن شرطة الطائف ربما أذكرها فيما بعد.

وبعد أن أخذ المتهم واعترف بأن فعله كان خطأ حكمت المحكمة الشرعية بالدية لورثة القتيل ولكنه لأمر ما بقي في السجن حتى مجيئنا نحن إلى الطائف أي من سنة ١٣٦٤هـ إلى سنة ١٣٧٢هـ أي مدة ثماني سنوات.

وقد وجدنا في ملف القضية كتاباً موجهاً من والدة المتهم إلى جلالة الملك عبدالعزيز، ومؤرخاً في سنة ١٣٦٧هـ تقول فيه أن ابنها اتهم في قضية قتل وإن الشرطة مسكت ابنيها الآخرين وأنهما ماتا في السجن وأن الابن المتهم لا زال مسجوناً وهي وحيدة في الدنيا وقد عمي بصرها من كثرة البكاء على الميتين وعلى السجين وأنها لا ترجو من الملك إلا أن يأمر بأن يبت في القضية بمقتضى أحكام الشرع الشريف وقد صيغ كتابها بلهجة مؤثرة فأحال رئيس ديوان جلالة الملك كتاب العجوز المذكورة إلى نائب الملك في الحجاز أي سمو الأمير فيصل فأحال ديوانه كتاب الملك مع شكوى العجوز إلى إمارة الطائف وإمارة الطائف أحالت الجميع إلى شرطة الطائف ثم غاص الكتاب في لجة أوراق القضية.

واليوم عند المرافعة أمامنا من جديد كان الحكم بأن المذكور أي المتهم يجب عليه أن يسلم الدية الشرعية إلى ورثة القتيل ويجب على الشرطة أن تطلق سراحه متى ما أحضر الدية أو أحضر كفيلاً ملياً.

هكذا انهينا القضية وكتبنا بانهائها صكاً شرعياً ومذكرة رسمية إلى أمير الطائف، وقد اعترض وكيل بعض ورثة القتيل بأن هناك بين ورثة القتيل بنتاً صغيرة قاصراً ويطلب حبس المتهم حتى تبلغ وقد رددنا عليه بأمرين أحدهما

أنه لابد من بينة تثبت أنها قاصر لأنه قد مضى على موت القتيل خمس عشرة سنة والثاني حتى لو فرض أنها قاصر فإنه لم يثبت شرعاً لورثة القتيل إلا الدية والدية لا تعتبر لها بلوغ القاصر لأن بلوغ القاصر ينتظر في حالة ما إذا ثبت القود ثبوتاً شرعياً فإنه حينئذ يخير الوارث بين القود أي القصاص وبين الدية.

قلت إن هذه القضية كانت أولى القضايا التي نظرناها في الطائف وعندما أردنا السفر من الطائف بعد أن انتهت القضية المذكورة بحوالي خمسة وعشرين يوماً ذكر لنا أمير الطائف بأن المتهم المذكور لم يطلق سراحه بعد لأنه أي أمير الطائف كان قد بلغ جلالة الملك بالحكم في القضية ولا يمكن تنفيذ الحكم قبل وصول موافقة جلالته على ذلك.

ذكرت أنني سوف أقص قصة قصها علينا كاتبنا المنتدب للعمل معنا من قبل محكمة الطائف طيلة مقامنا هناك عن تشديد الشرطة على المتهمين قال الكاتب المذكور:

لا تعجبوا مما ذكر في القضية ولا مما ذكره المتهم فقد حدث منذ مدة أن اتهم أحد الأشخاص بسرقة صفيحة مليئة بالبارود وأخذت الشرطة تحقق معه، كان رجلاً كهلاً ولم يجد وسيلة للتخلص وللفكاك من ذلك إلا أن يوعز لابن له أن يشتري صفيحة بارود ويدفنها في بيته ثم يقر أي المتهم بالتهمة المنسوبة إليه ويرشد الشرطة إلى مكان المسروق.

وهكذا ثبت عليه إدارة الشرطة وجرت المعاملة المعتادة لعمل اللازم نحوه

وهو قطع اليد، وفي أثناء ذلك حضر إلى الطائف أخ لصاحب البارود المسروق، ولم يكن يعرف شيئاً عن التهمة ولما أخبره أخوه بها فزع إلى الشرطة وتبين أنه هو الذي أخذ البارود وأن الرجل برئ وأنه أقر ليتفادى التحقيق الذي هان عليه كل شيء عنده.

هذه قصة أو هما قصتان تدلان على باقي القصص الأخرى، وهذا يدعو إلى التساؤل والعجب.

لا أدري ما إذا كان ذلك بسبب عدم علمهم بالقضية.

النزهات:

النزهة في الطائف شملت نزهاتنا إلى ما حول الطائف كل جهاته تقريباً وليس هناك ما يستحق الذكر أو يستاهل التنويه ما عدا قبراً ذكر لنا أنه قبر عكرمة ولا يذكر أهل تلك الناحية عنه غير ذلك والظاهر أنه قبر عكرمة مولى ابن عباس الذي روى عنه كثيراً من التفسير ومن الأحاديث.

أتينا القبر المذكور ويبعد حوالي اثني عشر كيلومتراً عن الطائف فوجدناه في وسط مسجد مهدم هدمه الإخوان حينما غزوا الطائف سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة وألف من الهجرة ولم يبق من المسجد المذكور إلا محرابه وباقي جدرانه التي يبلغ طولها طول قامة الرجل الواقف ويظهر ما حوله أنه كان هناك عمارة كثيرة ومقبرة وأن البقعة كانت أهلة بالسكان لأن الحجارة التي بنيت بها جدران المسجد المذكور ليست حجارة عادية مهملة ولكن أكثرها إما

شواهد قبور مكتوب عليها تاريخ وأسماء اصحاب القبور وإما حجارة منحوتة مصنوعة لبناء قد أُعتنيَ به غاية الاعتناء.

وحول القبر المذكور المسجد والبناء المهدوم مقبرة قديمة تدل شواهد القبور التي ما زال بعضها قائماً وإن كان من المتيقن أنه ليس على القبر الذي وضع أصلاً وبعضها الآخر منصهر تدل الكتابات المذكورة على أنه أولها.... أربعمائة للهجرة ونصف.

هذا هو أقدم نقش ثابت مما تمكنا من قراءته، أما التواريخ التي كتبت في القرن السابع والثامن فهي كثيرة جداً بل هي أغلب التواريخ الموجودة.

وهنا كتابة يظهر من نمطها أنها كتابة قديمة وإن لم أستطع قراءة تاريخها الذي تآكل وهي تقول: هذا قبر سعيد بن العاص بن عمرو بن سعيد بن العاص رحمه الله ورحم من ترحم عليه ودعا على ظالمه، وكانت هذه العبارة تدل على أنه قتل مظلوماً من قبل أحد الولاة، وهناك بعض الكتابات التي نقلتها بنصها في دفتر أحد الرفاق لأنه صدف أنني لم أحمل مذكرتي في ذلك اليوم ولكن صاحبنا سافر إلى مكة قبل أن أتمكن من نقلها وصاحبنا هذا هو الأستاذ عبدالله المزروع موظف بالإذاعة السعودية وعضو في لجنة مراقبة المطبوعات بمكة المكرمة وأرجو إما أن أتصل به أو أعود مرة ثانية إلى المكان المذكور فأذكر هنا ذلك.

ذكرت أنه يحيط بالمقبرة المذكورة آثار مسجد مهدوم تحيط به مقبرة قديمة لم يبق من أثارها إلا شواهد قبور ملقاة في الطريق أو مبنية بها بعض الحوائط.

وتحيط بالمقبرة القديمة المذكورة مقبرة حديثة لا زال يدفن فيها حتى الآن على الرغم من أن السيل قد جرف جزءاً من المقبرة القديمة والحديثة ففي ناحية المكان الشمالية لم نكن نعرف أن السيل قد جرف المقبرة حتى وجدنا آثار الموتى المدفونين على شفير الوادي ويظهر أن الأرض كانت في السابق أعلى مما كانت عليه الآن وقد أصبح الميت عبارة عن كتلة تراب أصفر تتخلله خيوط صفر تضرب إلى البياض تلك هي العظام وقد نخرت حتى أصبح يمكن كسرها بين أصابع اليد بسهولة.

ونجد بعض الموتى قد جرف السيل بعضه وترك بعضه، وقد ذهب أولئك الموتى الذين جرفهم السيل أو على الأصح ذهب ترابهم وبقايا عظامهم مع السيل والتراب ليكون طعاماً وشراباً للأحياء الآخرين الذين سوف يصبحون هم كذلك حتماً ولذلك فإننا لا ننقم منهم أن بطونهم أصبحت لحوداً لأجسام أولئك الموتى بما شربوا من ماء أذيب رفاتهم فيه وبما أكلوا من غذاء تغذى هو بسماد من أجسامهم.

ولأن أولئك الموتى قد فعلوا فعل هؤلاء بهم بمن قبلهم.

وهكذا فالجزاء من جنس العمل وهكذا نحن بني آدم آكل ومأكول إلى أن يأكل الدهر الجميع ورب الدهر اعلم بما يكون بعد ذلك ومتى يكون ذلك.

سبحان الله إن هذا الشيء يطير العقول لولا قليل من البله والغفلة والمشاغل الأخرى التي تصرف عقل ابن آدم عن التفكير في مثل هذه الأشياء.

تلك العظام وبقايا الرمم الآدمية رأيناها لا فرق فيها بين غني وفقير وذكر

وانثى وأسود وابيض وجميل وقبيح، أليس هذا دليلاً على أن الناس واحد لا فرق بين عنصر وعنصر إلا فروق البيئة والظروف وطرق المعيشة وأحوال الحياة.

كان بعض الأصحاب يعبث بيده بما تركته الأرض من عظام الميت فينتهره الآخر قائلاً دعه إنه أدمي، فيبيجه الآخر: إذا لم نفتته نحن فسوف يفتته الدهر.

فأقول أنا فتت ما شئت فسوف تفتت أنت أيها المفتِتّ المفَتَّت!!

الطائف بلد البشارات:

كانت مدة اقامتي في الطائف لا تزيد على أربعة وثلاثين يوماً ومع ذلك فقد تلقيت فيها بشارتين كبيرتين بالنسبة لي، كانت أولاهما البشارة بولادة الابن ناصر وهي الأولى من نوعها إذ لم يسبق أن ولد لي مولود ذكر قبله.

والثانية بشرى تعييني في وظيفة مدير المعهد العلمي في بريدة بدلاً من وظيفتي الحالية التي هي مدير المدرسة المنصورية ببريدة وهذه الوظيفة الجديدة وظيفة راقية يكفي في معرفتها أنها الثانية من نوعها في المملكة، وليس في المملكة كلها معاهد من هذا النوع ما عدا المعهد العلمي بالرياض الذي يرأسه فضيلة المفتي الأكبر للمملكة العربية السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ومديره هو الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم آل الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

ويبلغ مقدار راتبه أكثر من راتب وظيفة مدير المدرسة التي كنت أشغلها قبله مبلغاً أكثر من الضعفين وبذلك تصبح وظيفتي في بريدة هي الوظيفة الثانية بعد وظيفة الأمير بالنسبة إلى ضخامة الراتب وتسمية الوظيفة.

أحمد الله تعالى واسأله أن يرزقني السداد والتوفيق في عملي والصلاح والقوة و العافية لأبني إنه سميع مجيب.

هذا وبالنظر إلى أن موعد العطلة المدرسية قد أزف فقد أرجأت استقالتي من وظيفتها إلى ما بعد العطلة، وكذلك بالنظر إلى أن موعد افتتاح المعهد الذي

وظفت فيه وهو ينشأ لأول مرة في بريدة ليس الآن فقد قررت أن استمر في عملي كأحد مساعدي الشيخ عبدالله بن حميد في عمله في الحجاز، ولبثت منتظراً التعليمات التي ترد إليَّ من سماحة رئيس المعهد الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ في ذلك.

هذا وقد كتبت في هذه اليوميات في مواضع متفرقة عن وجوب العمل لفتح مثل هذا المعهد والعمل على تحصيله.

وعندما وافق سمو ولي العهد على افتتاحه، وأحال طلب أعيان بريدة وطلبة العلم فيها على فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم للنظر فيه وعمل اللازم نحوه كتبت في هذه اليوميات فصلاً بعنوان (صحت الأحلام) في يومياتي في مكة وكان اغتباطي بالموافقة عليه عظيماً لأنه في صالح البلد وأبنائه، ولم أكن أحلم- والله- بأن تسند إليَّ إدارته لأنها وظيفة كبيرة لا تدانيها وظيفتي الآن و لكن ها أنذا الآن والحمد لله وقد تحقق المعهد وكنت مع ذلك مديره الذي يرسم سياسته فلك اللهم الحمد كثيراً مضاعفاً.

قاتل الله الاحتشام:

هذا الاحتشام المصطنع والوقار المصنوع الذي تمليه عليَّ وظيفتي الآن ومقامي كعضو في هيئة قضائية قد حرمني من كثير من الأشياء التي يمكن أن تمتع وأن تفيد كثيراً ما أ حب أن أنتقد في إحدى الجرائد أو إحدى المجلات

موضوعاً من الموضوعات أو عيباً من عيوب المجتمع ولكن هذا الوقار المصطنع يمنعني من ذلك.

على العموم لا أريد أن أكثر من التفصيلات ولكني أثير شيئاً واحداً بسيطاً كشاهد على ذلك:

إننا نخرج كثيراً كما قلت إلى الخارج في الطائف ونقابل أناساً كثيراً نحب أن نحتشم منهم.

مقر وزارة الدفاع في الطائف:

على أثر مكالمة تليفونية مع رئيس ديوان وزارة الدفاع ذكر فيها لنا أن الأمير متعب بن عبدالعزيز وكيل وزارة الدفاع للمملكة العربية السعودية يود الاجتماع بفضيلة الشيخ عبدالله، وقد أخذت منه موعداً نجد فيه سمو الأمير في الديوان الرسمي للوزارة ليجتمع مع فضيلة الشيخ.

وقد ذهبت مع فضيلة الشيخ ولم يذهب معه أحد غيري.

فدخلنا مقر وزارة الدفاع وكان بناء قديماً كان لأحد الأشراف قبل سقوط حكومتهم ويربض على ركن من مدخله مدفع قديم يذكر لأول وهلة بطابع الوزارة.

ومنذ وطئته قدماي لم اشعر بشعور من يدخل مقر وزارة الدفاع الذي يفترض فيه أن يسير أمور كل ما يتصل بالدفاع في المملكة التي يبلغ تعداد سكانها السبعة ملايين على وجه التقريب، وأغلب الظن أنه لا يوحي لغيري بذلك الشعور.

أردنا الدخول على سمو الأمير متعب فقيل لنا: إن لديه بعض الأمراء في اجتماع رسمي معهم فانتظرنا في قاعة الانتظار بعض الوقت، ثم دخلنا على سموه فاستقبلنا لدى الباب وأحسن الاستقبال مما يدل على سلامة ذوقه ثم أجلسنا قريباً منه، وبدأ في الكلام.

والحقيقة إنني أعجبت به إعجاباً سد كل فراغ في نفسي من الإعجاب بمبنى وزارة الدفاع ومظهر وزارة الدفاع السعودية.

كان يتكلم كلام المثقف المفكر، قال سموه ما معناه:

إننا كثيراً ما يسألنا الصحفيون والمفكرون في أوروبا وأمريكا ما هي القوانين والأنظمة التي تسير عليها الحكومة السعودية؟

فنجيبهم بأنها تسير وفق الأنظمة والقوانين الإسلامية، فيعيدون علينا نفس السؤال تقريباً قائلين وما هو الإسلام؟ وأين توجد الكتب التي تتضمن القوانين والأنظمة الإسلامية المعمول بها في نجد؟

قال سموه فلا نستطيع أن نجد لذلك جواباً!!

هل نقول لهم إن الأنظمة الإسلامية موجودة في كتب الفقه وكتب الفقه يناقض بعضها بعضاً ويعيب بعضها على البعض؟

هل نحيلهم إلى كتب المالكية أو الحنفية أو الحنابلة، أو الشافعية، وفي كل كتب مذهب من هذه المذاهب متناقضات، بل المذاهب كل مذهب على حدة.

ثم وجه سموه الحديث إلى الشيخ عبدالله بن حميد قائلاً: إن واجب إيضاح الفقه الإسلامي الصحيح أو الذي يقرب من الصحيح واقع على العلماء واقع عليكم أنتم بالذات، والحقيقة أنني قد تكلمت- قال سموه- مع أكثر العلماء في المملكة في هذا السبيل وأرجو أن يحقق الله لي ذلك.

ثم أفاض سموه في الحديث عن شؤون مهمة أخرى منها شؤون الدفاع التي يتولاها سموه فقال سموه فيما يختص ذلك:

إن لدينا الآن الإمكانيات لنهضة دفاعية ولكن ما ينقصنا الآن هم الضباط الذين يدربون الجيوش ولا بد لهم من خبرة.

ثم ذكر بعض المشروعات التي قامت بها وزارة الدفاع والتي سوف تقوم بها.

وقد أعجبت كثيراً بتفكير الأمير على حداثة سنه، ووجدت لديه نفس الشعور تقريباً بالنقص الذي اشعر به أنا ويشعر به كثير من الناس في المملكة ونفس الرغبة في تلافي ذلك النقص وفي السعي إلى الكمال المنشود.

ذلك هو الأمير متعب بن الملك عبدالعزيز آل سعود وكيل وزارة الدفاع السعودية.

في وادي الحوية :

كنا ننظر في قضية يتلخص النزاع فيها بين الطرفين المتداعيين على أرض في وادي الحوية شمال الطائف وقد احتاج الأمر إلى الوقوف على عين الأرض المتنازع عليها لتطبيق حجج الطرفين، فخرجت أنا وزميلي الشيخ عبدالله السليمان بن حميد من بعد صلاة الظهر وقد وصلنا مع صلاة العصر، وقد استغرق الطريق حوالي الخمسة والأربعين كيلومتراً.

وقد عجبنا كيف تطول المنازعات وتكثر المخاصمات بين الطرفين على أرض بور لا تصلح للزراعة إلاَّ بعد جهود كبيرة مضنية على حين توجد أراض أسهل منها استصلاحاً.

ولما سألنا بعض العارفين من أهل الطائف عن ذلك قالوا إن الأهم عند المتخاصمين هو الحكم في صالح أحدهما لا ما يحكم له به وإن كثرة الخصومات بين جيران في نفوسهم حزازات وبينهم ثارات تجعل الحكم في القضية لأحدهما له أهمية خاصة لديهم.

هذا وقد لاحظت الشبه الكثير بل الذي يكاد يكون تاماً بين سكان ضواحي الطائف وبين أهل نجد حتى في اللباس واللهجة وطريقة المعيشة.

هذا وقد أخذنا سيارتنا وكنت فيها أنا وكاتبنا الطائفي ويدعى محمد صالح كمال من عائلة كمال المشهورة في الطائف وكان معنا في السيارة بعض الخصوم، أما زميلي وبعض الخصوم الآخرين، فكانوا في سيارة أجرة استأجروها خصيصاً لذلك.

ابني ناصر:

جاءتني تهنئات كثيرة من بريدة وغيرها تهنيء بولادة الابن الأول لي (ناصر).

وقد شكرت الجميع وكان كل شيء يذكرني بالصورة التي رسمت فيها ابني ومستقبله وكيف ينبغي أن يكون عليه، وماذا ينبغي أن يتعلم، وهل ارتضي له أن يكون دكتوراً أم اختار له أن يصير مهندساً أم الأنسب أن يكون أديباً.

ثم أدرس طبيعتي أنا وطبيعة أمه وما هو العمل الذي أفضله أنا على غيره من الأعمال وما هو العمل الذي تفضله أمه على غيره من الأعمال لعلي أخرج من ذلك بنتيجة، ولعله يكون استعداده وميوله موافقة لنا مشابهة لاستعدادنا وميولنا.

ثم أقول: إنه يجب أن يترك ذلك له هو وحده وللشيء الذي يلائمه ويفضله، وربما ورث خصائص عن أبائنا الأولين لم يمكن ظهورها فينا نحن فتكون ميوله متنافية مع ميولنا.

وهكذا أعيش في ذكر مستقبله من أفكار لا أول لها ولا أخر ثم أصحو على نفسي فأتذكر أنه ولد الآن فأرجع عن ذلك وأخاف أن تكون قصتي كقصة الناسك كما تقول ألف ليلة وليلة، فأترك هذه الأفكار ألى أوانها وهي قابلة للتأجيل، بل إنها لا يمكن لها إلاَّ أن تؤجل ثم أرجع الى الاسم أن ناصر اسم يوافق هواي لسببين الأول إنه اسم والدي ووالدي رحمه الله هو أعز مخلوق عليَّ، وثانياً: لأنه اسم تنطقه

العامة لدينا بدون تحريف، وكنت أفضل أن أسميه اسم أحد أبطال التاريخ الذين يعجبونني مثل طارق بن زياد وصلاح الدين الأيوبي، ولكن العامة يطلقون اسمه محرفاً فيقولونه في طارق مثلاً: طارق بلفظ القاف بين الزاي والسين كما إنهم يحرفون الأسماء العربية الأخرى مثل عمر يقولون فيها اعْمَر بكسر الهمزة وإسكان العين وهكذا.

إن الناس يهنئوني بابني وأنا كذلك أهنيء نفسي لأنني سأجد إن شاء الله فيه من يشاركني في حمل هموم الحياة ولو مشاركة معنوية مثلاً، أما هو فإنني لن أهنئه بالدنيا التي يعرفها الناس لأنه سوف يملها كما ملها غيره ولكنني إذا كان لابد من تهنيئة له أهنئه على أن يكون عالماً بعد أن كان جاهلاً أهنيئه بأنه سوف يعرف ما لم يكن يعرف ويرى ما لم يكن يرى.

إنني أهنيئه بالمعرفة، التي لم أجد متعة في الدنيا تعادل متعتي بها وكفى بها شيئاً يتمتع به الإنسان وتلذ من أجله الحياة.

إنني اعتقد أن الحياة بدون معرفة أية معرفة كالحياة بدون هواء.

أي فرق بين الإنسان والحيوان غير المعرفة؟ هذا ما لا أؤيده دليلاً على فضل المعرفة ولكنها التجربة الخاصة التي جربتها بنفسي.

إن الحياة هي المعرفة؟.

إذا مر بي يوم ولم أكتسب هُدَى ولم استفد علماً فما ذاك من عمري

احتفال المدرسة النموذجية في الطائف:

دعينا إلى حفل أقامته المدرسة النموذجية في الطائف، وقد دعي إليه سمو الأمير عبدالله الفيصل وزير الداخلية والصحة وخرج خصيصاً لشهوده من مكة إلى الطائف، وقد كانت حفلة جميلة وأجمل ما فيها العرض الرياضي الرائع الذي قام به طلبة المدرسة والألعاب السويدية، التي هم بحق أول من يقوم بها من أهالي نجد، كما أن الجديد في الحفلة ذلك العرض الرائع من رسوم وتماثيل عملها الطلبة بايديهم ولم تستطع هيئة الأمر بالمعروف أن تمنع إقامة المعرض أو عرضه لسبب واحد هو أن طلبة المدرسة النموذجية جلهم من أبناء كبار القوم.

والشيء الذي أعجبني كثيراً- هو ذلك اللون القمحي الفاتح واللون البرونزي الجميل الذي يكسو وجوه طلبة المدرسة، وأغلبهم كما قلت من العائلة المالكة وأقلهم من أبناء الأعيان، والصحة والعافية البادية على وجوههم ليس لها نظير في غيرهم إلا ما ندر.

من الطائف إلى جدة:

في اليوم التاسع من شهر شعبان عام ١٣٧٢هـ سافرنا من الطائف إلى جدة، وكنا نمتطي ثلاث سيارات إحداها لنقلنا فقط والأخريات لدينا بصفة دائمة، وهما تابعتان لثري يقال له: (أبوبكر باخشب باشا) ولهما أجرة يومية على حساب الحكومة كما قدمت وقد غادرنا الطائف للإعتمار مع غروب

الشمس ولم نصل إلى جدة إلاَّ بعد أن كانت الساعة تشير إلى الثالثة مساء حسب التوقيت الغروبي المعمول به في المملكة.

تعييني مديراً للمعهد العلمي في بريدة:

بينما كنت في الطائف تلقيت كتاباً من سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ فيه قوله:

بناء على موافقة سمو ولي العهد بفتح معهد علمي في بريدة يكون فرعاً لمعهد الرياض العلمي، فقد رأينا أن تكون مديراً له.

نسأل الله لكم التوفيق.

محمد بن إبراهيم آل الشيخ

وقد ذكرت كيفية ذلك ومعنى كتاب سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم في كتاب: (سبعون عاماً في الوظيفة الحكومية).

والخلاصة أننا أكملنا عملنا في الطائف ثم في جدة وبعد عيد الفطر المبارك من هذا العام ١٣٧٢هـ سافرت إلى الرياض وقابلت سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ بشأن المعهد، بل حللت ضيفاً مكرماً عليه في الرياض.

وبذلك انتهت مهمتي في الحجاز، وإن كانت بقيت فيها بقية لفضيلة شيخنا ابن حميد والإخوان الآخرين في المدينة المنورة، وقد ذهبوا إليها في غيابي ثم عادوا إلى بريدة.

نماذج من الردود العلمية للشيخ عبدالله بن محمد بن حميد على بعض العلماء وطلبة العلم حول مسائل علمية:

أورد ابنه صاحب المعالي الشيخ الدكتور صالح بن عبدالله بن حميد في مجلة (الدارة) ما يلي:

رد في حكم تحديد مكان ذبح الهدي في منى، وذبحه قبل يوم النحر:

من عبدالله بن محمد بن حميد إلى جناب الأخ الأستاذ/.....المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: فقد اطلعت على ما كتبتم في مجلة..... عددها..... حول ما يتعلق بهدي التمتع والقران، وحيث إننا نعلم أن رائدكم الإصلاح، وقصدكم من البحث الاستفادة والوصول إلى سبيل الحق، أحببنا ننبهكم على بعض النقاط في كلمتكم المشار إليها.

أولاً: قلتم: إن عبدالله بن حميد يرى أن الحكومة مسئولة وملزمة بتهيئة الوسائل والأسباب التي تمكن الفقراء من الانتفاع، فنقول نعم، وذلك بناء على أن الحكومة الآن هي حصرت الناس في مكان واحد معين للذبح، ولا يذبح في غيره، فهذا الحصر لابد من فكه بأي وسيلة ممكنة تكفل المصلحة، وقد التزمت الحكومة بجعلهم لا يذبحون إلا بمكان واحد وعينته لهم، فما الذي خصص مكاناً واحداً والرسول صلى الله عليه وسلم يقول منى كلها منحر؟

فالحكومة حينئذ إذا رأت أنها لابد أن تتدخل للمصلحة فيلزمها أن تراعي

المصلحة من جميع جوانبها، ولا يتم ذلك إلا بتعدد المجازر ولو أمكن أن يترك الناس كل يذبح حيث شاء من منى أو مكة بدون ضرر على المهدي والمطعم للزم ذلك، ولكن قد يحصل الضرر بذلك على العموم فللمصلحة وانتفاء المحذور عملت الحكومة مجزرة واحدة.

أما الآن وقد كثر الناس وكثرت الذبائح فيلزم أن تتعدد المجازر بقدر الحاجة، والحكومة هي التي تحدد الأمكنة وترعى تنظيمها بما يكفل المصلحة، ولا يخالف النصوص الشرعية.

ثانياً: نسبتم لنا أننا اعتمدنا على حديث أسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم: (منى كلها منحر، وفجاج مكة طريق ومنحر) وهذا الحديث الذي ذكرتم لم نستند عليه، ولا نعلم أن لأسامة حديثاً في هذا الموضوع بهذا اللفظ، فلا يحسن منكم أن تنسبوا لأحد حديثاً بدون تأكد، وإنما الذي اعتمدنا عليه في هذا البحث هو حديث جابر بن عبدالله وغيره من الصحابة.

ثالثاً: قلتم: إن مناسك الحج تختلف بين أركان وواجبات وسنن.. الخ، ثم قلتم إن هذا قياس مع الفارق الكبير: فما هو الفارق؟ أليس الذي قال: (وقفت هاهنا وعَرَفة كلها موقف) هو الذي قال: (نحرت ها هنا ومنى كلها منحر) وقال: (خذوا عني مناسككم) فما هو الفارق بين أن نأخذ عنه من المناسك الوقوف بعرفة والطواف بالبيت ورمي الجمار ونحوها وندع الأخذ بالاقتداء به بنحر الهدايا يوم النحر كما فعل وأمر صلى الله عليه وسلم؟

رابعاً: قلتم: إن ذبح الهدايا تَعَبُّدي فما مرادكم بهذا؟ أهي حتى الآن لم تتضح لكم الحكمة من إهداء الهدايا في هذا المكان الشريف؟ فالمعروف عند العلماء أن التعبدي هو الذي لم تتضح حكمته ولا يعقل معناه، وقد أمرنا الشارع به، فهذا هو الذي يسمى تَعَبُّدياً، أما الهدي فمعقول المعنى وواضح الحكمة بالنص والاجماع، ولا يخفى ذلك على أدنى طالب علم، قال الله تعالى: (فإذا وَجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون)، ولذلك خصصت لمساكين الحرم من المقيمين فيه والوافدين إليه فهي ظاهرة الحكمة، معقولة المعنى، والمقصود منها التوسعة على مساكين الحرم لا كما زعمتم في وجهة النظر في أحد أعداد جريدة..... حينما أيدتم اقتراح من اقترح توزيعها على الفقراء في جدة والمدينة.

خامساً: قلتم: إن آراء الفقهاء اختلفت في تحديد زمانها ومكانها.. الخ، فهذا شيء أوضحناه في كتابنا وأن الخلاف فيه شاذ، حيث إنه لم يستند على كتاب ولا سنة ولا إجماع لكنه قياس، وا لقياس لا قيمة له مع وجود النص الصريح الصحيح بل النصوص الكثيرة.

سادساً: قلتم: ولم يثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر ولا نهي صريحان يحددان الزمان والمكان، وهذه العبارة الأليق بكم أن تقولوا لا نعلم فيها شيئاً فهذا أورع وأدق في التعبير، أليس قوله صلى الله عليه وسلم: (خذوا عني مناسككم) أمر، وفي لفظ (لتأخذوا عني مناسككم) وهل هناك أمر أصرح من هذا الأمر؟

بل إن هذا من جوامع الكلم الذي خص به صلى الله عليه وسلم، وقد روى الإمام أحمد عن جبير بن مطعم عن النبي صلى الله عليه وسلم: (كل عرفة موقف، وارفعوا عن بطن عرنة وكل مزدلفة موقف، وارفعوا عن بطن محسر، وكل فجاج مكة منحر وكل أيام التشريق ذبح) وروي أيضاً من طريق آخر عن نافع بن جبير عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقد قال الإمام علي رضي الله عنه في الأيام المعدودات: (هي ثلاث يوم النحر ويومان بعده، اذبح في أيها شئت، وأفضلها أولها).

ألم يحصل التحديد في هذه الأحاديث وفي فعله صلى الله عليه وسلم وأمره بأن نقتدي به في جميع المناسك، وذبح الهدي من جملتها هذا هو الذي فهمه الصحابة- رضي الله عنهم- حيث يقول السائل منهم: يا رسول الله لم أشعر حلقت قبل أن أذبح، قال اذبح ولا حرج، فهو لم يسأل إلا أنه رأى أن فعله خالف فعل الرسول، وقد تقرر لديهم الاتباع له فيما يؤدي من المناسك لقوله لهم: (خذوا عني مناسككم) ألم يكن وجود الهدي مانعاً للرسول صلى الله عليه وسلم من الإحلال؟ كل ذلك لعدم تمكنه من نحره قبل وقته المحدد، أضف إلى ذلك بالنسبة للمكان قوله صلى الله عليه وسلم: (نحرت ها هنا ومنى كلها منحر، وكل فجاج مكة طريق ومنحر) وأي فائدة من هذه الأخبار من الرسول ﷺ في هذا المجتمع العظيم إذا لم يدل على مكان الذبح؟؟

سابعاً: تخصيصكم الأمر والنهي وأنهما لم يردا عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموضوع يفهم منه أنكم لا ترون فعل الرسول ﷺ ولا تقريره

حجة، وهذا خلاف ما عليه أهل العلم من أن أوجه السنة ثلاثة: قوله ﷺ، وفعله، وتقريره، أما الأمر والنهي فهما أحد هذه الأشياء الثلاثة.

ثامناً: قلتم: وما يدرينا أنه لو جعلها عمرة لأهدى؟ فقد يقول الغير: وما يدريكم أنه لو جعلها عمرة لما اهدى؟ بل هذا هو الحق، حيث أمر اصحابه الذين لم يسوقوا الهدي أن يجعلوها عمرة ولم يهدوا بعد التحلل منها، ثم إن العبرة بفعله ﷺ وأمره، فالأحكام تتعلق بما صح عنه من قول أو فعل أو تقرير، ولا تتعلق بما يفرض ويظن وقوعه، والحديث واضح الدلالة أن الذي منعه ﷺ من الإحلال هو سوق الهدي، وقد نحره في وقته الذي شرع فيه، وأمر الناس باتباعه في ذلك وفي غيره من المناسك.

تاسعاً: قلتم: إن صفة حجته لم تكن ملتزمة ولا التزام بها جميع الأئمة.. الخ. فعلى قولكم هذا لم يكن لقوله صلى الله عليه وسلم (خذوا عني مناسككم) معنى، ولا يلزم الأخذ بأفعاله، ولسنا بحاجة إلى الأحاديث الواردة في صفة حجته ﷺ لا حديث جابر الطويل ولا غيره، بل نكتفي بما ورد عنه من أمر أو نهي فقط.

هذا هو معنى كلامكم وقد جعلتم حجتكم على هذا اختلاف الفقهاء في بعض مسائل الحج، حيث فرقوا بين ما هو ركن وما هو واجب أو سنة، وعلى هذه القاعدة التي قَعَّدتم؛ أن كل مسألة اختلف الفقهاء فيها لا يجب أن يلتزم فيها شيء من أفعاله ﷺ ، بدليل وجود الخلاف فيها بين الفقهاء، ولم تعلموا أن

المسائل التي فرق فيها الفقهاء- رحمهم الله- إنما هي مسائل ورد فيها أحاديث أخر: ولكمال علمهم، ودقة فهمهم جمعوا بين أقواله وأفعاله وتقريراته، وفرقوا ذلك التفريق حسبما فهموا من ذلك، أما مسألة الهدايا فجواز تقديم ذبحها قبل يوم النحر لم يستند إلى دليل شرعي، ووجود الخلاف لم يعتبره أحد من أهل العلم من الادلة الشرعية في حين أنهم مجمعون على وجوب الهدي، ولم يختلفوا في ذلك في حق المتمتع والقارن.

عاشراً: قلتم حقّاً إن اختلافهم كان رحمة، فما هي هذه الرحمة؟ ومتى كان الاختلاف رحمة؟ بل هو مذموم ذمه القرآن، و عابته السنة، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾، ويقول تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ ﴾ ، ويقول تعالى: ﴿ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾، ولو كان الخلاف رحمة لما كان الاجماع الذي هو الأصل الثالث حُجَّة، وفي حديث العرباض بن سارية: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة).

وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص: (إنما أهلك من كان قبلكم اختلافهم في فهم الكتاب)، فهذه الآيات والأحاديث تذم الاختلاف وتعيبه وتمنع منه، وأما ما يروى: اختلاف أمتي رحمة فهو لا أصل له كما قاله السيوطي وابن الديبع والسخاوي.

أحد عشر: قولكم: وإلا فمن يقول إن باستطاعة الحجاج جميعاً أن يصلوا الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر بمنى يومي الثامن والتاسع... الخ؟

نعم باستطاعة كلِّ حاج يريد التمسك بالسنة أن يفعل كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن يقتدي به في أفعاله صلى الله عليه وسلم، بل هو فعل عامة المسلمين اليوم- ولله الحمد- وقبل اليوم هو أنهم يفعلون كما فعل الرسول، ولم يشق عليهم ذلك في ذهابهم إلى منى ومنه إلى عرفات ومنها إلى المزدلفة، مع أن البقاء في منى في اليوم الثامن وليلة التاسع إنما هو سنة وليس بواجب.

اثنا عشر: وقد تقرر لديكم كما تقرر لدى غيركم أنه صلى الله عليه وسلم ذبح هديه يوم النحر، وتقولون: إنه لم يقل لا تذبحوا قبل يوم النحر، فقد جريت في هذا على قاعدتكم الغريبة أنه لا عبرة إلا بأمره ونهيه فقط، و لا تعتبرون سوى ذلك في فعل أو تقرير، وإذا تنزلنا جداً بالإجابة عن هذا الإيراد الذي لا يستحق الجواب: فنقول هل قال صلى الله عليه وسلم لا تقفوا بعرفة اليوم العاشر، أو لا تقفوا فيها اليوم الثامن، أو لا تطوفوا والبيت عن يمينكم، أو لا تطوفوا أكثر من سبعة أشواط، أو أقل، في طواف الحج أو غيره، أو لا ترموا أكثر من سبع حصيات أو لا تصلوا من الصلوات أكثر مما هي عليه أو أقل، إذاً على هذه القاعدة كل فعل فعله صلى الله عليه وسلم، ولم ينهنا عن الزيادة فيه والنقص، لنا أن نزيد وننقص حيث لم يرد فيه أمر أو نهي، وأن أفعاله صلى

الله عليه وسلم ليست حجة، فحينئذ لا عبرة بقوله (صلوا كما رأيتموني أصلي) كما لم تعتبروا قوله (خذوا عني مناسككم) في هذا الموضوع.

ثالث عشر: سميتم عدم جواز الذبح قبل وقته المحدد شرعاً تضييقاً، ونحن لا نرى فيه تضييقاً ولا ضيقّاً فالذي وسَع الرسول وأصحابه والتابعين والأمة أجمع لا يضيق عمن قصد الاتباع وتقيد بقيود الشريعة، أما المتحرر من بعض القيود الشرعية فلا شك أنه يتضايق أيضاً من مسائل أخرى سوى هذه مما يلزم الاقتداء به ﷺ ، وما الذي أطاح بكثير من البلاد الإسلامية عن سلطتها وعزها إلا ترك التقيد بأحكام الشريعة من كل وجه وكل من يسعى لطلب الحلول من غير ما جاء به الرسول لابد وأن يقع في هذه الردى.

رابع عشر: قلتم: إن ابن حميد لا يجيز تأخير الذبح عن أيام النحر فاعلم وفقني الله وإياك أن هذا القول ليس قولي، وإنما هو فعل الرسول وأصحابه وجمهور العلماء كما سبق في حديث جابر الطويل، وقول علي رضي الله عنه، وهو قول ابن عباس، وعطاء، والاوزاعي، وغيرهم من الصحابة والتابعين ولا عبرة بمن شذ بدون مستند شرعي، ووجود الخلاف ليس دليلاً كما تقدم بيانه، لاسيما في مثل هذا الخلاف الشاذ، ولو كان كل خلاف وجدنا فيه سهولة ويسر ومنفعة فيما يبدو لنا أخذنا به لوقعنا فيما هو أعظم من هذا، فمسألة المتعة متعة النساء حرمها رسول الله ﷺ بعدما أباحها، ومن ارتكبها الآن اعتبر مرتكباً للزنا، مع أنه يوجد في هذا الوقت وقبله من يجيزها، وأكل لحم الحمر الأهلية يوجد لبعض أهل العلم قول بجواز أكلها وإباحة المتعة مصلحة لعدم

الوقوع في الزنا، ولعدم إضاعة المال في أكل لحوم الحمر والاستفادة منها، فهل يساندُ في ذلك نظراً لوجود بعض المصلحة وللخلاف فيها؟ وقد صرح أهل العلم أن من تتبع رخصِ العلماء للأخذ بها فسق.

خامس عشر: كررتم قولكم هل ثبت عن الرسول أمر أو نهي فهذا التكرار يدل على عظيم اعتمادكم أنه لا عبرة بفعله أو تقريره صلى الله عليه وسلم وهذا خلاف قول الأئمة بل فيه إهمال لوجهين من أوجه السنة.

سادس عشر: قررتم أيضاً أن الهدي تعبدي، والمعروف لدى العلماء كما تقدم أن التعبدي هو الذي لم تظهر حكمته، وهذا- ولله الحمد- واضح المعنى معقول الحكم دل على المقصود منه الكتاب والسنة، ثم إنكم استبعدتم أن يكون له تحديد ابتداءً وانتهاءً كا لوقوف بعرفة وكأنكم اعتقدتم الاجماع على ابتداءً الوقوف وانتهائه حيث جعلتموه مضرب المثل، وفاتكم وجود الخلاف في ابتداء الوقوف يوم عرفة، وقد قال الإمام أحمد: (إنه من فجر يوم عرفة) والأئمة الثلاثة يقولون: (ابتداءوه من الزوال يوم عرفة) وكل منهم مستند إلى دليل من قول أو فعل عنه عليه السلام كما هو معروف، وقد وضعتم هذه الجملة بصيغة الاستفهام استبعاداً لوجود الخلاف في ابتدائه وقد خالف فيه أحد الأئمة وربما كان من وجه قوي من حيث الدليل كما خالف أحد الأئمة في وقت الذبح ولم يستند إلى نص من كتاب أو سنة فعلى الإنسان أن يحكم بما جاء عن الله ورسوله ويجعل العقل في جانب بعيد عن الاستحسانات المخالفة لهديه صلى الله عليه وسلم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مسألة: فيمن قال إن الربا هو العقبة الكأداء في تقدم المسلمين:

وسئل الشيخ عبدالله بن حميد- عفا الله عنه- عمن يقول: إن تحريم الربا هو العقبة الكأداء في تقدم المسلمين، حيث حرم الدين الإسلامي المعاملات الربوية التي هي مناط القوة، ومصدر الشرف لذا تأخر المسلمون عن مجاراة غيرهم من الأمم، وأصبحوا عالة فقراء، الغني منهم لا تنمو ثروته ولا تزيد، والفقير في غاية من الفقر والهوان، فلو تعاملوا بالربا لنمت ثروتهم وكثرت أموالهم، وصاروا بالمكان اللائق بهم، وهذا رأي كثير ممن تعلموا في المدارس بل ومن هم أكبر منهم!!

فأجاب: لاشك أن هذا الرأي خطأ مبني على أوهام لم تقل عن علم واختبار، ولا عن تجربة ونظر صحيح، ولا عن معرفة عن حكم تحريم الربا؛ فإن المسلمين في هذه الأيام لم يحكموا دينهم في شيء من أعمالهم ومكاسبهم، ولو حكموه في تحريم الربا لما استدانوا بالربا، و جعلوا أموالهم نهباً وسلباً لغيرهم.

ثم لو سلمنا أنهم تركوا الربا من أجل دينهم فهل يقول هؤلاء الجهلاء الذين زعموا أن الربا هو العقبة الكأداة في عز المسلمين وقوتهم وإنماءِ ثروتهم، فهل يقولون نظير هذا في ترك الزراعة والصناعة والتجارة وخلودهم إلى البطالة والكسل لأجل الدين؟ في حين أن الإسلام رغب في الزراعة والصناعة والتجارة وحث عليها في آيات كثيرة من القرآن وأحاديث عديدة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلماذا لم نتقن سائر أعمال الكسب المؤدي إلى إ نماء الثروة والباعث للعمل والنشاط، لنعوض على أنفسنا ما فات من كسب الربا المحرم، فما من محرم منعت الشريعة منه إلا وفتحت طريقاً أحسن وأنفع من

ذلك الممنوع، كما ذكرنا فيما تقدم من الصناعة والزراعة، فالدين الإسلامي يأمرنا بأن نسبق الأمم في كل شيء نافع للبشرية، خال عمّا فيه ضرر لا حق بالدين أو الدنيا، غير أن المسلمين- في الأغلب- نبذوا دينهم ظّهريّاً فلم يبق عندهم منه سوى تقاليد وعادات أخذوها بالوراثة عن آبائهم ومجتمعهم، فمن زعم أن الدين الإسلامي مانع لهم عن الترقي والتقدم، مؤخَّر لهم إلى الورى فقد عكس القضية وأضاف إلى جهله جهالة شراً منها، وإنما يكون هذا من عدم البصيرة والتأمل في حالة الأمة من بداية نشأتها إلى ما انتهت إليه، ولو عرف المسلمون اليوم أنفسهم لعرفوا ماضيهم المجيد كما يعرفون حاضرهم، ولكن جهلهم بأنفسهم وعدم قراءتهم لماضيهم هو الذي أوقعهم فيما هم فيه من الشر والبلاء العظيم، فهم لا يعلمون من أين أخذوا، ولا كيف سقطوا من بعدما ارتفعوا وما ارتفعوا إلا بالدين القويم الذي ضمن لهم السعادة والعز والرقي، وما سقطوا إلا بنبذه وراء ظهورهم، وجهلهم لتعاليم دينهم وقد أفضى بهم الجهل إلى أنهم يجعلون علة الرقي والسعادة علة السقوط والهبوط والانحطاط.

فتوى: هل وجود النزاع والمخاصمة في العين يعتبر عيباً؟

سئل عن رجل باع على رجل آخر عقاراً أو منقولاً، فبعد لزم البيع وثبوته ادعى رجل آخر بأن المبيع له أو له فيه استحقاق، وأراد المشتري فسخ البيع تضرراً من المخاصمة والمنازعة وطول الأخذ والرد، هل مثل هذا يعتبر عيباً يفسخ المشتري لأجله البيع أم لا؟

الجواب: لا شك أن مثل هذا عيب واضح ولاسيما في مثل هذا الوقت الذي يطول فيه النزاع ويذهب الوقت، وقد ذكر الأصحاب في تعريف العيب أنه ما نقص به عين المبيع أو ما نقصت قيمته عادة في عرف التجار، وإن لم تنقص عينه فهو عيب، ومسألتنا هذه من هذا القبيل لوعلم أن في المبيع منازعات وخصومات لنقصت قيمته نقصاً بيناً توقياً من ذلك الضرر البين، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- في مسودته على المحرر ولا يطمع في إحصاء العيوب لكن يقرب من الضبط ما قيل (إن كل ما يوجد بالمبيع مما ينقص العين أو القيمة نقصاً يفوت به غرض صحيح يثبت الرد إذا كان الغالب في جنس المبيع عدمه).

والغالب في جنس المبيعات السلامة من الخصومات والنزاع إذا ظهر إن في المبيع خصومة أو شبهة لأحد لتوقف الكثيرون أو الأكثر عن الشراء ولم يبذل فيه قيمة مثله والله أعلم.

مسألة القسامة:

وسأله أحد القضاة عن رجلين أطلقا النار على رجل آخر فأصابته إحدى الطلقتين في رقبته فمات، وأن ورثة المقتول زوجة وأم وابن له عامان وبنت صغيرة، وأن وكيل الورثة البالغين والوصي على القاصرين ادعيا على واحد من الاثنين أنه هو القاتل، والآخر وإن أطلق النار فقد أخطأت طلقته القتيل، وقد أقام الوصي والوكيل البينة بتعيين القاتل ولم نقبل شهادتهم لأن البينة من قبيلة القتيل وبينهم وبين المدعي عليهم عداوة ظاهرة ورأينا أنها قسامة، فهل تؤجل حتى يبلغ القاصر وماذا يكون على الثاني؟ هل يكتفي باليمين منه ويخلي سبيله أم لا؟

الجواب: إذا كان الحال على ما ذكر فلا يخفي أن من شروط القسامة أن يكون في الورثة ذكر مكلف، فإذا كانوا نساء أو قاصرين كمسالتنا هذه أو نكل الورثة يحلف المدعى عليه خمسين يميناً ويخلى سبيله، فإذا لم يرض الورثة بأيمان المدعى عليه ودّاه الإمام من بيت المال، لأن النبي صلى الله عليه وسلم ودّى الأنصاري من عنده لما لم ترض الأنصار بيمين اليهود، ولأنه لم يبق سبيل إلى الثبوت، ولم يوجد ما يوجب السقوط فوجب الغرم من بيت المال لئلا يضيع المعصوم هدراً، وهذا الذي قلناه هو منصوص كلام الأصحاب- رحمهم الله.

والرواية الثانية عن أحمد يحلف العصبة الأدنون إلى الميت وإن لم يكونوا وارثين، يحلف خمسين يميناً، وهو قول في مذهب مالك واختاره طائفة من الحنابلة كالشريف أبي جعفر وأبي الخطاب وابن البنا، وغيرهم لقوله صلى

الله عليه وسلم للأنصار يحلفون خمسين منكم، ومعلوم أن القتيل عبدالله بن سهل ليس له وارث سوى أخيه عبدالرحمن، والمذهب الأول وهو قول أكثر العلماء، أما الرجل الثاني الذي أطلق النار فلابد من تعزيره وسجنه على حسب ما تقتضي المصلحة ردعاً له ولأمثاله ولا يكتفى منه باليمين، والله أعلم.

مناظرة علمية:

وهذه مناظرة علمية نقلها صديقنا الشيخ إبراهيم بن محمد بن سيف في كتابه (المبتدأ والخبر) كاملة، فقال:

وفي عام ١٣٨٨هـ بينما كان فضيلة الشيخ عبدالله بن حميد يلقي الدَّرْس بعد المغرب في حشد عظيم من الحجاج، وذلك في العشر من ذي الحجة بالمسجد الحرام، كان موضوع الدرس قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وهو على كل شيء قدير).

فبين معنى هذه الكلمة وما أثبتته من إخلاص العبادة لله وما نفته وبيان شروطها، إذْ تقدم رجل إيراني من علماء إيران مدرس في جامعة قم يسمى السيد محمد فسأل الشيخ قائلاً: ما تقول في طلب المدد من أهل البيت وسؤالهم تفريج الكربات وإغاثة اللهفات نظراً لمكانتهم عند الله وما لهم من المنزلة السامية؟

فرد عليه فضيلته: بأن هذا هو الشرك بعينه وهو الذي نفته كلمة الإخلاص لا إله إلا الله، والذي بعثت من أجل النهي عنه الرسل.

فقال محمد: لا أُسلم لك هذا حيث أن طلب المدد منهم ليس هو عبادة، وإنما هو شفاعة منهم لي عند الله، فلا يصل إلى حد الشرك.

فقال فضيلته: ما ذكرت عبادة وسمه ما شئت أن تسميه، فما دام أن العبد يصرف إلى المخلوق ما لا يقدر عليه إلا الله من تفريج الكربات وطلب العون من غيره فهذا هو الشرك، مع أن الشفاعة لا يجوز طلبها من الأموات ولا من غيرهم، وإنما تطلب من الله، فطلب الشفاعة من غيره شرك، كما قال تعالى:)قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً(، وما ذكرت عن أهل البيت أو غيرهم رضوان الله عليهم، من أنهم يملكون الشفاعة، وإن طلب الشفاعة من غير الله ليس شركاً، يرده قوله تعالى: (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى)، فالآية تدل على أن مشركي العرب ما كانوا يعبدون معبوديهم من دون الله إلا ليقربوهم إلى الله زلفى، لا أنهم يعتقدون النفع والضر.

فقال المناظر: فهمت هذا كله، ولكن ما تصنع في قوله صلى الله عليه وسلم، (لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه).

فرد عليه الشيخ: عليك إثبات هذا الحديث ومن رواه، فإنك لا تستطيع أن تجد له أصلاً لا في حديث صحيح ولا ضعيف ولا باطل.

فاستمرت المناظرة ثلاث ليالٍ متوالية، ثم انتهت باعتراف المناظر على مسمع من الآلاف الموجودين من الحجاج في المسجد الحرام، بأن ما قاله شيخنا هو الحق بعد أن تقطعت حججه وعجز عن تأييد رأيه، ومدَّ المناظر يده وقبل رأس الشيخ، وشكره عدد من القريبين منه ورجا الشيخ أن يقبل منه هدية، فقال الشيخ: إنني أقبل هديتك.

قال الشيخ ابن حميد في كتابه أما بعد: فهذه رسالة وجيزة نبهت فيها على ما جاء في رسالة الشيخ عبدالله بن زيد بن محمود رئيس المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر من الأخطاء فإن قصد الجميع معرفة الحق بدليله، وذلك أن ابن محمود ألف رسالة سماها (فصل الخطاب في إباحة ذبائح أهل الكتاب) غير أنه لم يقتصر على إباحة ذبائح أهل الكتاب، بل تجاوزها إلى غيرها من ذبائح الشيوعيين والصابئة والمشركين و عباد الأوثان وغيرهم من ملل الكفر، وتكلم على تذكية المُسلم وقال: (إنه ليس عندنا ما يدل على قصر التذكية وحصرها في قطع الحلقوم والمريء حسبما شرطه الفقهاء إلا أنها جرت العادة بذلك في الإسلام وزمن الجاهلية) إلى غير ذلك مما سيمر بك مفصلاً إن شاء الله تعالى.

قال ابن محمود في مقدمة رسالته: (إن في هذه الرسالة من دقائق الفقه وحقائقه ما عسى أن لا تجده موضحاً في غيرها، لكنها تحتاج إلى علم واسع ودراسة عميقة وتحرر عن تقييدات فقهاء المذاهب).

أقول في هذه الجملة من الملاحظات ما يلي: إنه صدق فيما قال من عدم وجود ما ذكره من عدم اشتراط التذكية في الحلقوم والمريء، وإباحة ذبيحة من لا يدين بدين إلى غير ذلك، فإنك لا تجده في غير هذه الرسالة، لأن المسلمين مجمعون على خلاف ما قرره ابن محمود مما سيمر بك مفصلاً إن شاء الله.

وأوضح في رده عليه الأدلة من الكتاب والسنة والاجماع، كما أوضح الحكمة في اختصاص الذكاة في هذا المحل، وبيان أنه يشترط في إباحة ذبائح أهل الكتاب التذكية الشرعية، ورد على ما ذكره الشيخ ابن محمود عن استدلاله بحديث عائشة على إباحة كل ما يجلب إلى أسواق المسلمين من لحوم مجهولة لا يعلم من ذبحها ولا كيفية ذبحها، فرد على ذلك وبين عدم صحة هذا الاستدلال من حديث عائشة الذي رواه البخاري (أنهم قالوا: يا رسول الله إن قوماً حديثو عهد بجاهلية يأتوننا باللحم لا ندري أذكروا اسم الله عليه أم لا؟ فقال سموا الله وكلوا).

وبيَّن أن ليس في حديث عائشة ما يدل على إباحة أكل الحيوانات من د جاج وذبائح ونحوها مما يجلب من بلاد الكفر، كالشيوعية والوثنية و أمثالهم، لأن حديث عائشة في قوم مسلمين إلا أنهم حديثو عهد بكفر، وذبيحة المسلم الأصل فيها الحل، وعائشة رضي الله عنها لم تسأل الرسول صلى الله عليه و سلم عن الذبائح ولا عن صفة الذبح لعلمها أنهم مسلمون، وإنما سألت عن التسمية فقط إلخ، وبين أن ما يجلب إلى أسواق المسلمين له ثلاث صور:

- ما ذبحه مسلم فهو حلال.

- وما ذبحه كتابي فهو أيضاً حلال.

- ما هو مجهول الأمر لا يدري ذابحه فهو حرام تغليباً لجانب الحظر، وذكر فضيلة الشيخ ابن حميد الأدلة على ذلك من الأحاديث.

أما استدلال الشيخ ابن محمود من إطلاق القُرآن على إباحة ذبائح أهل الكتاب فرد عليه الشيخ بعدم صحة ذلك الإطلاق، وبيَّن أن العلماء متفقون على أنه يشترط في ذبائحهم ما يشترط في ذبائح المسلمين، وذكر كلام الإمام ابن تيمية وابن قدامة وغيره.

كما أوضح رحمه الله ضمن رده على رسالة الشيخ ابن محمود: أن تغيير اليهود والنصارى لأديانهم مقتضى لتغيير الحكم في إباحة ذبائحهم.

إلى أن قال الشيخ ابن حميد رحمه الله: ولمزيد من الإيضاح في هذه المسألة نظراً لأهميتها والحاجة إليها وابتلاء المسلمين بها، نقول: إن الأصل في الأبضاع والحيوانات التحريم فلا يحل البضع إلا بعقد صحيح مستجمع لأركانه وشروطه، كما لا يباح أكل لحوم الحيوانات إلا بعد تحقق تذكيتها من أهل للتذكية، فإن الله سبحانه وتعالى حرم الميتة والدم ولحم لخنزير وما أهل لغير الله به، وحرم المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وأكيلة السبع إلا ما ذكى، فهذا يدل على أن الأصل في الحيوان التحريم إلا ما ذكاه المسلمون أو أهل الكتاب بقطع الحلقوم وهو مجرى التنفس والمريء وهو مجرى الطعام

والماء مع قطع الودجين في قول طائفة من أهل العلم، فما يرد من اللحوم المعلبة إن كان استيراده من بلاد إسلامية أو من بلاد أهل الكتاب وعادتهم يذبحون بالطريقة الشرعية فلا شك في حله، وإن كانت تلك اللحوم المستوردة تستورد من بلاد جرت عادتهم أو أكثرهم يذبحون بالخنق أو بضرب الرأس أو بالصاعقة الكهربائية ونحو ذلك، فلا شك في تحريمه، وكذلك ما يذبحه غير المسلمين وغير أهل الكتاب من وثني أو مجوسي أو قادياني أو شيوعي ونحوهم فلا يباح ما ذكوه، لأن التذكية المبيحة لأكل ما ذكي لابد أن تكون من مُسلِم أو كتابي عاقل له قصد وإرادة وغير هؤلاء لا يباح تذكيتهم.

أما إذا جهل الأمر في تلك اللحوم ولم يعلم عن حالة أهل البلد التي وردت منها تلك اللحوم هل يذبحون بالطريقة الشرعية أم بغيرها ولم يعلم حالة المذكين وجهل الأمر، فلا شك في تحريم ما يرد من تلك البلاد المجهول أمر عادتهم في الذبح تغليباً لجانب الحظر، وهو أنه إذا اجتمع مبيح وحاظر فيغلب جانب الحظر سواء كان في الذبائح أو الصيد، ومثله النكاح كما قرره أهل العلم منهم شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن القيم والحافظ ابن رجب وغيرهم من الحنابلة وكذلك الحافظ ابن حجر العسقلاني والإمام النووي وغيرهم كثير، مستدلين بما في (الصحيحين) وغيرهما من حديث عدي بن حاتم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل، فإن وجدت معه كلباً آخر فلا تأكل).

فالحديث يدل على أنه إذا وجد مع كلبه المعلم كلباً آخر أنه لا يأكله تغليباً لجانب الحظر، فقد اجتمع في هذا الصيد مبيح وهو إرسال الكلب المعلم إليه، وغير مبيح وهو اشتراك الكلب الآخر، لذا منع الرسول صلى الله عليه وسمل من أكله، وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم: (إذا اصبته بسهمك فوقع في الماء فلا تأكل) متفق عليه.

وفي رواية عند الترمذي: (إذا علمت أن سهمك قتله ولم تر فيه أثر سبع فكل) عن عدي بن حاتم، انتهى ملخصاً.

قال ابن سيف:

ومن مطالعة هذا الكتاب اتضح لي أنه يتضمن قسمين:

الأول: ملخصه ما ذكرنا.

والثاني: الرد على الشيخ ابن محمود في رسالته المتضمنة فتواه جعل مدينة جدة ميقاتاً للحجاج القادمين من جهة البحر بناءاً منه على الضرورة المقتضية لذلك، أرجو الله أن يعفو عن أخطاء الشيخ ابن محمود وأخطائنا، وكل مُسلم ومسلمة في القول والعمل، ولعله اطلع على رد الشيخ ابن حميد رحمه الله في كتابه هذا، حيث أنه طبع عام ١٤٠٠هـ وبين طبعه ووفاة الشيخ ابن محمود رحمه الله في العشر الأواخر من رمضان عام ١٤١٧هـ أكثر من ١٦ عاماً وثمانية أشهر.

وقد تضمن رد الشيخ ابن حميد رحمه الله بعد أن أشار إلى ما ذكر الشيخ ابن محمود من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان حياً ويرى كثرة النازلين من أجواء السماء إلى ساحة جدة يؤمون هذا البيت للحج والعمرة، لبادر إلى تعيين ميقات لهم من جدة نفسها، وعلى تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد إلى غير ذلك إلى آخر ما تضمنته رسائل الشيخ ابن محمود من أمور رد عليها الشيخ ابن حميد.

وقد أورد في رده الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال العلماء، و ملخص ذلك ما تضمنه الرد من أن تعليل الشيخ ابن محمود أن الطائرات مكلفة حسب

النظام بالنزول في مطار جدة لجواز الإحرام فيها ليس بشيء، ثم إن ادعاءه أن مرور الطائرات فوق سماء الميقات وهي محلقة في السماء لا يصدق على أهلها أنهم أتوا الميقات المحدد لهم، ادعاء فإن السماء حكمها حكم الأرض التي يقابلها سواء بسواء.

وذكر الشيخ ابن حميد حول ذلك ما جاء في كتاب (الدر المختار) وما قال الإمام النووي وما قال في كتاب (المغني)، وكتاب (مطالب أولي النهى) وما قاله الملا علي قاري في (منسكه) وقال: فالفضاء الذي يقابل المواقيت هو في حكم المواقيت لها من الحكم ما للمواقيت الأرضية.

وعلى قوله: فمتى كان الأمر بهذه الصفة وأن القضية هي موضع اجتهاد وتطلب من العلماء والحكام تحقيق النظر في تعيين الميقات لهؤلاء القادمين على متون الطائرات لحجهم وعمرتهم، ولا أوفق ولا أرفق من جعل جدة هي الميقات.

قال الشيخ عبدالله: في هذا نظر من وجوه.

الوجه الأول: أن القضية (أي الميقات) هي موضع اجتهاد، فمن يقول إن الميقات موضع اجتهاد؟ فهل لأحد يعين ميقاتاً من قبل نفسه وقد عين رسول الله ﷺ المواقيت، كما في (الصحيحين)، وغيرهما فلا مساغ لأي اجتهاد مع النص، فقد وقت لأهل المدينة ومن يأتي من جهتهم براً أو بحراً أو جواً: ذا الحليفة.

كما وقت ما يقابلها لمن يأتي من جهة اليمن براً أو بحراً أو جواً: يلملم.

ووقت لأهل المشرق من أهل نجد وغيرهم: قرن المنازل.

ووقت ما يقابلها لأهل المغرب ومن يأتي من جهتهم: الجحفة.

وقال: (هنّ لهنّ ولمن أتى عليهنّ من غير أهلِهنّ).

كفانا رسول الله ﷺ وبين المواقيت الواجب على من مر بها أو بمحاذاتها أن يُحرم متى كان مريداً للنسك.

الوجه الثاني: إدخال الحكام في المسائل العلمية التي للاجتهاد فيها مساغ: في غير محله فإن الاجتهاد لا يكون من الحكام ولا من غيرهم وإنما الحكام منفذون، والمسائل الاجتهادية مرجعها إلى العلماء العارفين بأصول الشريعة وقواعدها، العالمين بإلحاق كل فرع بما يناسبه والحكام ليسوا من أهل هذا الفن، فإدخال الحكام مع العلماء فيما يسوغ فيه الاجتهاد مما لم ير فيه نصٌّ من كتاب الله وسنة رسوله: في غير محله.

الوجه الثالث: قوله: (ولا أوفق ولا أرفق من جعل جدة هي الميقات)، فالأوفق والأرفق ما عينه رسول الله ﷺ، وما درج عليه سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم لا ما استحسنته الآراء والعقول بدون دليل يصار إليه.

قوله: (وقد صارت جدة طريقاً لجميع ركاب الطائرات، ويحتاجون بداعي الضرورة إلى تعيين ميقات أرضي يُحرِمُون منه لحجهم وعمرتهم فوجبت إجابتهم، كما وقت عمر لأهل العراق (ذات عرق).

لا إله إلا الله، ما أعظم شأنه، فهل لو كان طريق ركاب الطائرات غير جدة، هل يكون ميقاتاً؟ ماذا لو كان المطار في بحرة أو الحديبية أو مكة؟ وهل يتغير هذا الميقات كما تغير طريق ركاب الطائرات؟ لا أظن أن أحداً يقول بهذا القول.

أما ما وقت عمر لأهل العراق ذات عرق فإنه قال: (انظروا حذوها من طريقكم) فمن يأتي براً أو بحراً أو جواً ولم يمر في طريقه بميقات فيقال له انظروا حذوها من طريقكم، ولأثر عمر رضي الله عنه هذا، اتفق العلماء على أن من سلك طريقاً لا يقع فيها ميقات مما عينه رسول الله فإنه يحرم من موضع يحاذي أقرب المواقيت إليه.

وقد بحثت هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية موضوع رسالة فضيلة الشيخ عبدالله بن محمود وأصدرت قراراً، هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد، ففي الدورة الرابعة عشرة لمجلس هيئة كبار العلماء المنعقدة في الطائف من ١٣٩٩/١٠/١٠هـ حتى ١٣٩٩/١٠/٢١ نظر المجلس في الرسالة التي بعثها الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود رئيس المحاكم الشرعية والشئون الدينية بقطر إلى جلالة الملك خالد بن عبدالعزيز المتضمنة جواز جعل جدة ميقاتاً لركاب الطائرات الجوية والسفن البحرية، وقد استعرض المجلس تلك الفتوى فوجد أنها تستند على:

- أن الفتوى تتغير بتغير الأحوال والأزمان.

- أن القضية موضع اجتهاد وتتطلب من العلماء تحقيق النظر في تعيين الميقات لهؤلاء القادمين على مُتُون الطائرات.

- أن مرور الطائرات فوق سماء الميقات وهي محلقة في السماء لا يصدق على أهلها أنهم أتوا الميقات المحدد لهم لغة ولا شرعاً.

- ما يزعمه من أن فتواه تشبه ما فعله عمر رضي الله عنه حين وقت لأهل العراق ذات عرق.

- قوله (لو كان رسول الله ﷺ حياً ويرى كثرة النازلين من أجواء السماء إلى ساحة جدة يأمون هذا البيت للحج والعمرة لبادر إلى تعيين ميقات لهم من جدة نفسها لكونها من مقتضى أصوله ونصوصه)، اهـ.

وإن المجلس بعد دراسة هذه الأمور الخمسة وغيرها مما ورد في الرسالة، يرى أن المسوغات التي استند إليها مردودة بالنصوص الشرعية واجماع سلف الأمة، فقد روى البخاري وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (وقَّتَ رسول الله ﷺ لأهل المدينة ذا الحُليفة، ولأهل الشام الجُحفَة، ولأهل نجدٍ قَرنَ المنازل، ولأهل اليمن يلملم، هنّ لهنّ ولمن أتى عليهنّ من غير أهلِهنّ، ممن أراد الحج أو العُمرة، ومن كان دون ذلك فمن حيث أنشأ حتى أهل مكة من مكة).

ولا يصح الاستناد في هذه المسألة إلى تغيير الفتوى بتغيير الأحوال والأزمان لأنها من العبادات وهي مبنية على التوقيف، كما أنها ليست من مواضع الاجتهاد

لتحديدها بالنص من رسول الله ﷺ ومن المَعْلُوم عند أهل العلم أن الهواء تابع للقرار كما هو مبسوط في موضعه وإنكار ذلك منه غير مُسَلَّم.

أما احتجاجه بجعل عمر رضي الله عنه ذات عرق ميقاتاً لأهل العراق فهو مردود، لأن عمر رضي الله عنه لم يجعل لأهل العراق ميقاتاً في الجهة الغربية أو غيرها من مكة يحرمون مِنهُ بدلاً من ميقاتهم الذي يمرون به في الجهة الشرقية منها، بل قال عمر رضي الله عنه (انظروا حذوها من طريقكم).

وأما قوله: ولو كان رسول الله ﷺ حياً- إلى قوله- لبادر إلى تعيين ميقات لهم من جدة نفسها، لكونها من مقتضى أصوله ونصوصه)، فهو قول ليس بصحيح لأن الله أكمل الدين في حياة رسول الله ﷺ وانتهى التشريع بوفاته كما قال تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً)، و قوله تعالى(وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً)، وإنه ليترتب على هذا القول أمور كثيرة خطيرة.

وبناء على ما تقدم وبعد الرجوع إلى الأدلة وما ذكر أهل العلم في المواقيت المكانية ومناقشة الموضوع من جميع جوانبه فإن المجلس يقرر بالإجماع ما يلي:

- أن الفتوى الصادرة من فضيلة الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود رئيس المحاكم الشرعية والشئون الدينية بقطر، الخاصة بجواز جعل جدة ميقاتاً لركاب الطائرات الجوية والسفن البحرية : فتوى باطلة لعدم استنادها إلى نص من كتاب الله أوسنة رسوله أو إجماع سلف الأمة، ولم يسبقه إليها أحد من عُلماء المسلمين الذين يعتد بأقوالهم.

- لا يجوز لمن مر بميقات من المواقيت المكانية أو حاذى واحداً منها جواً أو بحراً أن يتجاوزه من غير إحرام، كما تشهد لذلك الأدلة وكما قرره أهل العلم رحمهم الله تعالى.

- هذا وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وسلم.

(هيئة كبار العلماء: رئيس الدورة: عبدالله بن محمد بن حميد. أعضاء هيئة كبار العلماء: عبدالله خياط، محمد بن علي الحركان، عبدالعزيز بن عبدالله الباز، سليمان بن عبيد، عبدالرزاق عفيفي، راشد بن خنين، محمد بن جبير، عبدالله بن غديان، صالح بن غصون، عبدالمجيد بن حسن، عبدالله بن منيع، صالح بن لحيدان).

وفاة الشيخ عبدالله بن حميد:

كان شيخنا الشيخ عبدالله بن حميد قبل أن يصاب بالمرض الخطير الذي أصابه وهو السرطان في صحة جيدة لا يشكو شيئاً من أمراض الشيخوخة كالسكر والروماتيزم وأمراض الشرايين، فكان إذا خرجنا معه للنزهة في البر لا يترك السير على قدميه مطلقاً، بل لابد أن يجعل للمشي نصيباً من نزهته.

ولا أذكر أنه دعانا إلى نزهة إلا وأمسك بيدي وتمشينا قليلاً على الأقدام، وكانت فرصة لي لكي أتحدث معه في بعض الأمور المهمة.

وكان يبدو بصحة جيدة وبخاصة أن جسمه يميل إلى النحافة من غير مرض وهو طويل القامة أطول قليلاً من المعتاد.

وأذكر أننا كنا مرة خارجين للنزهة إلى جبل خلف طريق ديراب في الجنوب الغربي من مدينة الرياض القديمة وفي ذلك المكان جبال.

ولما كان من الصعب السير بين الحصى الكبيرة لمثل الشيخ اتجهنا إلى برقة وهي الرملة التي تركب أسفل الجبل في العادة، يعني تركبه توجد فيه، لذلك يكون الصعود معها صعباً لكونها تصعد إلى أعلى مع الصعود في الجبل.

ولم يصعد منا إلا الشيخ رغبم كبر سنه وعجز عن ذلك شاب كان معنا.

وقد مرض الشيخ من سرطان أصاب معدته وأمرت الحكومة له بالسفر إلى أمريكا مرتين للكشف عليه والعلاج له، ولكن أمر الله غالب وعاد من

المرة الثانية متعباً، وقد صار الأطباء يغذونه بطريق أنبوب التغذية وزرته في المستشفى في الطائف قبل وفاته بنحو أسبوع فوجدته يتغذى بالأنبوب، وجسمه ضعيف وصوته ضعيف، ولكنه لم يتخل عن عبارات المجاملة التي يسأل بها الرجل- عادة- عن صحته وعن عياله وأحوالهم.

ثم توفي في الساعة الثالثة بعد ظهر الأربعاء العشرين من ذي القعدة عام ١٤٠٢هـ وصلي عليه يوم الخميس في المسجد الحرام في مكة المكرمة بعد صلاة العصر ودفن في مقبرة العدل شرقي مكة المكرمة، رحمه الله، وجعل ما تحمله في مرضه من آلام في ميزان حسناته إنه سميع قريب.

قال الشاعر عبدالعزيز بن محمد النقيدان يرثيه:

دمعة على فقيد العلم الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد:

يا ابن الكرام رأيت جرحك قاسياً ... لم يبر رغم تدخل النطاس
إن المنية حين جن عراكها ... وقف الجميع بحرقة ومآس
ولو أنهم يفدون صاحبهم لما ... بخلوا وهان لذائذ الأنفاس
لم أنس أستاذي يجود بعلمه ... للناهلين بهمة وحماس
ورأيت منبرك الذي عودته ... صدق الحديث يضيء كالنبراس
وإلى يمينك سائل مستفسر ... وإلى شمالك من علومك حاس
ورأيتهم يجرون خلفك مثلما ... يجرون خلف مواكب الأعراس
البيت يملؤه الشداة وكلهم ... أمل بعلم فيه خير لباس
طِبْ أيها الحبر الهمام فانما ... انجبته للدين خير غراس
نيطت بعاتقك الجسام فما وهت ... منك العزائم بل زهت بحماس
قد عشت في الدنيا وأنت معلم ... متعلم متواضع للناس
وبقيت في الحرم الشريف معلماً ... ترنو بعين الصدق للأقداس
إن الجهاد وقد عرفت سبيله ... ماسرت فيه بدافع الاحساس
الكيسون لهم من الله الرضا ... يسقيهم الرحمن أهنأ كاس
الله ينزل فوق قبرك رحمة ... غيثاً يعم بقية الارماس

ورثاه زميلنا وصديقنا تلميذه الشيخ محمد بن عبدالله بن سبيل إمام وخطيب المسجد الحرام، فقال:

هذه مرثية بصاحب السماحة العلامة فقيد الإسلام والمسلمين الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد رئيس مجلس القضاء الأعلى وعضو هيئة كبار العلماء وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ورئيس المجمع الفقهي بمكة المكرمة تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته.

على مثل هذا الخطب تهمى النواظر ... وتذرى دماء مقلة ومحاجر

الا أيها الناعي لنا علم الهدى ... أصدقا تقول أم مصاباً تحاذر

لئن كان هذا النعي حقاً فإنما ... نعيت الذي يبكيه باد وحاضر

نعيت الذي يبكيه كهل ويافع ... ويبكيه شبان ويبكي الأكابر

نعيت الذي يبكيه محراب مسجد ... ويبكيه تذكيروتبكي المنابر

وتبكيه دور للعلوم ينيرها؟ ... بفهم دقيق تجتنيه المثابر

ويبكيه جل المشكلات إذا عصت ... وأعيا رجالاً وردها والمصادر

ويبكيه فصل الحق بالعلم مدعماً ... ويبكيه صاد للفتاوى وحائر

بكاه ذووا الحاجات اذ كان ملجئاً ... يدافع عن ملهوفهم ويناصر

هو الشيخ عبدالله نجل محمد ... به أمة الإسلام حقاً تفاخر

هو الجبل الراسي على كل حالة ... إذا زعزعت أحلام قوم أعاصر

منار على درب التقى فوق لاحب ... به يهتدي الساري وتناي المخاطر

قوي بفصل الحق قاض موفق ... به يرتضي خصم وتهدا ضمائر

هو الحبر كم طابت نفوس ومتعت ... قلوب وأبصار به أو بصائر

له مجلس يرتاده كل عالم ... فكم غمر الجلاس منه جواهر

ترى الناس هذا وارد متعطش ... وذا ناهل من بحر علم وصادر

تفرد في علم وفقه وفطنة ... تقاصر عنها باحث ومذاكر

فكم كشفت أبحاثه من غوامض ... ومن حكم تجني وهن نوادر

نوادر علم من فنون تنوعت ... ينمي بها عقل وتزكو سرائر

قد استخرجت من كنز عقل مؤيد ... ونقل صحيح أسندته عباقر

ترى الحازم المشغوف في نيل حكمة ... ينافس في تسطيرها ويبادر

وما العلم إلا ما رواه أئمة ... مشافهة أو دونته دفاتر

سرى ذكره في الأرض شرقاً ومغرباً ... وقد أكبرته جلة وأكابر

وعم الأسى عرباً وعجماً لموته ... فيا حسرتا إذ الحدوه وغادروا

يجاهد في ذات الإله بحكمة ... وبالقسط قوام وللحق ناصر

وفي الله لم تأخذه لومة لائم ... يناصح سراً تارة ويجاهر

فكم ردعت أقواله من معاند ... واذعن من بعد العناد يساير

له في قلوب العالمين محبة ... محبة صدق قربة ومفاخر

محبة دين يرتجيها أولو التقى ... ويحرم منها جاهل أو مكابر

سحابة علم روت الروض والربى ... فاخصب منها مربع ومحاجر

فيا أسفاً قد صوح النبت بعده ... فأضحى هشيماً وهو بالأمس ناضر

وإن انتزاع العلم في موت أهله ... كما جاء نص في الصحيحين ظاهر

فيالك من خطب جليل وحادث ... به فقدت أنهار علم زواخر

كما فقدت في حندس الليل انجم ... وقد سقطت في الأفق وهي زواهر

فيا خيبة الساري إذا غاب نجمه ... ويا لوعة الصادي إذا جف ماطر

فكم أسف يبكي بقلب مبرح ... وكم واجم أضناه حزن مخامر

لقد مزق الأحشاء هم بموته ... تكاد له صم الجبال تناثر

فلله كم حاولت صبري فخانني ... أقلل حزني مرة فيكاثر

إلـه الـورى نـدعـوك سـراً وجـهـرةً ... تـخـفـف عـنـا مـا حـوتـه الضمائر

مـن الـروع والأحـــزان يـوم فـراقـه ... فـيـا سـيـدي رحـمـاك إنـك قـادر

سـيـبـقـى لـه في قـلـب كـل مـوحـد ... سـريـرة حـب يـوم تـبلى السرائر

سقى الله قـبراً ضمه وابـل الرضا ... يمـن بـه رب رحـيـم وغـافـر

وبـوءه دار الـسـلام مـع الأولى ... هـمو نصروا حزب الإله وهاجروا

فـال حـمـيـد انمـا الـصـبر عـزمـة ... فـصـبراً يـنـال الأجـر من هو صابر

فـإن مـصـاب المـرء فـقـد ثـوابـه ... وأمـا الـرزايـا فـالمهيمن جابر

ولـسـتـم ذويـه وحـدكـم في مصابه ... شـعـوب بـه قـد أفـزعـت وعشائر

وذي حـالـة الـدنـيـا سـرور وغبطة ... وأيـام بـؤس فـرقـة وفـواقـر

وقـد خـلـق الإنـسـان في كـبـد فمن ... يـروم صفاء العيش لا شك قاصر

وإن قـضـاء الله حـكـم منـفـذ ... عـلـيـنـا الـرضـا والأمـر لله صائر

ولـيـس يـرد المـوت حـصـن ممنع ... ولا شـاهـق أو قـوةٌ وعـسـاكـر

فـمـا خـالـداً زيـد وعـمـرو وخـالـد ... سـيـوف المـنـايـا مـصـلـتـات بـواتـر

كـفـى زاجـراً لـلـمـرء أيـامـه الـتـي ... يمـر عـلـيـهـا بـالمـواعـظ زاجـر

مضى ابـن حـمـيـد بـالمفاخر والتقى ... فـلـلـه عـمـر بـالـفـضـائـل زاخـر

(جليل) أتـت في النظم أعـوام عمره ... وفي عـام (غـيـث) غـيـبـتـه المقابر

وصـل الـهـي مـا بـكـى الصحب أو هوت ... نجوم الدجى أو ناح في الدوح طائر

على المصطفى بـدر الدجى سيد الورى ... وآل وصـحـب مـا بـكـى الـعـام شاعر

قالوا في الشيخ عبدالله بن حميد

قالوا في الشيخ عبدالله بن حميد:

ورد في الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه حين اثنوا على أحد الموتى خيراً: أنتم شهداء الله في أرضه، أي الذين يشهدون بصلاح الرجل.

وشيخنا الشيخ ابن حميد قائد ديني وعالم كبير ومفيد للطلاب وتخرج به جماعة بل جماعات من الطلاب تولى بعضهم القضاء وبعضهم تولوا و ظائف كبيرة أخرى، وقد نوه بذلك من ترجموا له فأردت أن أنقل بعض كلامهم فيه وفي سيرته فهو شهادة لما أعرفه عنه، وما سجلته في هذا الكتاب.

أول ذلك ما ذكره زميله في الرئاسة العلمية لكل منهما من شيخهما الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وهو الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، قال: توفي سماحة الشيخ العالم العلامة عبدالله بن حميد رئيس مجلس القضاء الأعلى في يوم الأربعاء الموافق (٢٠) ذي القعدة عام (١٤٠٢هـ) قرب أذان العصر، وصُلِّي عليه في المسجد الحرام بعد صلاة العصر في اليوم الحادي والعشرين من ذي القعدة، وكانت وفاته بالطائف، ثم نُقِل إلى مكة في يوم الخميس المذكور.

وقد تولَّى القضاء في الرياض والمجمعة والقصيم، وألف مؤلفات جيدة مفيدة وتولى التدريس في المسجد الحرام مدة طويلة، وتولى الإشراف على شؤون المسجد الحرام، ثم في آخر عام (١٣٩٥هـ) ولِّي رئاسة مجلس القضاء

في الرياض، وله جهود مشكورة وآثار محمودة في التدريس، والدعوة إلى الله عزَّ وجل، ومناصرة الحق، والنصح لله ولولاة الأمر وللمسلمين، ضاعف الله مثوبته، ورفع درجاته في المهديين، وأصلح ذريته، وجمعنا وإيَّاه وسائر إخواننا في الله في دار كرامته، إنه جواد كريم.

حرر في (١٢) ربيع أول عام (١٤٠٣هـ).

إنتهى.

وكنت مرة عند الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم آل الشيخ المدير العام للكليات والمعاهد العلمية، إبَّان أن كنت مديراً للمعهد العلمي في بريدة الذي يتبع تلك الرئاسة.

فجرى ذكر الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، ولم يكن عندنا أحد فقال لي الشيخ عبداللطيف: شيخكم الشيخ عبدالله بن حميد مثل ما يقولون: (غار أظلم) ما يدري أحد عن غايته ما هوب مثل فلان: (صاع كرعته فرعته).

والمراد بالصاع المكيال الذي تكال به الحبوب مثل الحنطة وكرعته أخذه من القمح وفرعته ما يكون فوقه مما يستقر من القمح، وهذا يعني أن ما فيه ظاهر للعيان.

أما (غار أظلم) فإنه مدح للرجل سائر في نجد، فهو الذي لا يسبر أحد غوره، ولا يعرف ما يفكر فيه من أمور تتعلق بغيره.

وقال الشيخ إبراهيم بن محمد بن سيف من بين ما قاله في كتابه (المبتدأ والخبر):

الشيخ عبدالله بن حميد (١٣٢٩- ١٤٠٢هـ):

نشأته ودراسته:

العلامة الحافظ الفقيه أبو محمد الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن حسين بن حميد ينتسب إلى بني خالد.

ولد في ٢٩ ذي الحجة من سنة ١٣٢٩هـ وتوفي والده في السنة الثانية من ميلاده، وقرأ القرآن أولاً في الرياض عن المقرئ علي بن محمد بن مديميغ، ثم استظهره ثانياً وقرأه مجوداً على الشيخ الفاضل عبدالظاهر أبي السمح إمام الحرم المكي ثم تدرج في طلب العلم فأخذ عن الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (كتاب التوحيد) و(كشف الشُبهات) و(العقيدة الواسطية) و(الأربعين النووية) و(شرح الزاد).

وقرأعلى الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ (التدمرية) و(الحموية) و(كتاب التوحيد) و(رد الإمام أحمد على الزنادقة والجهمية).

وقرأ عليه في النحو (الآجرومية)، و(القطر) و(شرحه)، و(الملحة) و(شرحها) و(الألفية) و(شرحها)، و(حاشية السجاعي والخضري) عليها.

وفي الحديث (عمدة الأحكام)، لعبدالغني المقدسي والمصطلح، وفي الفرائض (الرحبية) و(البرهانية) ومراجعات كثيرة في (شرح الترتيب) للشنشوري و(بُلُوغ المرام) وقطعة كبيرة من (المنتقى).

وفي الفقه (مختصر المُقنِع) و(شرحه الروض المربع) و(نظم المفردات) و(شرحها) وحفظ (منتهى الإرادات) إلى باب الصداق وسمع عليه (صحيح البخاري) ومسلم وأبي داود والنسائي.

وأخذ عن الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ (التوحيد) و(آداب المشي إلى الصلاة).

كما أخذ عن الشيخ حمد بن فارس (الآجرومية) مدة قصيرة قبل وفاته بنحو عشرة أشهر وسافر مع شيخه الشيخ محمد بن إبراهيم إلى بلد الغُطْغُطْ، من نجد وقرأ عليه هناك كثيراً، وأخذ رحمه الله كثيراً.

وكتب الأخ محمد بن إبراهيم الفاسي في جريدة البلاد السعودية بتاريخ ١٣٧٨/٣/٢٥هـ عن حلقة التدريس التي كان يعقدها الشيخ رحمه الله ما يتضمن أن الشيخ عقد حلقته خلف مقام إبراهيم عليه السلام يدرس التوحيد وبيان ما بعث الله به الرسل عليهم وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والسلام، من التوحيد وما ينافيه من الشرك، أو ينافي كماله، وبيان البدع القادحة في التوحيد والمعاصي، وتبصير الناس في أحكام حجهم من بيان ما يجب وما يستحب وما يحرم وما يجوز.

وتستمر الجلسات بصفة أطول في مواسم الحج، وفي شهر رمضان المبارك لكثرة الناس في رمضان، والحجاج والمعتمرين والوافدين للاستفتاء والاستماع.

ودروس الشيخ عبدالله رحمه الله غالباً تكون بعد صلاة الفجر مباشرة وذلك في علوم العقائد والتوحيد وعلوم اللغة العربية إلى قبل طلوع الشمس ثم يشرع في دروس التفسير والحديث والفقه وغيرها من كتب الرجال ثم يصلي ويشرع في دروس صحيح البخاري وإعلام الموقعين وبعد أن يصلي العصر يدرس بلوغ المرام، وبعد صلاة المغرب يدرس الفرائض وتلاوة القرآن مع تفسير الآيات.

وقال: حضرت دروسه في حصوة باب الصفا (قلت: آنذاك يوم كان هناك حصوات في الحرم أما اليوم فجميع أرض الحرم مبلطة ضمن توسعة المسجد الحرام التي لم يسبق مثلها، التي قامت وتقوم بها الدولة السعودية نرجو الله تعالى أن يعزها بالإسلام ويعز الإسلام بها ويدمر أعداءه آمين، اللهم صل وسلم على نبينا محمد).

وكان موضوعه (أي موضوع الدرس) التوجه بالعبادة إلى الله ودعاء الله وحده لا دعاء الأضرحة ولا بواسطة ولا شفاعة، وزيارة القبور سنة للعظة والاعتبار لا للتوسل والاستشفاع ولا بالذبح والنذور للقبور ولا الإستغاثة بها والسجود عندها كل ذلك شرك لا يرضاه الله وهو هدم للتوحيد الذي جاء به الإسلام من أساسه، ومثل ذلك تجصيص القبور وبناء الأضرحة عليها وتشييد الأبنية عليها وكسوتها بالحرير المذهب.

وقال: واستمع إلى حديث هذا العام ١٣٧٨هـ وهو يعظ الناس في المسجد الحرام في شهر رمضان بعد المغرب بواسطة مكبر الصوت فكان ينصحهم

ويرشدهم، ويحثهم على المحافظة على الصلاة ويحذرهم من عاقبة تركها، ويبين لهم فضل الصوم والزكاة ومقدارها بالعملة السعودية، وينهاهم عن دعوة الجاهلية العصبية ويدعوهم إلى التمسك بالوحدة الإسلامية (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ).

وقال الشيخ أحمد الطاحون أحد علماء الأزهر: كان الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله تعالى ملجأ للناس في أمور دينهم، يكتبون إليه أو لإذاعة المملكة العربية السعودية بما يصادفهم من مشلكات وقضايا يحتاجون فيها إلى حكم الإسلام وإلى توضيح ينير لهم الطريق، وكم استمعنا إليه كما استمع إليه الألوف في رده عن هذه الأسئلة بواسطة الإذاعة بطريقة مرتبة واضحة، وكان من أهم مميزاته عند الجواب أنه يسمع السؤال من المذيع ثم يأتي الشيخ عبدالله رحمه الله يتلو السؤال بعد تلاوة المذيع له إما بنص السؤال أو معناه وذلك لربط الجواب بالسؤال بتلاوتهما من قبله في الحال.

وكان يجتهد مستنداً على الكتاب والسنة أو ينتخب من آراء الفقهاء في المسألة المعنية ما يستند على الكتاب والسنة، وإن كان يخالف مذهب الإمام أحمد (الذي كانت دراساته منذ شبابه فيه) وهو بذلك يُعد من رجال العلم المحققين الذين أكدوا في نفوس الناس ونفوس طلبة العلم ضرورة الأخذ بالكتاب والسنة، فإذا وجد الدليل في المذهب الذي أخذ به أخذ به وإن كان عند غيره الدليل أخذ به، وهذا هو ما كان عليه الفقهاء الأجلاء أمثال الإمام أحمد بن حنبل والإمام الشافعي والإمام مالك وأمثالهم، فكلهم قد بينوا بأن الواحد

منهم إذا اجتهد في مسألة وأبدى فيها رأياً ثم ظهر لغيره أو لتلاميذه دليل من الكتاب والسنة، وفتوى الفقيه لا تتفق مع هذا الدليل فعليه أن يأخذ بالدليل ويطرح فتوى الفقيه.

إننا لن ننسى دقته رحمه الله في الفكر ودقته في التعبير مع الحرص على وضوح المعنى ودعم الحكم بالدليل، فتلك ميزة للحاكم المتمكن، وهذا إلى جانب إطلاعه الشامل ومعرفته الدقيقة بآراء أهل العلم والفقهاء خصوصاً في المسائل المتعلقة بالمعاملات والأسرة وغير ذلك من فروع الفقه.

إنتهى.

وقال الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن بسام في ترجمة الشيخ عبدالله ابن حميد:

كانت أسرة المترجم في بلدة معكال، ثم دخلت البلدة في مسمى الرياض، فولد الشيخ في هذا الحي من أحياء الرياض، وقد شهر أسرته الأدنين، وكان سبب علو ذكرها، وقد ولد في ذي الحجة عام ١٣٢٩هـ، سمعت ذلك من الملك خالد بن عبدالعزيز والشيخ عبدالعزيز بن باز وغيرهما.

وقد كف بصره في طفولته، ولم يكن ذلك عائقاً له عن طلب العلم، فحفظ القرآن الكريم، وأخذ مبادئ العلوم الشرعية، فحفظ متونها ومع اهتمامه بالعلم واجتهاده فيه كان من تقدير الله وجود صفوة من العلماء، اختصَّ كلَّ واحد منهم في باب من أبواب العلم وفن من فنونه.

فكان من مشايخه :

١. الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ، قرأ عليه في كتاب التوحيد.

٢. الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، قرأ عليه في التوحيد والتفسير والحديث والفقه و الفرائض والنحو.

٣. الشيخ سعد بن عتيق، قرأ عليه في التوحيد والحديث ومصطلحه.

٤. الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ في الفقه.

٥. الشيخ حمد بن فارس بالنحو.

٦. ولكنه لازم الشيخ محمد بن إبراهيم ملازمة تامة حتى صارت له منه الفائدة الكبرى، وتخرج على يديه.

٧. هذا مع ما وهبه الله تعالى من الذكاء المفرط، والفهم الجيد، والعقل الراجح، وبُعد النظر، والقوة في أعماله، فصار له ذكر حسن، وصيت بعيد، واسم كبير، و هو ما زال في شبابه.

٨. وكان كل يعرف ذلك عنه، فقد قال في حقه الملك عبدالعزيز آل سعود: لو كنت جاعلاً القضاء والإمارة جميعاً في يد رجل واحد، لكان ذلك هو الشيخ عبدالله بن حميد.

أعماله:

١. عينه الملك عبدالعزيز قاضياً في العاصمة الرياض، وذلك في عام ١٣٥٧هـ هذا وليس له من العمر إلا ثمان وعشرون سنة، وقضاء الرياض هو أهم قضاء في نجد.

٢. وفي عام ١٣٦٠هـ نقل إلى قضاء مقاطعة سدير، ومقامه في عاصمة المقاطعة المجمعة.

٣. وفي عام ١٣٦٣هـ نقل إلى قضاء مقاطعة القصيم، ومقره مدينة بريدة، وهو جزء هام جداً في المملكة، لما فيه من العلماء ووفرة السكان، وكثرة الأعمال، وصار في هذه المقاطعة هو المرجع في القضاء والإفتاء والتدريس والإمامة والخطابة، وصار له القبول التام بين أهل المقاطعة.

٤. وفي عام ١٣٧٧هـ طلب الإعفاء من القضاء ليتفرغ للتدريس والإفتاء، فأعفي.

٥. وفي عام ١٣٨٤هـ تأسست الرئاسة العامة للإشراف الديني على المسجد الحرام، فاختاره الملك فيصل ليكون رئيساً لها، والملك فيصل هو من هو في معرفة الرجال وانتقائهم، فانتقل إلى مكة واستقر فيها وقام بالعمل، فهو أول رئيس لهذا العمل الهام.

٦. وفي عام ١٣٩٥هـ عينه الملك خالد بن عبدالعزيز رئيساً لمجلس القضاء، فصار رئيس القضاة ومرجعهم في هذا المقام الكبير.

٧. ولما تأسس مجلس هيئة كبار العلماء اختير ليكون من كبار أعضائه،

وبقي فيه حتى وفاته.

٨. كما اختير رئيساً لمجلس المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي، وهو مجلس يضم كبار العلماء من الأقطار الإسلامية لمناقشة القضايا المعاصرة المستجدة في أحكام الإسلام.

٩. كما اختير عضواً للمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي الذي يعنى بأمور المسلمين ومشاكلهم، ولا سيما أمور الأقليات الإسلامية والجمعيات الإسلامية في أقطار المعمورة.

والمترجم أينما حل في بلد، فهو المرجع للمكان الذي يحل فيه في الدرس والإفتاء والاستشارات، والتوسط في أمور الخير وغير ذلك، فهو مهتم بأمور المسلمين، وناصبٌ نفسه وعلمه وجاهه لخدمة الإسلام والمسلمين.

وهو صاحب الإشارة والكلمة النافذة، وكان ولاة الأمور يجلونه ويعرفون قدره ويحترمونه غاية الاحترام، لسعة علمه وبُعد نظره، ونصحه لعامة المسلمين وولاتهم، وما يقوم به من خدمة الإسلام والمسلمين.

والشيخ عبدالله بن حميد من كبار علماء الإسلام وعقلائهم ووجهائهم.

وقال بعضهم: الشيخ ابن حميد قد رزقه الله عقلاً راجحاً، وسياسة ليس لها نظير، وحكمة جعلته محل احترام، ومحل ثقة لدى الكبير والصغير، يمتاز بالأناة والروية، كثير الصمت إلاَّ فيما ينفع، حادّ الذكاء لا يمكن أن يُخدع، يحتاط في كل ما يقوله أو يفعله، لا ينخدع بالمظاهر مهما كانت، ولا تغره الدعاوى.

رزقه الله بصيرة نافذة، يعرف الدعاة الحقيقيين الناصحين المخلصين، بحيث يميزهم من أهل التمويه والخداع، لا يمكن أن يُستغفل، فهو كيّس فطن، يزوره الكثير من أهل العلم، وممن ينتسبون إلى جمعيات وأحزاب من الشرق والغرب، فيتعرف المصيب من غيره.

وكان يرى اتحاد المسلمين هو العلاج الوحيد لنصرة المسلمين، وأن الإسلام ليس فيه تحزب ولا تفرق، وهو بهذه النظرة البعيدة نال إعجاب المسلمين عامة، وثقة شعب المملكة خاصة.

وكان يحرص على توجيه الشباب ونصحهم بالتعقل والرزانة، فالشباب في الغالب تكون عندهم عجلة، وعدم تفكير في العواقب، مع حبهم للخير، وحرصهم على الدعوة إلى الله، فكان رحمه الله يشجعهم، ولكنه ينصحهم بالتثبت والهدوء، وعدم العجلة، ويحذرهم من التهور، ويحثهم على الاستقامة، والتأدب بآداب العلماء، وينصحهم بسلوك العلماء، وعلى ألا يأخذوا العلم إلا عن أهله المعروفين، وألا يأخذوه عن الجهال والأدعياء.

وكان رحمه الله يكره الفتن، ويكره إثارتها، ويجعل قاعدة: (درء المفاسد مقدَّم على جلب المصالح) نصب عينيه.

ورزق الشيخ رحمه الله قوة الشخصية والهيبة والوقار.

أما علمه فهو فقيه لا يشق له غبار، فهو عالم من علماء الجنابلة الكبار.

إلى أن قال ابن بسام:

مؤلفاته:

مؤلفاته رسائل ليست على قدر علمه ومقامه، فهو من العلماء الذين يرون الاكتفاء بما سطَّره العلماء السابقون في أسفارهم، ولكنه كتب رسائل يرى أن الحاجة داعية إلى تحريرها منها:

١. الدعوة إلى الجهاد في الكتاب والسنة.
٢. كمال الشريعة وشمولها لكل ما يحتاجه البشر.
٣. دفاع عن الإسلام.
٤. حكم اللحوم المستوردة وذبائح أهل الكتاب.
٥. هداية الناسك إلى أحكام المناسك.
٦. الإبداع في شرح خطبة حجة الوداع.
٧. تباين الأدلة في إثبات الأهلة.

ومن ردوده:

٨. إيضاح ما توهمه صاحب اليسر في يسره من تجويز ذبح دم التمتع قبل وقت نحره.
٩. غاية المقصود في التنبيه على أوهام ابن محمود.
١٠. نقد نظام العمل والعمال.

وما زال في أعماله من رئاسة مجلس القضاء ورئاسة المجمع الفقهي، وعضوية المجلس التأسيسي للرابطة، وعضوية هيئة مجلس كبار العلماء،

والتدريس والإفتاء.

واستمر في برامجه الإذاعية في إذاعة المملكة العربية السعودية، وفي بذل جاهه وعلمه في قضاء حوائج المسلمين، حتى أصيب بمرض عضال سافر من أجله إلى أمريكا- وأجريت له عمليات، ولكن المرض الخبيث يزداد معه، فأدخل مستشفى القوات المسلحة في الطائف، وبقي فيه حتى وافاه أجله فيه، وذلك في يوم الأربعاء (١٤٠٢/١٢/٢٠هـ).

وصلي عليه في المسجد الحرام بعد صلاة العصر، ودفن في مقبرة العدل بمكة المكرمة، وحضر الصلاة وتشييعه أمم عظيمة، يتقدمهم العلماء والأمراء والأعيان، وصار مشهداً عظيماً، شعر المواطنون بفراغ كبير بعده، فانعكس ذلك على حزن عميق، ومصاب كبير، فرحمه الله تعالى[1].

إنتهى.

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون، ص٤٣٥- ٤٤١.

ونعود إلى ما قاله الشيخ إبراهيم بن محمد بن سيف- رحمه الله:

قال:

ما قالوا عن الشيخ رحمه الله:

تحدث سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز المفتي العام للمملكة لجريدة البلاد بحديث نشرته في عددها رقم ٧٢٢٤ه عن الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله فقال الشيخ عبدالعزيز حفظه الله.

(ترك أثراً كبيراً وفراغاً عظيماً، وذلك بسبب غزارة علمه، وكثرة فضله واهتمامه بأمور المسلمين وتوجيههم للخير عن طريق الكتابة والخطابة والوعظ العام.

لقد كان رحمه الله زميلاً لي في طلب العلم والتحصيل، ودراسة المتُون ومراجعة الشروح والمعاني والأحكام وحل الإشكالات، ومن هنا ربطني بالشيخ عبدالله رحمه الله علاقة متينة ازدادت على مر الأيام في المذاكرة والتعاون على البر والتقوى والنصح العام لولاة الأمر والمسلمين)[1].

كما تضمن حديث الشيخ ابن باز: أنه تأثر بوفاة الشيخ عبدالله كثيراً وقال: (لأنه من أخص أحبائه ومن أخير أهل العلم الذين تعاونت معهم، وخصوصاً وأن أغلب ما كان يدور بيني وبينه يتعلق بالمصالح العامة للمسلمين، وتذكيرهم بالحق، ودعوتهم إلى الإلتزام بأحكام الشريعة والحذر مما يخالف ذلك.

(١) المبتدأ والخبر، ج ، ص ٢٨٢- ٢٩٠.

كان رحمه الله غاية في تحري الحق والعناية بالأدلة في ترجيح ما يوافق الحق من مسائل الخلاف، ولعل هذا ما جعل أبناءه يتأثرون بشخصيته ليصبحوا من خيرة شباب المسلمين، وأخص منهم بمزيد من العناية الشيخين صالحاً وأحمد فهما على مستويات علمية عالية، اهـ.

وأصدرت رابطة العالم الإسلامي بياناً نعت سماحة الشيخ عبدالله رحمه الله، وأشارت إلى كونه من علماء المملكة العربية السعودية الاجلاء، ومساهمته بعمله وفكره في مجالات الدعوة إلى الله، ونشر معارف الإسلام ومشاركته بجهوده منذ انتسابه لعضوية المجلس التأسيسي (لرابطة العالم الإسلامي) ورئاسة المجمع الفقهي رغم تقدم سنه وضعف صحته، وكونه رحمه الله مشهوراً بحصافة الرأي والرزانة والحكمة. اهـ.

ولقد تحدث أيضاً عن سيرة الشيخ وعلمه وأثنى عليه عدد من المشايخ، فبالإضافة إلى حديث الشيخ ابن باز المار ذكره، تحدث عنه كل من المشايخ محمد بن سبيل، ورثاه بقصيدة، كذلك حمد بن فريان وكيل وزارة العدل رثاه بكلمة، وعبدالرحمن بن فايز الحربي.

ومما جاء في كلمة الشيخ ابن فريان عن الشيخ ابن حميد رحمه الله:

ولقد كان فقيدنا العلامة أستاذ الجيل سماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد علماً بارزاً وطوداً شامخاً وركناً ثابتاً، أكرمه الله بالفقه في دينه ونفع الله الأمة بعلمه وبارك الله له في وقته، وكان التوفيق حليفه في أموره.

وكان رحمه الله من ذوي الهمم العالية، وقوة التحمل والصبر والجلد، وكان قدوة في سلوكه، عميق التفكير دقيق الملاحظة، موجهاً من الطراز الأول، ناصحاً أميناً، ومسؤولاً مخلصاً، يتمتع بصفاءٍ ذهني وحس مرهف، وذاكرة نادرة، وإذا كان العلم لا ينتزع انتزاعاً من صدور الرجال فإن فقد حملته وموت العلماء انتزاع لأهله لا محالة، من هنا كان الخطب جللاً والمصاب فادحاً والحيز الذي تركه، والفراغ الناتج عن وفاته والصوت الذي صمت، والشعلة التي انطفأت بسبب و فاة فقيد العلم والعلماء سماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، كل ذلك كان محركاً للمشاعر ومؤثراً على النفوس وباعثاً على التدبر والتفكر، فلقد جبلت النفوس على الرغد في بقاء من تحبه وتطمئن إليه، والحزن على فقد من هو عزيز و غال، مع العلم المتيقن بأن قضاء الله نافذ وأن الآجال بيد الله وأن كل نفس ذائقة الموت.

وإذا كان الفقيد رحمه الله يمثل حلقة في سلسلة مشرفة من العلماء الأفاضل الذين أبلوا بلاء حسناً في خدمة دينهم و أمتهم ووطنهم وفي مقدمة الجميع إمام الدعوة المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومن جاء بعده خلفاً عن سلف، حتى سماحة مُفتي الديار السعودية ورئيس القضاة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله،

ومن سيلحق بهم بإحسان نقول: إن لهؤلاء حقوقاً ونحن مدينون لهم بما تركوه من مآثر علمية، وما وضعوه من قواعد وما ألفوا من كُتُبٍ وما نقل عنهم من فتاوى، ولا شك أن من أولى الناس بتقديرهم وتخليد ذكرهم من لهم علاقة بالجامعات وبالعلم والتعليم، فيا حبذا لو سُميت قاعات الاجتماعات وقاعات المناقشة للرسائل في كليات الشريعة وأصول الدين وكليات الحديث وعلوم القرآن ومعاهد الدعوة ومعهد القضاء وغيرها بأسماء أكابر العلماء تخليداً لذكراهم وتقديراً ممن جاء بعدهم لجهودهم في خدمة العلم والتعليم والقضاء والإفتاء والدعوة و الإرشاد إننا نأمل أن نسمع بذلك في القريب العاجل.

وفي مقال الأستاذ السديري عن الشيخ عبدالله: (فلقد اتصف رحمه الله بصفات قلما وجدت في غيره كالذكاء، والقوة في جانب الحق، لا تأخذه في الله لومة لائم، وقوة الحجة والبرهان، وعدم التسرع في الفتوى والحكم، والذاكرة القوية التي يندر أن توجد في غيره.

كما يمتاز رحمه الله بسعة من العلم والإطلاع والتحقيق في المسائل، بحيث لا يُشق له غبار في التحقيق في مباحث الفقه وأصوله، واللغة العربية وغير ذلك من فروع العلم.

كما أنه رحمه الله له اطلاع واسع في أمور العصر وأفكاره فهو كثير الاطلاع على الجديد من العلوم والمعارف والمؤلفات حتى لأعداء الإسلام متابعاً لما يجري من أحداث أولاً بأول، وكان باذلاً نفسه للتعليم حتى آخر حياته، فليت

من يعرف الشيخ عن قرب أن يدونوا تاريخه الحافل من خلال مواقفه الفذة وأحكامه واستنباطاته الكثيرة).

وفي مقال الشيخ عبدالرحمن الحربي: (نقلت إلينا وسائل الإعلام المختلفة نبأ وفاة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، وكان لهذا النبأ المفزع أثره الكبير في نفس كل مواطن عرف هذا الشيخ أو سمع به حيث كان سماحته علماً من أعلام هذه البلاد أفنى شبابه وشيخوخته في خدمة العلم وطلابه وخدمة الإسلام والمسلمين فكان له دور كبير في إنارة الطريق أمام الآخرين.

وكان له دور أيضاً في التوجيه والإرشاد وحل قضايا المسلمين من خلال الأعمال القضائية التي تولاها إلى أن وصل إلى أعلى مركز قضائي في البلاد مستحقاً بذلك ثقة ولاة الأمر.

وكان رحمه الله إضافة إلى ما منحه الله من علم غزير مثالاً في الخلق والورع والتقوى بشوش الوجه منبسط الأسارير يعامل الناس كل حسب مستواه الفكري والخلقي، وساهم رحمه الله بدور كبير في التوجيه والإرشاد من خلال حلقات الذكر والدروس التي كان يلقيها في المسجد الحرام وكانت حلقاته ملتقى لكثير من طلاب العلم وقاصدي هذا البيت الآمن وتخرج على يديه عدد كبير من طلبة العلم والذين ساهموا بدور كبير في إنارة الطريق وتوجيه الناس إلى ما يصلحهم، وكان رحمه الله يبذل العلم لكل من يطلبه حيث يعتبر سماحته العلم حقاً مشاعاً للجميع فكان منزله ومكتبه مفتوحين لكل طالب علم وصاحب

حاجة فيقصده الناس من كل مكان فيقضي لهم حاجاتهم ويحل مشاكلهم.

إنتهى.

وفي الختام أنقل قولاً مبسوطاً لابنه البار الدكتور صالح بن عبدالله بن حميد رئيس مجلس الشورى ثم رئيس مجلس القضاء الأعلى.

وقد أدلى الدكتور صالح بن الشيخ عبدالله بن حميد بهذا الحديث لمجلة (الدارة) التي تصدر في الرياض فنشرته في عدديها رقم ٣، ٤ من سنتها الرابعة والعشرين الصادر في عام ١٤١٩هـ.

قال منه:

الجامع الكبير في بريدة:

من المعلوم ما عليه المساجد في الجزيرة العربية بعامة و في نجد بخاصة، من بنائها باللبن والطين وسقفها بالجريد وجذوع النخيل، مما يجعل بناءَها ضعيفاً وعمرها قصيراً، فلا تستطيع الصمود طويلاً أمام مياه الأمطار وعاديات الرياح.

وحينما بدأت تظهر في البلاد المواد الجديدة في البناء من الخرسانة المسلحة، كان الشيخ- رحمه الله- من أول المسارعين إلى الاستفادة من هذا الجديد المفيد فكان أول ما سعى إليه، إعادة بناء الجامع الكبير في بريدة، فرفع الأمر إلى جلالة الملك سعود- رحمه الله- فبادر بالاستجابة فتمت إعادة بناء الجامع وتوسعته على نفلقة الملك سعود- رحمه الله- وإشراف الشيخ،

وفرغت عمارته عام ١٣٧٩هـ واستمر على ذلك حتى جاءت إعادة بنائه حديثاً على نفقة خادم الحرمين الشريفين- الملك فهد بن عبدالعزيز حفظه الله- عام ١٤١٦هـ.

مساجد ومشاريع أخرى:

كما كان للشيخ- رحمه الله- مساعٍ مشكورة في إعادة ترميم كثير من المساجد في منطقة القصيم، ووقف بعض البيوت على الأئمة والمؤذنين وصرف مرتبات لهم قبل أن ينتظم الحال لدى وزارة الأوقاف.

الإشراف الديني على المسجد الحرام:

رأى الملك فيصل- رحمه الله- (١٣٢٤- ١٣٥٩هـ) أن هناك حاجة لإنشاء جهاز خاص يدير شئون المسجد الحرام إذْ كانت المسئولية فيه موزعة بين عدة إدارات، من وزارة الأوقاف، ورئاسة القضاء، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغيرها فرأى أن يجمع ذلك في جهاز واحد فكان الرجل المناسب هو الشيخ عبدالله بن حميد، فهو يجمع بين العلم والديانة، وبعد النظر، وحسن التعامل مع أصناف الناس، ولعل حسن السمعة التي خلفها حين أنهى القضايا المتخلفة في الحجاز عام ١٣٧٢هـ كانت من وراء هذا الاختيار، فلما أبدى الملك فيصل رغبته ما وسع الشيخ إلا الاستجابة، وبخاصة أنها أعمال ليست كأعمال القضاء، فكان ذلك عام ١٣٨٤هـ، واسم الجهاز: الرئاسة العامة للإشراف الديني على المسجد الحرام.

فانتقل الشيخ من القصيم إلى مكة المكرمة في ذلك العام، وباشر عمله، ورتب الإدارة، و اتسعت دائرة اتصالاته بعلماء الحرمين الشريفين، وبخاصة علماء المسجد الحرام والمدرسين فيه، كما تكثفت اتصالاته بالوافدين إلى المسجد الحرام من أهل العلم والصلاح في مواسم الحج والعمرة، كما شرع

الشيخ في التدريس في المسجد الحرام بين المغرب والعشاء خلف مقام إبراهيم في درس واعظ، وحلقة مشهورة، وفتاوى رصينة.

وكان من أهم ما اهتم به الشيخ تنظيم شئون المسجد الحرام في أئمته ومؤذنيه.

فقد كان الآذان متعدداً إذْ كان يوجد في كل منارة من منارات المسجد الحرام مؤذن يؤذن فألغى الشيخ ذلك وجمعهم على مؤذن واحد، إذْ إن مكبر الصوت كافٍ في إسماع الأذان إلى جميع الأنحاء.

وصار المؤذنون يأخذون نوباتهم من خلال جدول مرتب كل مؤذن يعرف أوقاته.

كما كان الشيخ- رحمه الله- يحب أهل العلم ويكرمهم ويدنيهم من مجلسه، وبخاصة علماء المسجد الحرام ومدرسوه فقد كانت لهم عنده منزلة خاصة وحظوة متميزة، فكان يعتني بهم، ويسعى في تهيئة الجو المناسب لهم ليقوموا بمهمة التدريس على خير وجه، وسعى في صرف مكافأة لهم تشجيعاً لهم، واعترافاً بجهودهم وبفضلهم.

التكبير الجماعي في العيدين:

كان من المعتاد في العيدين أن يقوم المؤذنون في المسجد الحرام بالتكبير قبل صلاة العيد بصفة جماعية بحيث يتحلقون حول المكبر فيؤدون التكبير جماعياً، فلم يستحسن الشيخ- رحمه الله- ذلك وأمرهم بالاكتفا بمؤذن واحد يقوم بالتكبير المشروع في العيد.

معهد الحرم المكي:

عرف عن الشيخ حبه للعلم، وسعيه في نشره، ورعايته لطلابه وحدبه عليهم وحبه لهم، وعلى الرغم من أن الشيخ تلميذ حلقة وشيخ حلقة ومشجع للحلقات العلمية، لكنه رأى بثاقب نظره ما عليه متغيرات العصر، وزهد الناس في التعليم الديني، وانصرافهم إلى التعليم النظامي بقصد نيل الشهادات، وتلمس وجوه الأعمال، فاقتضى نظره إنشاء معهد داخل أروقة المسجد الحرام يقوم على طريقة الحلقات لكنه يأخذ من التعليم النظامي محاسنه من حيث الضبط في الحضور والانصراف في المواعيد، واستقرار المواد العلمية التي يرغب تدريسها، ويأخذ من الحلقات تحلق التلاميذ حول الشيخ، واقترابهم منه، والتفافهم حوله في داخل أروقة المسجد الحرام، مما يعطي صفة خاصة لهذه الدروس ومما يرجى معه نيل بركة المكان وفضل العلم.

وبالفعل تم تأسيس معهد الحرم المكي عام ١٣٨٤هـ معادلاً مرحلتي المتوسطة والثانوية واختار له المعلمين من العلماء الأكفاء فكان نيته صالحة، يخرج نباته

بإذن ربه، فتخرجت منه الأفواج تلو الافواج، ولا يزال عطاؤه مستمراً وثماره متواصلة من أبناء البلاد وخارج البلاد من بلاد المسلمين كافة.

رئاسة مجلس القضاء الأعلى:

حينما ترك الشيخ القضاء عام ١٣٧٧هـ في القصيم، لم يفتأ المسئولون- وفقهم الله- يعرضون عليه مناصب قضائية عليا ولكنه يأبى لما يدركه- رحمه الله- من شدة القضاء، وعظمة الوقوف بين يدي الله عز وجل، فقد عرض عليه رئاسة محكمة الرياض، ورئاسة محكمة مكة المكرمة، ورئاسة محكمة التمييز بالمنطقة الغربية، ورئاسة محاكم الأحساء ورئاسة محاكم القصيم، فأباها جميعاً طلباً للسلامة، ولكنه قبل أعمالاً إدارية، كرئاسة الإشراف الديني على المسجد الحرام، ونظراً لسمعة الشيخ وبعد صيته في القضاء وقوته فيه فلم يفتأ المسئولون- حفظهم الله- من بذل المحاولات لإقناع الشيخ بالقبول حتى كان عام ١٣٩٥هـ، حيث رغب منه الملك خالد بن عبدالعزيز- رحمه الله- أن يتولى رئاسة المجلس الأعلى للقضاء، وهو منصب جديد استحدثه الملك خالد- رحمه الله- ليكون المرجع النهائي في القضاء، وله مهمات أساسية من الفصل فيما يختلف فيه القاضي مع هيئة التمييز، والبت في أحكام القصاص والحدود، وتعيين القضاة وترقيتهم وإعفاؤهم وإحالتهم للتقاعد بعد استصدار الأمر السامي في ذلك، حسب ما نصت عليه نظم مجلس القضاء ولوائحه، فما وسع الشيخ إلا الامتثال لطلب الملك فتولى رئاسة المجلس واستمر فيه حتى وافاه

الأجل- رحمه الله- وهو في هذا المنصب مرجعاً لجميع قضاة البلاد، ينظر في أحكامهم و أحوالهم واستحقاقاتهم، فكان محمود السيرة، حريصاً على توجيه القضاة وتذكيرهم بمهمات أعمالهم، حافظاً لحقوقهم حامياً لجنابهم كما كان قوي الموقف فيمن يخالف.

سيرة القضاء:

لقد رزق الله الشيخ علماً وفطنة، وذكاء ودهاء، وقوة ودقة، يدرك مرامي الألفاظ، ولحن القول، وميل اللحظ، مهيباً في مجلس القضاء، لا يطمع قوي في حيفه، ولا يخاف ضعيف من ظلمه، عرف بشدته في الحق، وصرامته في الحكم، ولي القضاء فقام فيه أحسن مقام بالعدل والقوة، وكان له فيه مجلس مرهوب وله في ذلك وقائع مشهورة وقصص غريبة.

من ذلك:

أنه حينما تولى رئاسة مجلس القضاء الأعلى، مرت به قضية كان قد حكم بها في القصيم قبل ثلاثين عاماً، فلما كان القاريء يقرأ عليه الصك الذي دونت فيه القضية إذا هو يمر بعبارة فيها تحريف، فما كان من الشيخ إلا أن سبَّح لله واسترجع وقال: سبحان الله لقد قلت لهم في حينه أن يصلحوها بصيغة كذا فسامحهم الله لم يصلحوها فانظر كيف كان الشيخ مستذكراً للقضية برمتها وبعباراتها وألفاظها.

المجالس والمؤتمرات والهيئات واللجان التي رأسها وشارك فيها:

- عضو هيئة كبار العلماء في المملكة.
- رئيس المجمع الفقهي في رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.
- رئيس لجنة جائزة الدولة التقديرية.
- عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي.
- عضو المجلس الأعلى العالمي للمساجد في رابطة العالم الإسلامي.
- عضو المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة.

المعهد العالي للقضاء والرسائل العلمية:

الشيخ- رحمه الله- له تعلق بحلقات التدريس في المساجد، فهو يحبها ويعلق عليها آمالاً كبيرة في التحصيل والأثر والثمرة، ويرى فيها بركة العلم وآثار الإخلاص، إذ إن صاحبها- في الغالب- لا يتطلع إلى شهادات، ولا يروم وظائف ومناصب كالتي تقود إليها غالباً الشهادات الممنوحة بالطرق النظامية، وإن كان- رحمه الله- يقدر لكل ذي علم علمه، ولكل ذي فضل فضله، ففضل الله واسع وفوق كل ذي علم عليم، فكم برز من ذوي الشهادات من يشهد لهم بالعلم والفضل وعظيم الأثر.

ومن أجل هذا: فإن الشيخ- رحمه الله- كان حفيّاً بالتعليم النظامي يقدر أهله، ويشجع على الانتساب إليه، والإلتحاق به، ويعده فرصاً علمية متاحة، وصلاح النية وحسن القصد وتمحض الإخلاص مرده إلى العبد وذلك سر بينه وبين ربه.

ومن أجل هذا، فإنه حينما أنشئ المعهد العالي للقضاء عام ١٣٨٦هـ في عهد الشيخ محمد بن إبراهيم- رحمه الله- طلبوا منه التدريس فوافق واستمر في التدريس فيه كل عام.

وكان المعهد يضم صفوة من كبار الطلاب وحملة الشهادات أمثال: د. عبدالله التركي، والشيخ صالح بن محمد اللحيدان، والشيخ عبدالله بن منيع، والشيخ صالح

الأطرم، والشيخ عبدالله بن جبرين وغيرهم كثير.

وحينما بدأت الجامعات السعودية تمنح الشهادات العليا في الماجستير والدكتوراه وطلبوا منه الاشتراك في مناقشة رسائل الطلاب وافق على ذلك.

بل إن أول رسالة علمية في الدكتوراه في الفقه الإسلامي في المملكة نوقشت على يديه- رحمه الله- وهي رسالة فضيلة الدكتور شرف علي الشريف كما كان عضو مناقشة رسالة فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء حالياً.

وفي كل ذلك دلالة على حب الشيخ للعلم، وشدة تمسكه به، وتشجيعه لأهله في أي سبيل سلكوا في تحصيله ما دام طريقاً مشروعاً.

الاحتساب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسعي في قضاء حوائج الناس:

لم يكن الشيخ- رحمه الله- ممن يؤثر الاحتجاب عن الناس، أو يحب العزلة بل كان شيخ عامة متصلاً بالحياة والمجتمع، متواصلاً مع الحكام، حافظاً حقهم، قائماً بواجب النصح نحوهم: ناهيك بأن من كان مثله في غزارة العلم والجرأة في الحق إلا ويلتف الناس حوله، وتتعلق به العامة وأصحاب الحوائج، وقد تميز بقوة الشكيمة، وسداد الرأي، وصواب الفكر.

فتصدى للدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وشد أزر الدعاة ورجال الحسبة.

كان يقوم بالحق، ويأخذ به الناس العامة منهم والخاصة، لا يخص بأفكاره أحداً دون الآخر.

الصحافة والإذاعة:

قلنا إن الشيخ- رحمه الله- رجل عامة كما هو رجل علم و دعوة، ولهذا فهو لا يدع مجالاً يمكن أن يقول فيه كلمة حق أو دعوة خير أو أمراً بمعروف أو نهياً عن المنكر إلا وسلكه، والصحافة والإذاعة كانت في أوائل ظهورها وبزوغها، وكان الشيخ من المبادرين في الإسهام فيها وتبليغ الحق والعلم للناس من خلالها فله نشاط في الصحافة ملحوظ من كتابة المقالات والتوجيهات والردود على ما يرى من مخالفات وله في ذلك باع طويل سوف نذكر نماذج منه إن شاء الله.

أما الإذاعة فكان لديه إسهام كبير وبخاصة من الإجابة على فتاوى المستفتين في برنامج عام كان هو أحد أركانه وهو برنامج (نور على الدرب)، وهو برنامج إذاعي له صيته، فكان الشيخ- رحمه الله- من أوائل من شا رك فيه حتى توفاه الله.

وهناك برنامج خاص للشيخ عنوانه (أسألوا أهل الذكر)، يجيب فيه عن أسئلة السائلين الفقهية والاجتماعية، وقد عرف الشيخ بدقة الإجابة في الفتوى، بل إنه يعيد سؤال السائل كاملاً غير منقوص عن ظهر قلب لأنه كان كفيف البصر، وحين تسمع فتوى الشيخ أو تقرأها فإنك تدرك غزارة العلم، وأصالة الرأي، وعمق الفكر، ودقة العبارة، وقوة الدليل، وشمول المقارنة فيما يحتاج فيه إلى إيراد المقارنة بين أقوال العلماء ومذاهبهم.

إنتهى ما نقلناه من كلام الشيخ الدكتور صالح بن حميد.

قال الأستاذ ناصر العمري:

فطنة:

الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد من أهل معكال الذي هو الآن حي من أحياء الرياض، وكان قرية منفصلة عن الرياض، ويقع بين الرياض وعتيقة جنوب الرياض القديمة، طلب العلم على الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ في الرياض، وتولى القضاء في الرياض وتولى قضاء المجمعة[1]، وقام بالتدريس في جامع بريدة موظفاً لذلك بتعيين واختيار من الملك عبدالعزيز ثم تعين قاضياً في بريدة بالإضافة إلى التدريس في الجامع وتولى الإشراف على الحرمين الشريفين، حيث كان رئيساً عاماً لذلك، وتعين رئيساً للمجلس الأعلى للقضاء وبقي في هذا العمل حتى توفي في الطائف ودفن بمكة المكرمة.

وكان قد ذهب وهو شاب يطلب العلم مع رجل يريد الزواج في الغطغط من طلبة العلم صحبة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وكان البدو في ذلك الوقت فيهم شيء من الغلو والشدة في أمور الدين، وكان ثوب الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد طويلاً فمسكه رجل من البدو وقال أنت مسبل، وقص الثوب من أسفله وضرب الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد الذي كان شاباً كفيف البصر، وكان الثوب الطويل ا لذي عليه عارية، وقال معتذراً: الثوب عارية

(١) الصحيح أنه تولى قضاء سدير وليس قضاء المجمعة وحدها، ولكنه كان يقيم في المجمعة ويقضي لأهل المجمعة وسدير.

ولم يقبل الرجل البدوي عذره فضربه وقص الثوب ومضى ثلاثون عاماً، وكان الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد قاضياً في بريدة فجاء البدوي الذي قص ثوبه في هجرة الغطغط يخاصم عنده فعرف صوته وبعد انتهاء الخصومة قال له الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد: ايتِ إلى بيتي لشرب القهوة بعد صلاة الظهر فجاء البدوي، ولما دخل وسلم وجلس قال له ابن حميد يا فلان أتذكر يوم قصصت ثوبي وضربتني بالغطغط عام كذا؟ قال أهو أنت؟ قال نعم، فأراد البدوي أن يقبل رأسه ويعتذر إليه فقال: لا تعتذر فأنا أريد أن تعرف أنني قد عرفتك والله المستعان[1].

قال الشيخ ابن خريف التويجري في كتابه (طرائف من الأخبار والسوالف):

فائدة:

كان رجل هنا صاحب دكان بياعاً، فأتاه رجل وقال إني أطلب أباك ديناً مقداره كذا وكذا، فقال: أنا ما عندي فلوس أسدد لك الآن ولكن خذ من هذا الدكان حاجتك حتى تستوفي حقك، فأتى الرجل بسيارة وحمل من الدكان أكياساً وغيرها بجميع حقه دفعة واحدة وذهب.

فلما نام صاحب الدكان رأى أباه المتوفى وإذا خاطره غير طيب، فلما انتبه اغتم لذلك، فأتى يسأل شيخنا (عبدالله بن محمد بن حميد) رحمه الله، عن هذه الرؤيا؟ فقال الشيخ: (ما شاء الله يا علي أن أوفيت عن أبيك ديناً ولم تقل لصاحبه ثَبِّتْ، ترى

(١) ملامح عربية، ص٣٠٩- ٣١٠.

قَوْلَةْ ثَبِّت تبرئ الحي ولكنها ما تبرئ الميت).

فحمد الله الرجلُ وزال غمه، وهذا يدل على أن الدِّين أو بعضه غير صحيح فأحس به الميت والله أعلم.

انتهى.

وقال التويجري أيضاً في طرائف (ج١، ص٥٣- ٥٤):

تنبيه هام:

قرره شيخنا عبدالله بن محمد بن حميد، رئيس الحرم المكي، رحمه الله تعالى، قال:

كان عامة ضلال أهل نجد وسائر العرب في الجزيرة: هو الشرك (عبادة القبور، والتوسل بالأموات وغيرهم من المخلوقات، وطلب شفاعتهم منهم، قائلين:)مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى(، وهو الزمن الذي ظهر فيه الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ووازره آل سعود رحمهم الله تعالى، فأظهر التوحيد وانجلى ظلام الشرك، في نجد وغالب أنحاء الجزيرة والحمدلله.

يقول: وأما ضلال اليوم فهو نوع آخر، (قد اندلق علينا الغرب) بدسائسه المنفِّذه في الظلام، بدعوى التمدن، والتنور، والتطور، والتقدم، وهم يركزون على التدهور، لا يمتون إلى شيء من الأديان: لا توحيد ولا شرك، إنما هو التدهور في المادة واللذات العاجلة، هذا هو غايتهم المقصودة، ويسمونه (السلاح البارد) فصار أضر على الإسلام والمسلمين من السلاح الحار وأبلغ في تفريق الكلمة وتشتيت القلوب، ومن رأوه يميل إلى التديُّن، أتوه من قِبَله، فغرروه من حيث يهوى، فأعجبوه بنفسه، وأزروه بماضيه، وزينوا له الخروج على مجتمعه، بتفريق القلوب، وشق عصاهم، (بدعوى الإصلاح)، فربما يربو ضرره على إصلاحه، فيزيد الطين بلَّةً والليل ظلام)، وحسبنا الله ونعم الوكيل، قال الله تعالى: (لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ).

وكتب الأستاذ محمد بن عبدالرحمن بن حسين آل إسماعيل مقالاً في جريدة الجزيرة في عددها الصادر يوم الأحد ١٨ ذي القعدة سنة ١٤٢٠هـ،١٦ نوفمبر عام ٢٠٠٨م عن الشيخ عبدالله بن حميد قال فيه:

الحديث عن سماحة الشيخ الإمام المحقق المحدث الفقيه المدقق خاتمة محققي الحنابلة يعذُب ويحلو لا يمل، هذا الإمام الجبل الفرد الذي يعتبر حجة في الفقه عامة والحنبلي خاصة أثار إعجاب كل من التقى به في الحرم وسمع به ألان الله له الفقه كما ألان الحديد لداود عليه السلام فهو مثل المعادن النادرة لا يعرف قدره إلا المختصون والعلماء الناصحون المخلصون صاحب تأصيل متمكن من اللغة العربية أيما تمكن، نسيج وحده لا يمكن أن ينساه من يتعاطى القراءة في كتب الفقه الحنبلي.

له اهتمام بحكمة التشريع وعلله والذي جعلني أكتب عنه هذه الأيام لأنه ألف عنه كتاب مستقل في هذه الأيام ألفه الأستاذ الفاضل الشيخ صلاح بن إبراهيم الزامل الكتاب يقع في ٥٣١ صفحة من القطع المتوسط الناشر دار أبجد للدراسات والنشر بالرياض ودار الصميعي للنشر والتوزيع الرياض.

ولي الحق أن أفرح به ولم لا؟ لأنني ممن كتب عن سماحته في كتابي (الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وأثر مدرسته في النهضة العلمية والأدبية في البلاد السعودية) والذي طبع الطبعة الأولى على نفقة الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ والطبعة الأخيرة دار البشائر الإسلامية ببيروت.

وهذا العلَم كانت له أكبر حلقة فقه في الحرم المكي وهو يشرح كتاب المنتهى وغيره من كتب المذهب الحنبلي بصوته المميز الهادئ ولغته العربية الفصيحة الصحيحة فإذا قرر المذهب تقرير محقق أخذ ينقل أقوال المالكية والحنفية والشافعية وينص على الكتب والصفحات مما جعل ذلك محل إعجاب الحجاج والمعتمرين ممن ينتسبون إلى هذه المذاهب ولم يجرب عليه خطأ.

هذا مع أنه مكفوف البصر)فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ(فإذا انتهى انهالت عليه الأسئلة العويصة فأجاب عنها مسألة مسألة وكان يعيد سؤال السائل كما أورده السائل وهذا لفطنته وحضور بديهته، فيجيب إجابات شافية كافية وكان يحضر حلقته كبار العلماء من كل بلد.

هذا العالَم الجليل ولد في جنوب الرياض في حي يقال له معكال من أقدم أحياء الرياض من أسرة هم بقايا آل حميد حكام الأحساء وشرقي الجزيرة العربية سابقاً من آل عريعر، وقد أخبرني الشيخ الثقة الزاهد الشيخ سليمان بن عبدالله آل حماد المحقق بوزارة العدل رحمه الله قال: لم يتزوج محمد آل حميد إلا على كبر وذلك بمشورة الشيخ العالم العلامة عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ رحمه الله فلما وُلد له المولود بعد سنة جاء به وهو في المهد فرحاً إلى الشيخ عبدالله بن عبداللطيف فأذن الشيخ عبدالله وأقام في أذنيه وسماه عبدالله وحكنه بالتمر كما هي السنة ودعا له واستجاب الله دعوة الشيخ عبدالله فقد كان يطلب العلم إلى أن مات لتواضعه الجم فهو يستمع للمتحدث

وهو يدري بالموضوع أكثر من المتحدث وهذه سمة السلف الصالح وسمتهم فقد عرف بالوقار والرزانة والفطنة والذكاء والفراسة الصادقة.

والشيخ رحمه الله في أموره يعيش الوسطية قولا وعملا وحالا كما هي حال فقهاء الحنابلة ولن تجد عليه أيَّ أثر لتنطع أو غلو بل عنده حب وشغف بأحوال الساعة وهناك من يزوده بأخبار العالم وفي مقدمة هؤلاء الشيخ الفاضل محمد بن ناصر العبودي وهو أحد طلابه المخلصين الأوفياء الذين يثق بهم شيخنا.

وثوبه فوق العقب وليس إلى نصف الساق وليس هو لباس شهرة لا بل ثوبه مثل أثواب سائر العلماء ولكنه مع هذا لم يسلم من حاسد وناقم فلما كان يخطب في إحدى البلدان قام أحد هؤلاء وقال للشيخ لا سمع ولا طاعة فإنك مسبل والشيخ في الحقيقة ليس مسبلا بل ثوبه فوق العقبين ولكن لحكمة الشيخ وحلمه لم يكذب هذا الرجل وإنما قال له بلهجة أهل الرياض (هيت بمقص من بيتك وقص الزائد) فما كان من هذا الرجل إلا أن خجل واعتذر أمام سخط الناس عليه.

وكانت للشيخ شعبية لدى الخاص والعام وكان مسددا في كل أموره وقد أحال إليه أحد كبار القوم رجلين في دعوى بينهما وكتب أصلح بينهما فما كان من شيخنا إلا أن أصلح بينهما وبعد مدة أتى شيخنا إلى كبير القوم هذا فقال للشيخ جزاك الله خيراً يا شيخ لقد حكمت بينهما ورضيا فردّ الشيخ رحمه الله: لا لم أحكم بينهما بل أصلحت لأنك كتبت لي أن أصلح ولم تقل لي احكم.

وهذا من دقة فهم الشيخ وأمانته. وحين كان الرئيس العام للإشراف على

الحرمين الشريفين كنت أزوره وأجد عنده الراحة النفسية فتشعر بالروحانية في مجلسه وغالباً بقربه تلميذه ونائبه الرجل القدوة في سلوكه وأخلاقه الشيخ الجليل محمد بن عبدالله السبيل أطال الله عمره أجد زوار الشيخ من كل مذهب فهو يألف ويؤلف وأحبه أهل مكة عامة وعلماء فهو حكيم في تعامله مع الناس ويراعي مشاعرهم ولا يصادم أحداً ولا يحقر أحداً فكل تصرفه وكتاباته موضوعية لا ذاتية ينصف الناس لا أزال أحتفظ بمجموعة من الكتب أهداني إياها آنذاك منها:

(١) كشاف القناع عن متن الإقناع.

(٢) والمحرر في الفقه لمجد الدين عبدالسلام بن تيمية رحمه الله.

فشيخنا لا يلحن ويكره اللحن وكان من عادة الناس خاصة وعامة أنهم ينطقون أسرة الشيخ هكذا (احميد) يبدؤونه بألف ساكنة وبعدها حاء ساكنة ولما كنت طالباً في كلية الشريعة كان لي شرف تقديم سماحته في محاضرة في جامع الرياض الكبير الذي في الصفاة فلما قدمته قلت (سماحة شيخنا عبدالله بن محمد بن حُميد) (فضممت الحاء وفتحت الميم) فرد عليَّ بعض الحاضرين يطلبون أن أقرأ اسمه كما هو شائع على ألسنة الناس فما كان منه رحمه الله إلا قال: بارك الله فيك يا ابني أنت أول من نطق اسمي صحيحاً ففرحت وداخلتني نشوة والكلام عن شيخنا يطول ويطول وأحيل القراء إلى الكتاب المذكور.

ولكني أعتب ولا أدري إلى من أوجه عتبي فالشيخ رحمه الله لم يعرف حقه حياً ولا ميتاً ولم يكتب عنه قبل هذا الكتاب جزى الله كاتبه خير الجزاء،

وكذلك فتاويه ورسائله وتقريراته حتى الآن لم تطبع فلمن أوجه اللوم إنما طبع جزء من فتاويه محرفة مشوهة في دار ابن القاسم. ولمن أوجه اللوم لماذا لم يوزع منسكه على نطاق واسع في وزارة الحج ووزارة الشؤون الإسلامية؟

لماذا هذا العقوق ومنسكه يجب أن يطبع على نطاق واسع اسمه (هداية الناسك في أحكام المناسك) فهو زبدة وخلاصة لا يكفي عنه غيره امتاز بالوضوح ويشير فيه إلى الحكمة والعلة وقد طبع ولكن على نطاق ضيق وجاء متأخراً بدليل أنه لا أحد يعلم عن هذا المنسك شيئاً لماذا لا تطبع منه مئات الآلاف أسوة بغيره من المناسك وهو شيخ الجميع؟ حتى النسخ القليلة التي طبعتها وزارة الشؤون الإسلامية وزعت على نطاق ضيق جداً جداً.

وفي ترجمة الشيخ قصور فقد ترجموا للشيخ بترجمة ذكروا أن الشيخ أخذ التفسير والتوحيد والحديث عن فلان وفلان ولكن لم يذكروا بيت القصيد وهو الفقه وكيف دخل في عداد الفقهاء لو لم يكن فقيهاً درس الفقه وأتقنه وتبحر فيه.

فشكر الله سعي الأخ الفاضل الشيخ صلاح بن إبراهيم الزامل على جهده الذي يذكر فيشكر حيث جمع غالب ما قيل عن سماحة الشيخ الإمام عبدالله بن حميد وما قيل فيه وكثَّر الله من أمثاله ونعوذ بالله من العقوق والجحود ونكران الجميل هذا والله من وراء القصد.

محمد بن عبدالرحمن بن حسين آل إسماعيل

أسئلة وأجوبة حول شيخنا الشيخ ابن حميد:

بعد أن اتسع التعليم الجامعي في بلادنا وحسن مستواه من حيث البحوث والدراسات صار بعض طلبة الجامعات من رجا ل ونساء يريدون أن يكون البحث في أحوال بعض العلماء موضوعاً لرسائلهم الجامعية.

وذلك تحت إشراف أساتذتهم ومدرسيهم من العلماء في الجامعات، وكان لشيخنا الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد نصيب وافر من بحوث الباحثين، وكل من قبلت الجامعات أن يكون بحثه عن الشيخ عبدالله بن حميد يتصل بي لأنه يعرف صلتي القوية بشيخنا ابن حميد، فيسألون عن بعض النقاط ويستفسرون عن أشياء يرون أنها تحتاج إلى إيضاح.

وبعضهم لم يفعل ذلك، وإنما يطلب أن أخبره ابتداء ببعض الأشياء التي يحتاج إليها في بحثه من دون أن يذكرها، وإنما يريد مني أن أضيفها إلى ما قد يكون ذكره من نقاط معينة.

وكنت أمدهم بجواب ما يريدون على قدر ما يسمح به جواب السؤال وفي نطاق ما يناسب الرسائل الجامعية التي يتناولونها.

وذلك بأن الجميع صاروا يعرفون تلمذتي على الشيخ ابن حميد ويعرفون أنني من أقرب طلبته إليه، وكثيراً ما يرسلهم إليَّ من يطلب منهم أن يكتبوا لهم بحثاً أو مقالاً فيحيلونهم عليَّ لما يعرفون من كوني أعرف أشياء كثيرة لا يعرفها سائر الناس عن الشيخ عبدالله بحكم صحبتي الطويلة له، وكونه

يخصني من دون سائر تلامذته، وطلبة العلم الآخرين بأشياء علمية كما أنه يطلعني على مكنونات مكتبته الحافلة ومنها أنه كان يطلب مني أن أصحبه في أسفاره الرسمية.

وكنت أجبت بعضهم بكتابة كلمة مختصرة أو إجابات على أسئلة محددة.

وبعضهم يلح عليَّ بأن أكتب له كلمة مختصرة تتعلق بتفاصيل بحثه عن الشيخ عبدالله بن حميد، ثم يتقدم بأسئلة كثيرة تبدو كما لو كان يريد مني أن أقوم بالبحث له عن الشيخ ابن حميدوأقدمه له جاهزاً.

وهذا ما لا أوافق عليه لأمور أولها: أنه يكون كلامي وليس كلامه وهو متقدم للجامعة ومن ذلك إلى القراء على هذا الأساس وهذا فيه تدليس وإخفاء للحقيقة.

مع أنني أنا أريد أن أولف كتاباً عن الشيخ ابن حميد، قياماً بحقه عليَّ وبما يمليه الواجب نحوه.

وثاني الأمور أن معنى ذلك أن أترك العمل في الكتب التي اشتغل بالكتابة والتأليف فيها وهي كتبي التي أكتبها حقيقة وأضع عليها اسمي.

وثالثها: أنني سوف أشجعه بذلك على الكسل، والاعتماد على الآخرين في البحث العلمي الذي يجب أن يقوم به وأن يتمرن عليه.

ومع ذلك كنت أجبت على أسئلة كثيرة للمؤلفين الباحثين عن الشيخ ابن حميد وقد رأيت أن أنقل هنا بعض ما أجبت به أولئك الباحثين لكونه متعلقاً

بالحديث عن شيخي الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد ولأنه قد يذكر شيئاً ما لم أذكره في فصول كتابي هذا.

إما سهواً أو من أجل عزمي على نقل تلك الكلمات، مع العلم بأنني تركت بعض ما تكلمت به لكون أصله فقد مني وهو قليل.

وهذا نص بعضها:

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة معالي شيخنا الفاضل العلامة محمد بن ناصر العبودي

حفظه الله ورعاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

هذه بعض الأسئلة والاستفسارات عن العلامة الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله

أمل التكرم بالإجابة عليها ولكم فائق التحية.

- ما هو الأثر العلمي والتربوي والنهضوي الذي تركه الشيخ ابن حميد في المنطقة؟

- هل من الممكن أن تروي لنا ما هي طريقة التعامل الذي كان الشيخ ابن حميد يسلكها مع تلاميذه؟

- البرنامج التربوي والتعليمي للشيخ ابن حميد أقصد ما هو البرنامج الذي وضعه للتلاميذ والطلبة؟

- ما هو الفرق الذي رآه الشيخ محمد العبودي في الشيخ ابن حميد وطريقته في التعليم وطريقة غيره من الذين سبقوه؟

- هل كان الشيخ ابن حميد يتبنى النابهين والأذكياء وينمي مواهبهم وميولهم العلمية والفكرية؟

- النقاش العلمي في الحلقة وتحريك الذهن للطالب وعدم التركيز على الحفظ فقط بدون استعمال التفكير لو تحدثت عن هذه الصفة في الشيخ رحمه الله وكيف كان يجعل التلميذ يتدرب على المناقشة وشحذ الذهن؟

- كيف كانت معاملة الشيخ رحمه الله وأسلوبه وسياسته مع جميع طبقات المجتمع و فئات الناس؟

- عندما استعمل الشيخ رحمه الله جهاز مكبر الصوت بالمساجد أو جامع بريدة بخصوص كيف كان ردة فعل طلبة العلم في ذلك الزمن وعموم المتدينين. وما هي الطريقة التي أقنع بها الشيخ هؤلاء؟

- تعليم الفتاة السعودية تعلمون حفظكم الله أن تعليمها قوبل بالرفض والامتناع وبالذات من أهالي بريدة وغيرهم من أهالي نجد، وليس كلهم والقصة معروفة حينما أتوا إلى الرياض محتجين على هذا القرار فما كان موقف شيخنا ابن حميد في هذه القضية؟

- التزمت والتنطع والتشدد في الدين في غير موضعه كانت موجودة لدى البعض- كيف استطاع أن يتعامل مع هؤلاء؟ وهل هناك أشخاص أو فئة كانوا على هذه الصفة والشيخ أزال عنهم هذه الشوائب والأمراض؟

- الشيخ ابن حميد كانت له السطلة القضائية والكلمة المسموعة في المنطقة مع هيبة الشخصية فما هو دوره في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ أو بمعنى آخر كيف كان يفعِّل هذا الركن الأساسي من أركان التربية الإسلامية في المجتمع؟ وفي الدعوة إلى الله ويربي عليه تلاميذه؟

- الكتاب وعشقه كان الكتاب هو الصديق لشيخنا ابن حميد رحمه الله لو تحدثت بالتفصيل عن اهتمام وحب وحرص الشيخ على القراءة وما هي كانت قراءات الشيخ؟ وكيف كان يحبب تلاميذه إلى القراءة وما هو برنامج الشيخ في القراءة؟خطبة الجمعة كانت

- ارتجالية لا شك بالنسبة للشيخ لأنه أعمى فهل أحدث الشيخ تجديداً في أسلوب الخطبة ومضمونها؟

- عندما بدأت النهضة العمرانية وضع البنية التحتية للبلاد في عهد الملك سعود رحمه الله من مدارس وإنشاء مستشفيات وتوسيع الطرق ورصفها داخل المدن وخارجها وتأسيس شبكة الكهرباء والماء، هل كان للشيخ رحمه الله دور من خلال طلبه من المسئولين في الدولة، فيما تحتاجه المنطقة؟

- الإعلام والصحافة بخصوص والإذاعة أيضاً هل كان الشيخ رحمه الله متابع لما ينشر في الصحف والمجلات الداخلية وغيرها من الصحف الخارجية؟

- القضاء لدى الشيخ ابن حميد فيروى عن الملك عبدالعزيز رحمه الله أنه قال لو كان هناك رجل أوليه الإمارة والقضاء لوليت ابن حميد وهذه الرواية ذكرها الشيخ ابن بسام في ترجمته للشيخ، ومن ضوء هذه الشهادة الكبرى من أعظم شخصية سياسية ظهرت في جزيرة العرب في القرن الرابع عشر الهجري فإن لها أعظم دلالة على مكانة وشخصية ابن حميد القضائية وكمال الأخلاق والمزايا التي جمع بين الشخصيتين (شخصية القاضي الذكي وشخصية الأمير المهاب)، ما هي الصفات والسجايا التي رآها شخينا العبودي في الشيخ ابن حميد كقاضي؟

- لا شك أن الشيخ ابن حميد رحمه الله كان تعرض عليه قضايا ليس فيها ولا بينة لكنه توصل إلى حل في هذه القضايا بذكائه وحنكته .....، فهل تذكر قضايا وردت إلى الشيخ بدون ذكر أسماء؟ مع ذكر الجوانب الجيدة التي وضعها الشيخ في مسيرته القضائية بالقصيم، وحيث أصبحت قضاياه مضرب المثل للقضاء؟

- عندما انتدب الملك عبدالعزيز الشيخ ابن حميد للنظر في قضايا متأخرة في الحجاز كنتم بصحبته والشيخ علي العجاجي رحمه الله فما هي نوعية القضايا وأصعبها وأكثرها تعقيداً قام الشيخ بحلها؟

- ما هي أسباب استقالة الشيخ من القضاء عام ١٣٧٧هـ؟

- عندما افتتح المعهد العلمي ببريدة كنتَ مديراً لهذا المعهد هل شارك الشيخ ابن حميد بالتدريس وهل طريقته في التدريس بالمعهد نفس طريقته بالمسجد هل استمر يدرِّس حتى تعيينه بمكة المكرمة؟

- هل استمرت علاقتكم بالشيخ في يوم كان في مكة وهل بينكم مراسلات ودية وعلمية؟

- الفراسة نعمة من نعم الله عز وجل يهبها الله لمن يشاء وقد أنعم الله بها على الشيخ ابن حميد فهل تحدثت عن فراسة الشيخ وخصوصاً في القضاء ومعاملة الناس وكشف صدقهم من كذبهم؟

أخوكم: صلاح بن إبراهيم الزامل

باحث وصحفي وكاتب بجريدة الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

ج١: يتمثل الأثر العلمي والتربوي الذي تركه الشيخ عبدالله بن حميد في كثرة تلامذته وفي القضاة والمرشدين الذين عينهم ووجههم إلى أعمالهم ثم تابع ذلك واتخذوه قدوة لهم.

ج٢: أهم ذلك أن الشيخ عبدالله كان يناقش تلاميذه وطلبة العلم الذين يتلقونه عليه بطريقة السؤال والجواب، وحثهم على البحث في المراجع بأنفسهم، فكان كثيراً ما يطلب منا أن نرجع إلى أمهات الكتب لاستخراج المسائل موضوع البحث، كما كان رحمه الله يتابع تلاميذه فإن تخلف أحد من

الطلبة النجباء سأله عن سبب غيابه فيستحي الطالب من شيخه فلا يغيب مرة ثانية إلا لعذر ظاهر.

ج٣: دروس الشيخ عبدالله بن حميد التي يلقيها على تلاميذه وطلبة العلم الذين يتلقون العلم عليه تتألف من أنواع عدة أولها حفظ المتون في العلوم المهمة كالفرائض والفقه والنحو والتوحيد، لهذا يقرأ الطلبة على الشيخ حصة منها غيباً عن ظهر قلب فيشرحها الشيخ عبدالله لهم ويوضح معانيها ويناقش ما قاله العلماء فيها وما فهمه الطلبة أو تعلموه منه فيها، وهذه يصح أن تسمى دروساً جماعية لأنها لأكثر من طالب و احد.

والثانية طريق الإمرار وهي أن يقرأ كل شخص كتاباً من أمهات الكتب في الفنون المختلفة من العقيدة والتفسير والحديث والفقه والتاريخ فيعلق الشيخ على ذلك أو يصحح ما قد يكون في الكتاب مما يحتاج إلى تصحيح، فيستفيد من ذلك القارئ ويستفيد أيضاً طلبة العلم، والمستمعون للدروس، الذين كانوا كثرة يجيئون لحلقات العلم للاستماع إلى الدروس والاستفادة منها من دون أن يكونوا من التلاميذ القارئين على الشيخ.

والثالثة أن للشيخ درساً عاماً يقرأه قارئ خاص يكون ذلك بعد صلاة العصر مباشرة، و يكون أيضاً قبل صلاة العشاء مباشرة وهذا الدرس يستمع إليه طلبة العلم والعوام، وكل من حضر للصلاة في الجامع.

ج٤: لا يمكن الحكم على العلماء الذين سبقوا الشيخ ابن حميد حكماً عاماً لأن طرائقهم تختلف وطريقة تعليمهم لطلبتهم تختلف أيضاً، ولكن كان السائد عند بعض العلماء في نجد أن تكون الدروس بطريقة الإمرار أي يقرأ قارئ واحد على الشيخ ويعلق الشيخ على ما يراه يحتاج إلى تعليق أو ايضاح مما يقرأ القارئ ثم ينتهي الأمر ولكن الشيخ ابن حميد- كما قدمت- يناقش الطلبة ويعودهم على البحث عن المسائل العلمية في الكتب بأنفسهم.

ج٥: نعم، هذا صحيح فالشيخ يتبنى النابهين ويشجعهم لكن قد يحصل أن بعض العامة يحكمون على طالب العلم بمدى عمله بما حصله من العلم فإذا كان ورعاً كثير العبادة فإنهم قد يفضلونه على من هو أكثر فهماً وذكاءاً بل ومعرفةً بالمسائل العلمية، إذا كان أدنى منه في العبادة فالشيخ عبدالله يتبنى النابهين من دون أن يؤثر ذلك على مكانة العباد والعاملين من طلبة العلم.

ج٦: ذكرت شيئاً من ذلك فيما سبق وأزيد هنا أنه كان يكلف بعض الطلبة إحضار مرجع من الكتب التي تتعلق بالدرس ويطلب منه أن يستخرج المسألة منه ويرى طلبته كيف يستطيعون أن يفعلوا مثل ذلك.

ج٧: يمكن أن يوصف الشيخ عبدالله بن حميد في باب العلاقات العامة بأنه عبقري، فهو قد رزق من حسن السياسة ومراعاة أحوال الناس ومعرفة ما في نفوسهم مما يطيب به خواطرهم ما لم يستطعه كثير من المشايخ، فحتى العوام إذا

جلس إليه أحد منهم في غير مجلس الحكم فإنه يتكلم معهم بما يتعلق بما يعرفه ذلك العامي، من دون أن يظهر الشيخ أنه قد عرف منه أكثر مما عرفه، لذلك قد تراه يسأل محدثه عن شيء يعرفه الشيخ عبدالله من أجل أن يعرف مدى مطابقة قول المتكلم عنه للواقع ومن أجل أن يشجعه على مواصلة الحديث الذي قد يذكر فيه ما لم يكن الشيخ يعرفه عنه من قبل فيزداد علماً به ومعرفة بما يكون حوله.

ومما يثير العجب أننا كنا نجلس عنده فيدخل عليه طوائف من الناس مجتمعين وبعضهم متفرقون فيتكلم مع كل أناس بما يناسبهم، وليس معنى ذلك أنه يقول شيئاً غير صحيح، و إنما رزق حسن الاختيار في الكلام حتى يستفيد منه الجميع.

ج٨: كان بعض طلبة العلم يمانعون في استعمال مكبر الصوت وتركيب سماعاته في المسجد الجامع، فكان الشيخ عبدالله في أول الأمر يرفق بهم إلى درجة أنه أجّل تركيب (المايكروفون) فترة ثم أمر بتركيبه واستعمله أول ما استعمله في خطبة الجمعة مما جعل بعض المتشددين الذين لا يعرفون حقيقة الأمر في مكبر الصوت ينتقدون ذلك، ولكنهم ما أن رأوا فائدته وأن الاذان والذكر والموعظة تنطلق منه وتصل إلى ما لا تصل إليه بدونه غيروا رأيهم.

ج٩: اعتبر الشيخ عبدالله بن حميد أن تعليم الفتاة ذلك الوقت كان يثير خصومات وانشقاقات وفتنة بين الناس لأنهم لم يكونوا يتصورون فائدته

فكان- رحمه الله- يجيب على من يسأله عن ذ ا ك بمقتضى الشرع، وهو أن المهم هو نوع التعليم وما يكشفه من أمور وأما تعليم الدين والأخلاق للفتاة فإنه أمر مطلوب، ومع ذلك كان ينصح كل من يأتي إليه باتخاذ الحكمة وأخذ الأمر بالذي هو أسهل مستحضراً بأن الأمر سيكون طبيعياً فيما بعد، وقد كان كذلك بالفعل.

ج١٠: ذكرت جواب ذلك في الجواب الذي قبله.

ج١١: صاحب السماحة الشيخ عبدالله بن حميد كان هو رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الحقيقي وإن كان يوجد رئيس فعلي يباشر العمل فإنه هو الذي عينه وهو الشيخ علي بن عبدالعزيز العجاجي- رحمه الله- وقبل ذلك أي قبل أ ن يعين لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رئيس فإن الشيخ عبدالله كان مرجعهم، وكانوا يسمون النواب، والقاضي وهو الشيخ عبدالله بن حميد، كان يعين النائب وهو الذي يلاحظ كيفية أداء عمله ويرجع إليه النائب فيما يتعلق بعمله سواءاً كان ذلك من الناحية العلمية الدينية أو من النواحي الأخرى المتعلقة بهذا الأمر.

ج١٢: أحسنتم التعبير بعشق الكتاب فالشيخ عبدالله بن حميد لا يفارقه كتاب أوأكثر من كتاب واحد حتى في سفره، أما إذا كان مقيماً فإن مكتبته كانت حافلة بالكتب.

وكان الشيخ عبدالله إذا خرج إلى نزهة أو كان في سفر حمل معه كتباً من

عدة فنون تجد فيها كتاباً في التاريخ وآخر في الأدب وثالثاً في الفقه... الخ.

وأذكر أن الشيخ عبدالله كان يبعث إليه أكثر المؤلفين إن لم يكونوا كلهم بمؤلفاتهم حتى يقرأها ويصحح ما قد يحتاج إلى التصحيح منها، وكنا نقرأ عليه ذلك فكان لا يمل ولا يسأم من الاستماع إلى ذلك.

ج١٣: للشيخ عبدالله بن حميد طريقته في إلقاء الخطبة وهي ارتجالية كما ذكرتم ولكن كان العلماء من آل سليم وهم قضاة بريدة قبله يلقون خطبة الجمعة من دون ورقة، وأخص بالذكر الشيخ عمر بن محمد بن سليم رحمه الله الذي لم يكن يقرأ من كتاب أبداً في الخطب وبخاصة خطبتي العيدين، أما خطبة الجمعة فقد كان عين خطيب الجامع عبدالله بن رشيد الفرج- رحمه الله- فكان يخطب من ورقة، وكانت الخطابة في ورقة هي الأمر الشائع في أكثر البلدان النجدية في تلك العصور.

ج١٤: نعم، كان دور الشيخ عبدالله في مثل هذه الأمور دور المشجع، بل الذي يحث عليها ويبين مصالحها للبلاد.

ج١٥: للشيخ عبدالله بن حميد عناية بالإعلام والصحافة لا أعرفها لعالم من علماء المملكة غيره فكان- رحمه الله- يستمع إلى الإذاعة في كل يوم تقريباً ويقرأ الصحف المتنوعة حتى كنا نقرأ عليه ما يستطيع الوصول إليه من الصحف التي تصدر في البلدان العربية خارج المملكة، مع ذلك

كان يسأل المتتبعين للأخبار العالمية عن آخر الأخبار إذا جاءوا إليه يريد أن يعرف ما قد يكون فاته منها.

وكان يقرأ الصحف ويوازن بين الكتاب فيها فأذكر أنه كان قال لي مرة إن الكاتب الفلاني هو أرقى أسلوب من الكاتب الفلاني، لأن فكرته ضحلة بالنسبة إلى الأول، ولكن يصح القول بأن قراءة الصحف لدى الشيخ عبدالله بن حميد رغم مسؤولياته الواسعة هي فقرة ثابتة في برنامجه اليومي.

ج١٦: سمعت ما ذكرتموه عن الملك عبدالعزيز كما سمعتموه سواء أصح في تلك الجملة أم لا فإن معناها صحيح لأن الشيخ ابن حميد قد جمع الله له بين العلم الواسع والتفكير السليم وحسن المعاملة للناس والبراعة في السياسة إلى درجة الدهاء.

ج١٧: يصح أن يسلك الشيخ ابن حميد في سلك الدهاة من القضاة التاريخيين مثل إياس بن معاوية وشريح القاضي، لأنه يعرف كيف يستخرج الحقيقة من أقوال المدعي والمدعى عليه، ومن الشهود الذين يحضرونهما، وله في هذا المقام مواقف ولذلك شواهد كثيرة، وللشيخ ابن حميد فيه أعمال بعضها معروف

ج١٨: نعم، كنت في صحبة شيخنا الشيخ ابن حميد عندما انتدبه الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله لإنهاء القضايا القديمة في محاكم المنطقة الغربية.

وقد تجلت طبيعة الشيخ ابن حميد في الصبر على تلك القضايا الحافلة بالأوراق التي مضت على بعضها وهي تحت النظر في المحاكم مدة قد تصل إلى عشرين سنة.

وكان من أصعب ما علينا قراءة الصكوك الطويلة الموجودة في ملفات القضايا والتحقيقات التي لا داعي لها، فكان الشيخ عبدالله يستوعب ذلك كله بصدر رحب وصبر عجيب حتى كنا نحن المرافقين له والقارئين عليه تلك القضايا نتعب إذْ كان يقرأ بعضها في الليل مع النهار، وهو لا يتعب ولا يمل حتى يفهم جميع محتويات الملفات المتعلقة بالقضايا رحمه الله وأثابه الثواب الجزيل.

أما نوعية القضايا فإنها تشمل جميع القضايا المتأخرة في المحاكم ومن ضمنها قضايا تتعلق بالقتل، وبعقارات وأراضٍ ثمينة.

ج١٩: لا أذكر التفاصيل المتعلقة بذلك الآن.

ج٢٠: رجوت صاحب السماحة شيخنا الشيخ عبدالله بن حميد أن يلقي دروساً في المعهد لأجل استفادة الطلاب من علمه وبهدف أن يقبلوا على الدراسة في المعهد وقد فعل رحمه الله، غير أنه حضر عنده بعض طلبة العلم الذين كانوا يحضرون دروسه في وقت الضحى في المسجد الجامع وغيره، رجوه بعبارات مؤثرة أن يعود إلى التدريس في الجامع في وقت الضحى، وقالوا من أجل أن يجلس إلى هذه الدروس من يريد الاستفادة منها فيصلي في المسجد صلاة

النافلة ويحضر الدروس، و قد استجاب الشيخ عبدالله إلى ذلك، ولكن بعد أن ألقى دروساً في المعهد لمدة قصيرة.

ج٢١: نعم، ودامت صلتي بالشيخ عبدالله بن حميد كما تكون الصلة بين الوالد وابنه، وهي أكبر من أن تعبر عنها الرسائل.

ج٢٢: هذا داخل في موضوع أداء الشيخ عبدالله عمله في القضاء، فكانت فراسته في معرفة المبطل والمحقِّ من الخصوم لا تخطئ رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عنا وعن المسلمين خيراً.

محمد بن ناصر العبودي

أسئلة من الأخ الأستاذ محمد بن حسين الشيعان اليماني:

كان محمد الشيعان اليماني يقوم بدراسة للحصول على شهادة الماجستير عن شيخنا الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد.

وقد أجرى معي لهذا السبب لقائين تضمنا أسئلة موسعة حول الشيخ عبدالله وأجبته على ذلك بأجوبة تتماشى مع أسئلته.

وهذا كتابه إليَّ:

قال الأستاذ الشيعان: أجرى اللقاء محمد بن حسين الشيعان اليماني.

اللقاء الأول:

سلسلة اللقاءات العلمية- لقاء بفضيلة العلامة الشيخ/ محمد بن ناصر العبودي حفظه الله عن سيرة الشيخ العلامة: عبدالله بن محمد بن حميد رحمه الله- اللقاء الأول بتاريخ ١٤/١٠/١٤٢٥هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خير الخلق وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فيسرني أن ألتقي بمعاليكم في هذا المكان الطيب وفي هذا اليوم المبارك، وحديثنا فيه عن فضيلة العلامة الشيخ/ عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن حميد رحمه الله، وهو كما تعرفونه له ماله من فضائل وميزات وما ترك من آثار خيرة رحمه الله وغفر له.

شيخنا أشكركم في أول هذا اللقاء على إتاحة الفرصة لي وأنتم من ابناء الشيخ عبدالله بن حميد وتلاميذه البررة الذين يحتفظون له بمكانة عظيمة في داخل وجدانكم.

السؤال الأول:

شيخنا أحسن الله إليكم هل لكم أن تحدثونا عن المكانة العلمية للشيخ عبدالله بن حميد- رحمه الله؟

ج/ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد.. فإنني أشكرك أيها الأخ الكريم/ محمد الشيعاني على اهتمامك بشيخنا ووالدنا الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد رحمه الله، والحقيقة إن الكتابة عنه من أولى الكتابات التي ينبغي أن تكون عن علماء هذه البلاد، بل عن علماء المسلمين، لأن الرجل رحمه الله كان عالماً وهذا أمر معروف يشهد على ذلك تلاميذه، وكتبه وبرامجه في الإذاعة، وهو إلى ذلك شخصية قوية، وقاض منصف عادل لم يستطع أحد أن يلقي كلمة انتقاد واحدة فيما قرره من الأعمال وفيما حكم به من الأحكام.

وثانياً: هو رجل له مقامه في الدولة لأني اطلعت على كونه كان يناصح أولياء الأمر يرسل إليهم رسائل سرية إذا اقتضى الأمر ذلك، إما تنبيه وإما توضيح شيء من الأشياء، وكذلك كانوا يرجعون إليه في إيضاح بعض الأمور فجهود الشيخ ابن حميد لها نواحٍ عظيمة من نواحي النفع العام لهذه البلاد سواء من

حيث كثرة تلاميذه أو من حيث أحكامه، أو من حيث الأشخاص الذين رباهم على طلب العلم، أو من حيث مقامه في الدولة، أو من حيث ترأسه مجلس القضاء الأعلى، ونعرف أن مجلس القضاء الأعلى هو المرجع للقضايا العظيمة، ومنها: قضايا المال، وقضايا الرقاب يعني القصاص في الرقاب وغيرها، والشيخ من هذه الناحية له أثار عظيمة وهو ولله الحمد قد حمد أثره وقدره الناس في كل وظيفة تولاها.

السؤال الثاني:

سؤالي سلمكم الله عن ذكرياتكم في الطلب وبداياته مع الشيخ عبدالله بن حميد وآثره في مساركم الدعوي والعلمي فيما بعد؟

ج: أما بالنسبة لسؤالكم عن الطلب على الشيخ ابن حميد وأثره بالنسبة إليَّ في الحقيقة كان أثراً عظيماً بالغاً، وهو أعظم شيخ تتلمذت عليه، و أعظم شخص أثر في حياتي، فأفادني ونفعني جزاه الله خيراً ولا أزال أقول ذلك وأعلنه لأن ذلك هو الحقيقة، بل هو بالنسبة لي يعتبر شيخاً ووالداً مربياً، فعندما قدم الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله من قضاء سدير إلى بريدة، ولم يأت إلى بريدة قاضياً وإنما جاء إليها مدرساً، وذلك بعد أن توفي شيخها الكبير الشيخ/ عمر بن محمد بن سليم الذي بقي في القضاء مدة طويلة من عام ١٣٥١هـ إلى آخر عام ١٣٦٢هـ، وكان قبل ذلك ينوب عن القاضي وكان له تلاميذه والشيخ ابن سليم معروف في بريدة وخارجها، وكان الشيخ عمر بن سليم رحمه الله يتولى

القضاء ويتولى التدريس وله تلاميذ كُثُر وتولوا القضاء، ومنهم الشيخ صالح بن أحمد الخريصي، رحمه الله- الذي ذكرتم اسمه وأناس كثير فالملك عبدالعزيز رحمه الله جعل في أول الأمر في وظيفة الشيخ عمر بن سليم اثنين أولهما الشيخ عبدالله بن حميد مدرساً أول ما جاء، وليس قاضياً، وفي نفس الوقت عين الشيخ محمد بن عبدالله بن حسين أبا الخيل عينه قاضياً في بريدة، فكان الشيخ عمر بن سليم يشغل وظيفتين فبقي الشيخ عبدالله بن حميد ثلاثة أشهر واياماً ثم عاد بعد ذلك إلى الرياض.

وفي آخر سنة ١٣٦٣هـ عين الشيخ ابن حميد قاضياً فجمع له بين الوظيفتين اللتين كان يتولاهما الشيخ عمر بن سليم وهما التدريس في المسجد والقضاء وهما وظيفتان كبيرتان لماذا؟ لأن مدينة بريدة مدينة كبيرة في ذلك الوقت كانت أكبر مدينة في نجد بعد الرياض، وقبل ذلك الوقت بعشرين سنة كانت أكبر حتى من الرياض، ذكر ذلك مثلاً الذين كتبوا عن الجزيرة العربية، مثل حافظ وهبه في كتابه (خمسون عاماً في جزيرة العرب) وفؤاد حمزة في كتابه: (في قلب جزيرة العرب) كلهم ذكروا أن بريدة يزيد عدد سكانها خمسة آلاف على سكان مدينة الرياض، في ذلك الوقت، إضافة إلى أن بريدة لها من النواحي والقرى والتوابع والبوادي ما جعل وظيفة القاضي فيها أكثر أهمية.

ولذلك أنا اعتبر أن شيخنا الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد كان يعتبر بمثابة رئيس القضاة في منطقة القصيم، وليس مجرد قاضٍ في بريدة

وحدها، فكان القضاة يرجعون إليه للعلم، وللاسترشاد وكان المتحاكمون أيضاً يتحاكمون إليه.

عندما جلس الشيخ عبدالله بن حميد لطلبة العلم في ذلك الوقت قد بدأت طلب العلم قرأت قليلاً على شيخنا الشيخ عمر بن سليم رحمه الله لأنني كنت صغير السن عندما توفي، وبعد ذلك قرأت كثيراً على الشيخ صالح بن عبدالرحمن السكيتي قاضي المذنب، وكذلك على الشيخ صالح بن أحمد الخريصي- رحمه الله- فعندما جاء شيخنا اجتمعنا عليه وأنا قرأت عليه أكثر من غيره، وكان له مجالس دروس كثيرة تبدأ من بعد صلاة الفجر ولا تنتهي إلا بصلاة العشاء إذا أقيمت صلاة العشاء انتهت دروس المسجد، ولكن كنا نمر عليه في البيت ويطلب منا أن نقرأ عليه وأن نسمعه بعض الكتب التي عنده وأحياناً يريد أن يبحث عن مسألة فيأمرنا بأن نبحث عن مظان هذه المسألة من الكتب فتأثير الشيخ ابن حميد رحمه الله عليَّ أنا تأثير كبير جداً.

السؤال الثالث:

مثل انتقال الشيخ لمنطقة القصيم منعطفاً هاماً في حياة الشيخ ولنا معه ثلاث وقفات:

الوقفة الأولى: أثر هذا الانتقال على علمية الشيخ رحمه الله ومدرسته؟

ج: بالنسبة لمنقطة القصيم كما كرمتم وذكرتم منطقة مهمة جداً، ولذلك كان الملك عبدالعزيز في جهوده لإعادة الدولة السعودية بتكوين الدولة السعودية

الثالثة كان يعتقد كما يعتقد غيره أن الذي يحكم منطقة القصيم يكون قد حكم منطقة نجد، فالملك عبدالعزيز استعاده بل ظل يجاهد لسنوات حتى استعاده كاملاً وذلك بالاتفاق مع أعيان القصيم وأمرائها، وذلك أمر معروف ومذكور في التاريخ فالمنطقة مهمة جداً.

أما بالنسبة لأثرها على علمية الشيخ لا نستطيع أن نقول إنها أثرت على علمية الشيخ لأنه كان عالماً وصل إلى درجة عظيمة من العلم قبل أن ينقل إلى القصيم، ولكن الشيء الذي اعتقد أنه أثر فيه هو كثرة طلبة العلم الذين درسوا عليه في القصيم أكثر مما كان في البلدان التي كان فيها من قبل.

ومن ذلك أيضاً تربيته لهم كان يربينا تربية حديثة بمعنى أننا إذا كنا في الدرس ثم عرضت مسألة لأحد الإخوان (كان هو أنشأ مكتبة جامع بريدة في المبنى الذي أنشاه الشيخ عمر بن سليم ليضع فيه الكتب ولكن توفي رحمه الله قبل ذلك، والمكتبة تسمى مكتبة بريدة قبل أن يوضع فيها كتب).

والشيخ عبدالله بن حميد عينني أنا قيماً على المكتبة وسميت وظيفتي في ذلك الوقت، (قيم مكتبة جامع بريدة)، وحصلنا بعض الكتب مبدئياً فكان إذا حدثت أي مسألة وهو يريد الاستيضاح فيها في الحلقة العلمية، والحلقة في الإصطلاح تمثل لدى المشايخ نصف دائرة إذا كان فيها خمسة صاروا حلقة، إذا كان الشيخ يقرأ عليه خمسة صاروا حلقة، وإذا كانوا خمسين صاروا حلقة، ما يكون واحد وراء الثاني لأنهم في المسجد الجامع فيتحلقون عليه فأي واحد

في الحلقة يحتاج لمسألة يقول لي الشيخ يا فلان يقصدني لأني أنا الذي معي مفتاح المكتبة إئت بالكتاب الفلاني وابحث المسألة لغوياً يقول: احضر الكتاب إليَّ وأقرأ علي ما ذكره مثلاً صاحب لسان العرب أو صاحب تاج العروس أو النهاية في غريب الحديث أو صحيح البخاري، إذا كان في الدرس نسبة إلى البخاري أو ابن حجر رحمه الله، يعني هو يحضر البحث.

هذا في رأي إنه وسع دائرة تلاميذ الشيخ بطبيعة الحال إذا توسعت دائرة التلاميذ على الشيخ فإن معنى ذلك إنه سيفيدهم أكثر ومعنى ذلك إنه سيستعمل علمه أكثر و العلم إذا استعمله الإنسان فإنه تنفتح له فروع هذا العلم يبحثها، هذه هي الناحية التي أنا أظن أنكم أشرتم إليها، بارك الله فيكم.

الوقفة الثانية شيخنا/ مدى تواصل الشيخ مع علماء القصيم من أمثال الشيخ صالح الخريصي وغيره من العلماء؟

ج/عندما جاء الشيخ عبدالله بن حميد كان العلماء قسمين قسم في مثل سنه أو أكبر منه، هؤلاء كانوا يحضرون الدروس ويستفيدون من الشيخ يحضرون دروسه ويستفديون منه ويطلبون منه أن يفيدهم ويرجعون إليه في المشكلات، وقسم أصغر من هؤلاء كانوا تلامذته، ولكن كان هناك أناس في سنه مثل الشيخ صالح الخريصي- رحمه الله- كما أشرتم إليه فالشيخ ابن حميد حسبما ترجح عندنا أنه ولد في عام ٢٨ حسم ما قال لي شخصياً والشيخ صالح الخريصي ولد سنة ٢٨ فهو في سنه، ومع ذلك قرأ عليه في الحلقة وإن لم

يكن ملازماً له، لأن الشيخ الخريصي عندما جاء الشيخ ابن حميد وبعده عين قاضياً، كان قاضياً في الأسياح، وكان قاضياً في أماكن أخرى.

أما طلبة العلم الآخرون فإنهم كانوا يستفيدون منه ويعتبرون من تلاميذه وإن لم يتفرغوا لذلك، أذكر مثلاً الشيخ عبدالله بن سليمان بن حميد وهو رغم تشابه الاسم بينه وبين الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد ليس بينه وبين الشيخ صلة عائلية، يعني ليس من أسرة الشيخ وإنما هو من أسرة أخرى، فالشيخ عبدالله بن محمد بن حميد أصله من معكال في الرياض، وأما الشيخ عبدالله بن سليمان بن حميد فهو من أهل بريدة، وكان قاضياً لمنطقة جيزان وما حولها، فكان إذا جاء في إجازة إلى بريدة لازم الشيخ عبدالله بن حميد في دروسه، وغيره مثله، كذلك منهم مثلاً الشيخ عبدالعزيز بن صالح الفوزان من أهل بريدة وهو أيضاً تولى القضاء في جيزان مدة طويلة بعد الشيخ عبدالله بن سليمان بن حميد بسنوات، وكذلك المشايخ الكبار كانوا يحضرون دروس الشيخ.

وليس الذي يحضر دروس الشيخ هم طلبة العلم فقط بل يحضرها أناس من المستمعين ومن المحبين للخير لماذا؟

لأن دروس الشيخ ابن حميد كانت تعقد في المسجد والمسجد الجامع كما نعلم بقعة طاهرة فيأتي محب الخير يتوضأ ثم يصلي تحية المسجد ثم يستمع لهذه الدروس والفوائد العلمية وقد يبقى إذا خرج الشيخ ابن حميد لأن الشيخ ابن حميد

كان يجلس في الجامع الجلسة الرئيسية كان يجلس غيرها لكن الجلسة الرئيسية بمعنى الجلوس لطلبة العلم يتحلقون عليه بعد طلوع الشمس بنحو نصف ساعة أو ما قارب ذلك إلى أن تكون الساعة نحو العاشرة ثم يذهب إلى مجلس القضاء في بيته وليس في المسجد.

وأما في المسجد ففيه الدروس فبعدما يخرج الشيخ يصلون ركعتين ثم يذهبون.

فكان يحضر عدد كثير، ومنهم أناس من العلماء وطلبة العلم مثل الشيخ محمد بن صالح المطوع كانوا يحضرون إليه، ومنهم أناس من الزعماء السياسيين الذين فيهم خير يأتون للاستفادة من دروس الشيخ والاستماع إليها ويصلون في المسجد ركعتي المسجد، ويطمعون في أن ينالوا أجر من بقي في المسجد لأن المسجد في الحديث أن المسلم في صلاة ما انتظر الصلاة، أي إذا كان ينتظر الصلاة.

والمسجد كما نعلم البقاء فيه ذكر وخير هذا من أفضل ما يكون بل هذه مجالس الذكر التي وردت في الحديث أنها من رياض الجنة، كما في الأثر: (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا) يعني مجالس الذكر.

بارك الله فيكم شيخنا.

الوقفة الثالثة/ ما أثر انتقال الشيخ على مسار الحياة العلمية في القصيم؟

ج: بالنسبة لعامة الناس فإنهم ينظرون إلى القاضي على أنه يجب أن يكون

عادلاً وهذا متوفر في الشيخ، ويجب أن يكون واسع الأفق حتى يعرف الظروف المتعلقة بالقضايا التي يحكم فيها وهذا كان متوفراً في الشيخ، فهم في الحقيقة كانوا مسرورين من وجوده في المدينة، وكانوا يدعون الله ألا ينتقل عنهم، وهذا أمر معروف لأنهم اعتبروه والداً لهم.

السؤال الخامس:

لدي سؤال عن تعامل الشيخ عبدالله بن حميد التربوي مع تلاميذه وتواصله معهم؟

ج: الشيخ ابن حميد – رحمه الله- كما نعلم مستواه عالٍ بمعنى أنه عالم من العلماء وقاض لمنطقة كبيرة، ومقرب من الملك عبدالعزيز فتعامله مع الناس كان يتعامل مع الكبار من طلبة العلم كأنه أخ لهم.

وبالنسبة للصغار كان تعليمهم عند طلبة العلم الكبار ويقرأ عليه الكبار، فنحن كنا ندرس عليه ألفية ابن مالك في النحو أنا درست عليه ألفية ابن مالك وكنا نحفظها.

السؤال السادس:

لفضيلة الشيخ ابن حميد مكانة رفيعة هل تذكرون بعض عبارات ثناء من العلماء عليه؟

ج: لا أحفظ نصوص هذه العبارات، ولكن أنا أعرف أن العلماء كانوا يثنون على العلماء وحتى غير العلماء، ولو جمع ثناء الناس عليه لوصل إلى مجلدات.

السؤال السابع:

اشتهر الشيخ عبدالله بن حميد بذكائه وقوة حفظه، هل تحتفظون ببعض مواقف لذكائه وشدة حفظه؟

ج: نعم بالنسبة لذكائه ومعرفته عجيبة أنا كما قلت لك هو شيخنا و له الفضل بعد الله سبحانه وتعالى في إقبالي على طلب العلم وفي تكويني العلمي بمعنى قراءتي، فكنت إذا جاء العيد يذهب الناس كلهم كل شخص ذي البال من طلبة العلم أو كبار الأعيان يأتون إلى قاضي بريدة في العيد للمعايدة فيقولون: تقبل الله منا ومنكم، فإذا كان المعايد طالباً للعلم قال: تقبل الله منك، وإذا كان عامياً قال عيدكم مبارك، أو من العايدين.

فاللفظ يكون حسب درجة الشخص الذي يكلم الشيخ ثم يذهبون.

والباب مفتوح ويأتي الناس مئات هذا يدخل وهذا يخرج، لكن بالنسبة لي لأنه شيخنا كنت أجلس، فأنا أجلس من أول الوقت وأنا مبصر ومن أ هل بريدة، ولكن والله إنني لا أعرف أهل بريدة كما يعرفهم الشيخ الذي لا يراهم فكان يجلس فإذا جاء واحد وقال عيدكم مبارك يا شيخ، قال الشيخ ابن حميد: تقبل الله منا ومنك يا قلان، فيأتي واحد يقول يا شيخ تقبل الله إذا كان طالب علم، فيجيب الشيخ: تقبل الله منا ومنك يا فلان، فكان يعرفهم أكثر مما يعرفهم المبصرون!! وهم مئات إن لم يكونوا آلافاً من الأشخاص.

السؤال الثامن:

مثلت العدالة والنزاهة سمة بارزة في أقضية الشيخ، ما أثر هذه النزاهة على قلوب الناس وقبولهم بما يصدر عنه؟

ج: أنا قلت لك فيما تقدم إن الناس يقتنعون بأحكام الشيخ عبدالله لأن الشخص المنصف، إذا عرف أن القاضي ليس له ميل مع خصم من الخصوم وإنما هو ينشد الحق، فحتى لو حصل للقاضي سهو أو ما أشبه ذلك لا يؤاخذه وإن كان لا يصبر على هذا السهو وينبه إليه، فالشيخ ابن حميد معروف من هذه الناحية.

أما عن سؤالك الشخصي الحر في وهو أثره على القضاء فالقضاء الحمد لله كان مستمراً من زمن الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحتى زمن ضعف الدولة السعودية كان فيه طلبة العلم من تلاميذ الشيخ وتلاميذ تلاميذه من آل الشيخ وأمثالهم كانوا على درجة من التقوى وحسن التعامل مع القضاء، ولكن الشيخ ابن حميد كما قلت لك رجل متميز في مثل هذه الأمور.

السؤال التاسع:

لو طلب منكم مقولة جامعة في وصف الشيخ عبدالله بن حميد فبماذا تصفونه أحسن الله إليكم؟

ج: أقول إنني لا يمكنني أن أصفه في مقولة جامعة في كلام قصير.

السؤال العاشر:

ما هي أكبر منقبة كانت تميز الشيخ في زمانه ترونها جمعت للشيخ عبدالله بن حميد مميزات واضحة؟

ج: الشيخ عبدالله بن حميد كما قلت هو قاض لبلد كبير وزيادة على ذلك هو مرجع للقضاة في المنطقة فهم يرجعون إليه في المسائل العلمية ليس معنى ذلك لأنهم مرتبطون به بمعنى أنهم لا يستطيعون أن يبيتوا في قضية إلا بعد أن يستشيروه، فهو مرجع لهم ولطلبة العلم، فهو من هذه الناحية أثره عظيم على الناس وهو نفسه أهل للتوجيه والتأثير على الناس، ولأن الناس كما قلت دائماً يريدون العلم والإنصاف والعدل.

السؤال الحادي عشر:

ما مدى علاقتكم بالشيخ عبدالله بن حميد وتواصلكم معه بعد انتقاله إلى منطقة مكة المكرمة؟

ج: الشيخ ابن حميد رحمه الله كان إذا أراد السفر كان يأمر علي أن أسافر معه ليس في كل السفرات ولكن في كثير من السفرات أذكر أن أولى السفرات معه كانت في عام ١٣٦٧هـ كنت صغيراً في ذلك الوقت ولم يكن لي عمل إلا أن أقرأ عليه في بعض الكتب.

وأما في عام ١٣٧٢هـ في مكة المكرمة فالمسألة تطورت أكثر من ذلك فقد تقدم أناس من أهل مكة المكرمة إلى الملك عبدالعزيز في آخر حياته رحمه الله، قالوا:

إن القضايا عندنا تتخلف في المحاكم أحياناً تبقى عشر سنين واثنتي عشرة سنة، وفي نجد القضاة يبتون في القضايا في أيام قلائل مع أننا مملكة واحدة، وشكوا من تأخر القضايا، فأمر الملك عبدالعزيز الشيخ عبدالله بن حميد بأمر رسمي كتابي بأن يذهب إلى الحجاز لإنهاء القضايا القديمة في محاكمها، ويأخذ معه اثنين أو ثلاثة من طلبة العلم يساعدونه في هذه المهمة، فالشيخ عبدالله بن حميد اختار هؤلاء الثلاثة أحدهم الشيخ/ عبدالله بن سليمان بن حميد كان قاضي منطقة جيزان، والثاين أنا، والثالث الشيخ/ علي بن عبدالعزيز العجاجي.

ولكن الشيخ علي العجاجي عمله الأساسي بمثابة مدير لشئون الشيخ وللرحلة إضافة إلى مصاحبة ا لشيخ فهذه مهمة جداً لأننا بقينا في مكة وحدها سبعة شهور وجدنا القضايا قديمة كثيرة ومتشعبة، كما وردت أوامر بالنظر في قضايا أخرى هناك.

السؤال الثاني عشر:

تميز منهج الشيخ عبدالله بن حميد الفقهي بالاجتهاد وترك التقليد ما هي أهم ملامح هذا المنهج لدى الشيخ عبدالله بن حميد؟

ج: أولاً الشيخ عبدالله بن حميد لا يدعي الاجتهاد، لا أذكر أنه قال عن نفسه: إنه مجتهد، وكذلك لم أسمع منه مرة واحدة على كثرة ما سمعت منه وقرأت أنه أنكر الأخذ بالتقليد، ولكن هو نفسه بسبب محبته للبحث يبحث عن أدلة المسائل كلها فإذا وجد أن المسألة فيها دليل راجح قال هذا أرجح والحق أحق أن يتبع، فكان يتبع الأرجح ولكن ليس

ذلك في القضايا التي تتعلق بالناس لأن القضايا التي تتعلق بالناس قواعدها: (البينة على المدعي واليمين على من أنكر)، و(الأصل البراءة) و(الحكم هل يكون بالظاهر أو على الأصل) يعني هناك قواعد شرعية كان متفقاً عليها.

السؤال الخامس عشر:

تميز منهج الشيخ عبدالله بن حميد في التعامل مع الولاة بأمرين: الأمر الأول المناصحة، والأمر الثاني: الإجلال والتقدير: كيف استطاع الشيخ عبدالله بن حميد أن يوفق بينهما؟

ج: أولاً الشيخ عبدالله بن حميد من العلماء العاملين المتمسكين، والعلماء في نجد أنا أقصد الذين عاصرناهم نحن عاصرنا طائفة كبيرة من العلماء بعضهم درست عليهم وبعضهم عرفتهم، كان أهم ما يضعه العالم أمام عينيه هو أن يرضي الله سبحانه وتعالى، وكثير منهم يبتغي مرضاة الله عن طريق مناصحة ولي الأمر، وعن طريق تنبيهه إلى ما يرى أنه ينبغي أن ينبه عليه فالشيخ عبدالله بن حميد من هذه الناحية، لا يمكن للشيخ ابن حميد وأمثاله، أن يتعاملوا مع الحاكم على غير هذا الأساس، أذكر مرة الشيخ ابن حميد كان حدثني عن نفسه وحدثني غيره أن رجلاً منهم جاء إلى الشيخ عبدالله بن حميد وقال سأشتكي عليك الملك عبدالعزيز آل سعود، الملك عبدالعزيز ظلمني!

فقال له الشيخ ابن حميد: إذا جلست مع الملك عبدالعزيز أنا ما عندي مانع إذا كنت طلبت ذلك، لأن الشيخ ابن حميد ليس جهة تنفيذية، الجهة التنفيذية الملك عبدالعزيز، ولكن لا يتهيب واحد أن يأتي إلى الملك عبدالعزيز يقول: يا عبدالعزيز أنا لي عندك دعوى شرع، أو يأتي يقول: أنا ولدي له دعوى شرع معكم، فالملك عبدالعزيز لا يقول له (لا) فجاء الرجل إليه وقال: أنا عندي دعوى شرع عليك، أنا وأنت والشرع، فقال الملك عبدالعزيز: ما فيه بأس ماذا تدعي عليَّ؟ فقال أنا أدعي بكذا وكذا، قال الملك عبداتلعزيز: لا ليس الأمر كذلك، فراوا ذهابه للشيخ عبدالله بن حميد فلما جاء عنده يقول الشيخ عبدالله بن حميد: إني قلت للملك عبدالعزيز بأن أوصيت إليه شخصاً إنه يجب أن يجلس مع خصمه.

طبعاً الملك لديه مشاغل وعنده مسؤوليات، ولكن يجب أن يجلس مع خصمه أمام الشيخ عبدالله بن حميد، قال: فأرسل إليَّ الملك عبدالعزيز إبراهيم الشايقي وهو مسئول عن علاقات الملك عبدالعزيز مع المشايخ وقال: سلم لي على الشيخ عبدالله بن حميد وقل له: أنا لست بمتفرغ وقد وكلت من يقوم مقام حضوري في الدعوى كما هو المتبع عندكم بالتوكيل، فإن حكم علي بلغني بالحكم وأنفذه، وإن حكم لي أنفذه.

قال الشايقي: فقلت ذلك للشيخ فقال الشيخ: لا مانع إذا وكل الملك فهو مثل أي واحد يوكل.

فحضر وكيل الملك عبدالعزيز وحكم الشيخ ابن حميد على الملك عبدالعزيز في هذه المسألة.

السؤال الرابع عشر:

كان تأسيس الشيخ لمكتبة بريدة أثر علمي واضح هل لكم أن تعطونا نبذة مختصرة عنها؟

ج: المكتبة الحديث عنها طويل وقد تكلمت عليها في حديث مع الدكتور محمد بن عبدالله المشوح وسجله في كتاب عنده لأني تكلمت أيضاً عن الشيخ ابن حميد في كتابه، تكلمت معه وأذاعه في الإذاعة لأنه كان يمثل الأذاعة ثم نشره في كتاب اسمه / محمد العبودي عميد الرحالين.

هذا الكتاب ستجد فيه أشياء وهو يفيدك لأنه مطبوع يعني تذكر بالرقم والصفحة فالكتاب إذا طبع أصبح ملكاً لكل من يطلع عليه يبدي رأيه فيه ويعتبر وثيقة، فأنا أرى أن ترجع إليه وكذلك فيما يتعلق بالمكتبة لما انتهى المبنى الجديد للمكتبة في شمال بريدة وافتتحه الأمير سلطان بن عبدالعزيز- قبل سنتين جزاه الله خيراً، طلبت مني إدارة التعليم في القصيم أن أكتب نبذة عن المكتبة لأنني أول من تعين في هذه المكتبة فكتبت تلك النبذة وجعلوها مطوية وهي موجودة في إدارة التعليم بالقصيم تستطيع أن تكتب لهم يعطوك إياها.

السؤال الخامس عشر:

ما أثر وقع وفاة الشيخ عبدالله بن حميد عليكم خصوصاً وأنتم من أقرب التلاميذ إليه؟

ج: الحقيقة أثره مثل أثر وفاة والدي رحمه الله لكن الفرق بينهما أن والدي رحمه الله أثره علي وعليَّ إخواني وعلى أسرته، لكن الشيخ ابن حميد أثر وفاته على جميع الشعب في المملكة العربية السعودية، لأنه عالم والعالم هو موضع إجلال من الجميع وهو كذلك.

السؤال السادس عشر:

لولاة الأمر حفظهم الله أيادٍ بيضاء في خدمة مسيرة العلم ورعاية أهله، كيف كانت علاقة ولاة الأمر مع العلماء وخصوصاً فضيلة الشيخ عبدالله بن حميد- رحمه الله؟

ج: أنا ذكرت لك أن المشايخ الذين نعرفهم مشايخنا علاقتهم مع ولاة الأمر كما أمر بها الدين الإسلامي والسلوك الإسلامي.

أولاً: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وهم يعرفون الحق، فالملك عبدالعزيز رحمه الله طالب علم، ولا يمكن أن يأمر بشيء يخالف الشرع، لكن لو أمر بشيء ظاهره يتعارض مع شيء من قواعد الشرع، فإنهم ينبهونه ويرجع إلى ما يقولونه فالعلاقة كانت علاقة جيدة لأنهم هم يحترمون الملك

عبدالعزيز على اعتبار أنه ولي الأمر وهو يحترم طلبة العلم لمقامهم وأثرهم الطيب على الناس.

السؤال السابع عشر:

هل لكم في نهاية هذا اللقاء كتاب أو وصية أو حديث أو وثيقة تخصون بها الباحث تعينه في مسيرة بحثه؟

ج: أنا كما أنتم أشرتم إليه عندي قيودات عن الشيخ عبدالله بن حميد، سوف أصدرها في كتاب إن شاء الله، لأنه لي بمثابة الوالد وليس ذلك فحسب، ولكن لأنني عرفته معرفة ربما أكثر من غيري لأني اطلعت على كتبه والرسائل التي عنده ورافقته في السفر و في الحضر وقرأت عليه أما وثائق أسلمها ليس عندي الآن شيء.

اللقاء الثاني:

هذه هي الأسئلة:

فضيلة الشيخ العلامة محمد بن ناصر العبودي حفظه الله

نكمل معكم حديثنا حول فضيلة الشيخ عبدالله بن حميد- رحمه الله- ومسيرته الدعوية فأهلاً وسهلاً بكم.

إلتفاتة هامة: بالنسبة لنسب الشيخ عبدالله بن حميد- رحمه الله- يذكرون أن بني خالد يرجعون إلى عامر بن صعصعة، وذكر الشيخ حمد الجاسر أنهم يرجعون إلى قيس بن ربيعة أي من العمور من بني عبد القيس من بني أسد بن ربيعة بن نزار.

فيما ذكر الشيخ عبالله البسام أنهم من قيس عيلان أي تنتسب إلى عقيل بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن- من قيس عيلان من مضر بن نزار، أرجو افادتي بما ترون أقرب للصواب.

السؤال الأول: شيخنا حفظكم الله- نستميحك عذراً في أن نعود قليلاً لبريدة وتحديداً للمكتبة التي كنتم قائمين عليها، ما أثر انشاء الشيخ للمكتبة على طلبة العلم، وحديثي هنا يدور على محورين:

المحور الأول: اهتمام الشيخ بطلبة العلم وتلمسه لحاجاتهم صرفه للمساعدات العينية والحسية لهم؟

المحور الثاني: استجلابه الكتب الكثيرة من خارج بريدة، ومكاتبته لولاة الأمر في ذلك؟ وما أثر ذلك على تهيئة الأجواء المناسبة للتلقي عند الطلبة؟

السؤال الثاني: ذكرتم في ختام اللقاء الأول عن رحتكم مع الشيخ- رحمه الله- إلى مكة هل لكم أن تحدثونا عن سر عمل الشيخ في القضايا التي واجهها.

في عام ١٣٨٤هـ عين الشيخ في رئاسة الإشراف الديني بالمسجد الحرام وكنتم آنذاك وتحديداً بتاريخ ١٣٨٤/٤/٤هـ قد ابتدأتم رحلاتكم الدعوية للبلدان الإسلامية فهل تأثرت علاقتكم بالشيخ نظراً لكثرة أسفاركم فيما بعد؟

السؤال الثالث: شيخنا عافاكم الله اشتهر الشيخ- رحمه الله- بردوده ورسائله على المخالفين وكانت أغلب مؤلفاته إما ردوداً أو رسائل، وقد امتاز الشيخ بنقده الموضوعي ورده الهادف، ما الذي ترونه مميزاً للشيخ في كثرتها وتنوع مواضيعها؟

السؤال الرابع: تميز الشيخ- رحمه الله- بالإفتاء والقيام به عبر وسائل الإعلام المختلفة، وله في ذلك تسجيلات كثيرة، كيف كانت نظرة الشيخ لهذه الوسيلة الهّامة من وسائل الدعوة إلى الله وتبليغ الدين؟

السؤال الخامس: عرف الشيخ- رحمه الله- بتلمس حوائج الناس وقضائها، ما أثر هذه الصفة على قبول الناس للشيخ واحتفائهم به؟

السؤال السادس: انتسب الشيخ- رحمه الله- في العديد من المجالس والهيئات الإسلامية، فكان خير سفير للدعوة إلى الله، ما أهمية هذا الانتساب في ظل توافد الحجيج، وتعدد القادمين إلى الرحاب الطاهرة؟

السؤال السابع: للشيخ- رحمه الله- دروس كان يعقدها في رحاب المسجد الحرام، كيف كان أثر انتقال الشيخ إلى مكة وتوليه رئاسة شئون المسجد الحرام وهو أعلى مكانة تهم الساكنين الحجيج والقاصدين لبيت الله الحرام.

السؤال الثامن: في عام ١٣٩٤هـ انتقلتم للعمل بالأمانة العامة للدعوة الإسلامية، وكان الشيخ- رحمه الله- رئيساً للمجلس العالي لإعداد الدعاة، حدثونا عن بعض الجوانب الدعوية في حياة الشيخ؟

السؤال التاسع: علق صاحب السمو الملكي الأمير ماجد بن عبدالعزيز- رحمه الله- على وفاة الشيخ بقوله (انها خسارة كبيرة) فما أثر وفاة الشيخ على الحياة العلمية بالمملكة العربية السعودية؟

وكانت أجوبة اللقاء الثاني بما لا يبعد عن أجوبة اللقاء الأول وغيره مما تقدم بعضه لذا لن أذكرها هنا، وربما كان السائل الأخ الشيعاني قد ذكرها في كتابه.

إجابة لأسئلة الشيخ القاضي الدكتور محمد بن عبدالرحمن المقرن حول الشيخ عبدالله بن حميد:

الحمد لله رب العالمين، و صلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد.

فإنني أحمد الله عز وجل أن وفق صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن عبدالرحمن المقرن إلى اختيار هذا الموضوع الذي ينعلق بشيخنا ووالدنا والمربي لنا ليكون موضوع أطروحته لنيل الدكتوراه، فالشيخ/ عبدالله بن محمد بن حميد، رحمه الله، يعد شخصية (عالمية) وهو شخصية شملت بعلمها عدداً من طلبة العلم، والمشايخ، والقضاة على مستوى المملكة، وما أنا إلاَّ أحد تلاميذه وكان يخصني بمزيد من العناية، وكان يطلب مني أن أرافقه في السفر إلى الرياض وغيرها، وقد رافقت الشيخ عبدالله بن حميد في رحلة استغرقت تسعة أشهر، وذلك حين شكا عدد من أعيان المنطقة الغربية للملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله تأخر البت في القضايا في بعض محاكم الحجاز، وذكروا أن بعض القضايا تمكث عشر سنين أو نحوها دون حسم، وكان ذلك في عام ١٣٧١هـ، فأمر الملك عبدالعزيز رحمه الله بأن يذهب صاحب السماحة الشيخ عبدالله بن حميد لإنهاء تلك القضايا المتأخرة، وقد كتب له الملك عبدالعزيز برقية بأن يكون معه لجنة من طلبة العلم تساعده ويختارها هو ويكون عددهم اثنين أو ثلاثة لمساعدته في هذه المهمة التي هي إنهاء القضايا القديمة في محاكم الحجاز.

وهي تشمل كلاً من: مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وجدة، والطائف.

فاختار الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله تعالى ثلاثة من طلبة العلم هم: الشيخ عبدالله بن سليمان بن حميد، وكان في ذلك الوقت رئيساً لمحاكم جيزان، وليست له قرابة نسب بصاحب السماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد رحمه الله، والثاني: الشيخ علي بن عبدالعزيز العجاجي، من كبار طلبة العلم في بريدة، وأنا الثالث: محمد بن ناصر العبودي.

ثم أبرق الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله للشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ، رئيس القضاة بأن الشيخ ابن حميد سيأتي لإنهاء القضايا المتأخرة في بعض محاكم المنطقة الغربية وحدِّدت بأنها ا لقضايا التي مرت عليها خمس سنوات في المحاكم فأكثر.

وكان الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله رجلاً حازماً وعنده صبر وجلد إلى جانب تبحره في الفقه، ومرانه على القضاء فأنهى كثيراً من القضايا ، وكنا نساعده فقط، أما القضاء فكان بيده.

فكان الشيخ عبدالله على سبيل المثال يأمرني، وكنت أصغر المساعدين له سناً أن أراجع المسائل في كتب الفقه في المراجع كما كنت أقرأ عليه الحجج والصكوك الطويلة المكتوبة بخط اليد.

كذلك كان الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، رحمه الله، رجلاً قوي الشخصية وحازماً حتى أنهى كثيراً من المعاملات المتأخرة.

بعد ذلك قبل النظر في المعاملات التي مضت عليها ثلاث سنوات دون أن تبت فيها المحاكم، فكانت تحال للشيخ رحمه الله.

وقد جلس في مكة ونحن معه قرابة ستة شهور لإنهاء تلك القضايا والمعاملات المتأخرة المتعلقة بها.

وكانت مكة في ذلك الوقت لا يوجد بها كهرباء، وكان بها بعوض كثير وقد هيأت لنا الحكومة سيارتين: سيارة للشيخ وسيارة للهيئة المساعدة، إضافة إلى بيت ضيافة وضيافة سخية يومية للوجبات الغذائية، وكنا بعد صلاة العشاء في المسجد الحرام نخرج لما يسمى آنذاك بحوض البقر، وهو الآن شمال العزيزية، ولم يكن فيه سكَّان، بل ليس فيه أنيس ولا نور، ولا يمر به أحد، و لكن الهواء به طلق فكنا نخرج إليه هرباً من البعوض وننام إلى أذان الفجر حيث نعود لأداء الفجر في المسجد الحرام، ثم بعد ذلك انتقلنا إلى الطائف وجلسنا فيه أربعين يوماً لإنهاء القضايا القديمة.

وبعد ذلك ذهبنا إلى جدة ومكثنا فيها خمسين يوماً، ثم ذهبوا إلى المدينة المنورة، ولكنني لم أذهب معهم إليها لأنني كلفت من صاحب السماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رئيس الكليات والمعاهد العلمية آنذاك بافتتاح المعهد العلمي في بريدة وإدارته، وكان ثاني معهد يفتح في المملكة بعد المعهد العلمي في الرياض.

وكان الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله شيخي وقد تخرجت به، ومعظم استفادتي في العلوم المختلفة كانت من الشيخ عبدالله سواء في الفقه أو النحو أو غيره من الفنون.

وكان الشيخ عبدالله عصامياً فقد توفي والد الشيخ وعمره قرابة سنتين وكذلك والدته توفيت، فكفلته إحدى المحسنات، وقد كُفَّ بصره وهو صغير فلم يفتَّ ذلك

في عضده رحمه الله، ولم يثنه عن طلب المعالي إذ كان موسوعياً، فكان من ذلك أنه يهتم بأنساب الناس، وبجميع أنواع المعرفة وكان مما سألته في إحدى المناسبات عما سمعت به من أن نسبه يتصل بآل حميد الذين كانوا من كبار بني خالد وكانوا حكام الأحساء أذلك صحيح أم لا؟

فقال الشيخ: كنت صغيراً عندما مات والدي ولا أعرف هذا بالضبط، وهذا من ورعه رحمه الله، وإلا فإن الذي ذكره لي عدد من العارفين بالرياض صحة ما ذكرته.

وقد عينه الملك عبدالعزيز قاضياً للرياض وهو صغير، وكان الشيخ ابن زاحم رئيس محكمة الرياض، ثم أرسله إلى سدير في مهمة قضائية صعبة لوجود أملاك قديمة.

وكان من أنبغ وأبرز طلاب شيخه العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم مع الشيخ ابن باز رحم الله الجميع، وهو أكبر من الشيخ ابن باز بسنتين حيث ولد هو في عام ١٣٢٨هـ والشيخ ابن باز في عام ١٣٣٠هـ.

وقد قال لي مرة: إنني بلغني أن أحدهم يريد أن يخاصم الملك عبدالعزيز في المحكمة لوجود مشكلة يدعي فيها حقاً له لدى الملك عبدالعزيز، وقال: جاءني الرجل وقال: أنا عندي خصومة مع الملك عبدالعزيز، قال الشيخ: أنا ما عندي أي مانع إذا تخاصمتما عندي، وأمر الملك أن أنظر في القضية مثل أية خصومة أخرى ثم ذهب الرجل وقال للملك عبدالعزيز: أنا سأخاصمك عند الشرع، فأرسل الملك عبدالعزيز للشيخ عبدالله قائلاً: إن هذا الرجل يريد أن يخاصمني وأنا رجل مشغول، فهل إذا وكلت أحداً يكفي ذلك عن حضوري؟

فقال الشيخ ابن حميد رحمه الله: نعم مثلك مثل أي شخص آخر يوكِّل غيره في قضية.

فحضر وكيل الملك عبدالعزيز إلى المحكمة وحكم الشيخ على الملك عبدالعزيز.

في عام ١٣٦٢هـ في شهر ذي الحجة توفي قاضي القصيم الشيخ عمر بن محمد بن سليم وكان من كبار العلماء فلما توفي وقد كان قاضياً وشيخاً لكبار طلبة العلم الذين كان منهم قضاة وعلماء كبار ويحتاج الأمر إلى شيخ مثله ليحل محله فأرسل الملك عبدالعزيز آل سعود الشيخ عبدالله بن حميد رحمهما الله إلى بريدة في بادئ الأمر مدرساً فقط، وعين الشيخ محمد بن عبدالله بن حسين من أهل بريدة قاضياً فيها.

فجاء الشيخ عبدالله من سدير إلى بريدة وبقي ثلاثة أشهر وسبعة عشر يوماً في بريدة ثم عاد إلى الرياض.

وبعد فترة عزل الملك عبدالعزيز الشيخ محمد بن عبدالله بن حسين عن قضاء بريدة حيث نقل إلى عنيزة فأرسل الملك عبدالعزيز الشيخ ابن حميد عام ١٣٦٣هـ في آخر شعبان إلى بريدة قاضياً وشيخاً لطلبة العلم في بريدة فحضر الشيخ فقرأنا عليه وكنت من أصغر طلابه، وقد ملأ المكان الذي شغر بوفاة الشيخ عمر بن محمد بن سليم، وأوجد طريقة جديدة في المناقشة والبحث في حلقات الدروس.

من صفاته:

من صفات الشيخ عبدالله بن حميد قوة الشخصية وسرعة الاستنتاج، ولذلك كان المتخاصمون يحسبون للشيخ حساباً، وماذا يقول لهم، لانه يقول من أجل الوصول إلى الحقيقة أشياء لا يظنونها.

فمثلاً: كان شخص يقال له ابن خضير تاجر من تجار بريدة في سوق الإبل واشترى من شاب من جهة شمال المملكة عشراً من الإبل، أو نحو هذا العدد، بمبلغ طيب من المال فلما باع عليه، جاء ناس ممن يحسدون ابن خضير إلى صاحب الإبل وقالوا له: (هذا غبنك، إبلك تجيب مال أكثر) فجاء أبوه وقال: يا شيخ هذا ولدي والإبل لي، وقد أخذها ابني سرقة وباعها على ابن خضير وأريد أن استعيدها، فسكت الشيخ عبدالله ثم قال: ما تقول؟ قال: أقول: سرقها لم آمره ببيعها ولذلك أطلب إبطال بيعها.

فالشيخ ابن حميد يهدد كما هدد سليمان بن داود المرأتين اللتين اختصمتا عنده في طفل كل و احدة تقول إنه ابني، فقال سوف نشرحه قسمين، فقالت الأم الحقيقية للطفل: لا تفعل هو ابنها، فقضى به لها.

قال الشيخ ابن حميد له: أنت تقول إنه سرقها، قال: نعم، قال: الآن يسمعون خمسة أو ستة يشهدون عليك أنك أقررت على ابنك بالسرقة فإذن نقطع يده، فقال: لا لا يا شيخ أنا قلت له يبيعها، والله ما سرقها مني!!

من صفاته رحمه الله: الذكاء فقد سأله أحد طلبته في حلقة العلم عن السلام على المأموم والإمام يخطب يوم الجمعة، فقال: السلام على المأمومين ليس مشروعاً والإمام يخطب، فقال أحدهم: ألا يسلم عليه سراً؟ فقال الشيخ: وهل يسمعه؟ وكيف يعرف أنه سلم عليه إذا كان ذلك سراً؟

وكان من صفاته رحمه الله محبة التعبير الأدبي فكان إذا مرّ عليه بيت شعر غريب أو لفظ غريب يعجب منه و يكرره مثل البيت الذي قيل في رجل خفيف العقل:

لو أن خفة عقله في رجله سبق الغزال ولم تفتّه الأرنب

مكانة الشيخ الفقهية:

كان الشيخ قاضياً بل مرجعاً للقضاة في منطقة القصيم، وكان القضاة يلجأون إليه في السؤال عن مسائل القضاء المشكلة عندهم.

وكان فقيهاً حقاً وقد قرأت أنا عليه عدة كتب في الفقه منها: كتاب مخطوط وهو (غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى) لمرعي بن يوسف الحنبلي، وذلك قبل أن يطبع، وكان مؤلفه إذا ذكر مسالة في الفقه وله فيها رأي لم يذكره صاحب الإقناع والمنتهى قال: ويتجه كذا، وكانت تسمى (اتجاهات مرعي).

وكنا نقرأ عليه في مفردات الإمام أحمد بعد صلاة المغرب حفظاً.

كما كنا نقرأ عليه في (الرحبية) في الفرائض حفظاً، وكان رحمه الله في هذا الفن عجيباً جداً وخصوصاً في باب العول، وباب المناسخات وهما أصعب ما يكون على الطلبة، لأن المناسخات تحتاج إلى عملية حسابية، وذهن ثاقب، والعول يحتاج إلى فقه، فكان إذا ذكر صاحب (الرحبية) مسألة في العول قال الشيخ: يا فلان: اقسم، مات رجل عن كذا وكذا، ثم يقول للآخر: اقسم، ويطرح الشيخ على الطلبة بنفسه ثلاثين صورة أو نحوها من صور العول غير التي ذكرها صاحب الرحبية، وكذلك المسائل الفرضية الأخرى.

وكان يناقشنا في المسائل الفقهية، ولا يترك المسألة تمر حتى يفهمها أكثر الطلبة، وكان إذا وردت مسألة فقهية غامضة قال: انظر ما هو قول الحنفية والمالكية والشافعية، لأنه توجد عند الحنفية تفريعات فقهية لا توجد عند المذاهب الأخرى لأنهم أصحاب رأي، وأتباعهم أكثر وانتشارهم أوسع.

ولم يكن الشيخ مذهبياً بمعنى أنه لا يخرج عن المذهب الحنبلي الذي كان يسير عليه على وجه العموم، فدعوى أنه لا يخرج عن المذهب غير صحيحة، فكان يبحث عن الدليل في بعض المسائل، ولكن لا يدعو أو يتظاهر بترك المذهب، لأنه يخشى أن ينفلت الأمر بالنسبة للقضاة و طلبة العلم، فإذا كان يرى أن الراجح في مسألة معينة خلاف المذهب فإنه يقول: الراجح كذا وهو أسعد بالدليل، وما يقال من بعضهم من وصف شيخنا الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد بأنه مذهبي، فإن هذا غير صحيح، ولكنه لا يرى الخروج عن المذهب ضبطاً للأمور والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

محمد بن ناصر العبودي

وكتبت إليَّ الأستاذة الفاضلة ابتسام بنت ناصر بن عبدالعزيز اللهيم بأنها تعد رسالة ماجستير بعنوان (جهود الشيخ العلامة عبدالله بن محمد بن حميد- رحمه الله- في تقرير العقيدة).

وتطلب شيئاً من المعلومات عن ذلك وقد اجبتها كتابة مختصرة على رسالتها وهذا نص الرسالة وجوابها:

بسم الله الرحمن الرحيم

معالي الشيخ الدكتور/ محمد بن ناصر العبودي وفقه الله لما يحب ويرضى

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد:

أنا الطالبة ابتسام بنت ناصر بن عبدالعزيز اللهيم

متخرجة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، من كلية أصول الدين بالرياض، في الفصل الدراسي الثاني من العام الجامعي (١٤٢٤/١٤٢٥هـ)، بتقدير عام (ممتاز) ومعدل تراكمي (٤,٧٢) انتظاماً.

وأفيد معاليكم بأنني أجتزت السنة التمهيدية من مرحلة الماجستير في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

وأفيد معاليكم أيضاً بأن مجلس الدراسات العليا قد وافق في جلسته (الثامنة عشرة) المنعقدة بتاريخ ١٤٢٧/٣/١٧هـ على الموضوع الذي تقدمت به إلى قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة لنيل درجة (الماجستير) بعنوان: (جهود الشيخ العلامة عبدالله بن حميد رحمه الله في تقرير العقيدة).

كما وافق على إسناد الإشراف إلى فضيلة الأستاذ الدكتور محمد بن عبدالرحمن الخميس الأستاذ بالكلية.

آمل من فضيلتكم التكرم بإفادتي عن هذا الموضوع ولكم جزير الشكر.

ابتسام بنت ناصر العبدالعزيز اللهيم

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأخت الفاضلة ابتسام بنت ناصر بن عبدالعزيز اللهيم

حفظها الله

سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد تسلمت كتابك الكريم الذي يفيد موافقة مجلس الدراسات العليا في كلية أصول الدين في الرياض، على أن يكون موضوع رسالتك لنيل شهادة الماجستير بعنوان (جهود الشيخ العلامة عبدالله بن محمد بن حميد رحمه الله في تقرير العقيدة).

فأهنئك على ذلك لأن الموضوع مهم وشيخنا الشيخ عبدالله بن حميد من المشايخ الموسوعيين- إن صح التعبير- بمعنى أنه عالم علامة في علوم شرعية كثيرة.

وبناء على طلبك كتبت لك كلمة عن جهوده رحمه الله بالنسبة لتقرير العقيدة سائلاً المولى تعالى أن يأخذ بيدك إلى التوفيق والنجاح.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وهذه هي الكلمة

جهود الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد في تقرير العقيدة:

بقلم: تلميذه محمد بن ناصر العبودي

منذ أن قدم شيخنا العلامة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد إلى بريدة منقولاً من قضاء ناحية سدير في عام ١٣٦٣هـ، وهو يجلس لطلبة العلم أو على الادق للمشايخ لأن طلبة العلم الصغار في بريدة كانوا يجلسون لطلب العلم على من هم دونه رتبة، ثم من يتأهل منهم بحصوله على جانب من العلم ويتبين أنه أهل للدراسة على كبير المشايخ الشيخ عبدالله بن حميد يصبح من تلامذته.

وشيخنا رحمه الله يعقد الدروس العلمية في اليوم الواحد أكثر من مجلس فبعد صلاة الفجر مباشرة إلى طلوع الشمس هناك درس، ثم يذهب مع طلوع الشمس إلى بيته لتناول القهوة ثم يعود للمسجد الجامع بعد ذلك بنحو ساعة أي ما يقارب الثامنة في أوقات الاعتدال، ويستمر ذلك نحو ساعتين وبعد صلاة العصر هناك درس وحلقة واسعة.

أما ما بعد المغرب إلى صلاة العشاء، فإن ذلك متصل، فلا يخرج الشيخ من الجامع إلا بعد صلاة العشاء.

وكل ذلك يتم بمناقشة علمية يقرر فيها الشيخ ما يراه من معاني القرآن الكريم والتفسير، والعقيدة الصحيحة، وغيرها من العلوم.

ومن المقررات التي كان الطلبة يدرسونها متن العقيدة الطحاوية ويعزز ذلك بقراءة شرح العقيدة الطحاوية المشهور بين أكثرية الطلبة وهو مطبوع ورسائل شيخ الإسلام ابن تيمية كالتدمرية والحموية.

هذا إلى جانب دراسة (فتح المجيد شرح كتاب التوحيد) للشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحم الله الجميع.

هذا بصفة أساسية، وأما بصفة مشتركة بين العلوم فإن الشيخ عبدالله لم يكن يترك فرصة للبحث في معاني العقيدة السلفية بحثاً مدعماً بالأدلة إلا وينتهزها بإيضاح ذلك للطلبة.

وكان يأمر بعض الطلبة بقراءة الكتب التي توضح العقيدة السلفية وترد على المخالفين لها مثل (الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة) للإمام ابن القيم.

وهذا في الحلقات التي تتألف من عشرات الطلبة بل من كبار الطلبة يكون مع كل واحد منهم كتاب من كتب التفسير أو الحديث أو العقيدة أو الفقه يقرأ حصة منه على الشيخ في كل يوم فيفسرها الشيخ بل ويناقشها وباقي الطلبة يسمعون، وإذا أشكل على أحد منهم فهم شيء سألوه إيضاح ذلك.

هذا بالإضافة إلى المستمعين من المحبين للعلم، ومن كبار السن من الطلبة الذين يحضرون دروس الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد للاستفادة وحصول

الثواب لحضور حلق الذكر والعلم التي يعقدها الشيخ كلها في المسجد الجامع الكبير في بريدة الواقع في قلب المدينة القديمة.

ولقد أثمر تعليمه ثمرة عظيمة إذ صار معظم الطلبة يستحضر الأدلة على ما يتعلق بالعقيدة، ولا يقتصر على مجرد التسليم بالمبادئ.

ولئلا نغمط العلماء الذين أصغر منه حقهم نقول بأنهم يعقدون عشرات من الحلق العلمية في المساجد الأخرى غير الجامع وهي كثيرة في بريدة في العهد الذي جاء فيه الشيخ عبدالله بن حميد إليها وهو عام ١٣٦٣هـ، وأكثرها يعقد بأمره ويقبل عشرات الطلبة الصغار بل مئات منهم على دروس المشايخ الذين هم أقل رتبة في العلم من الشيخ عبدالله بن حميد وعلى الحلق العلمية التي يدرسون فيها كتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب مثل (الأصول الثلاثة) و(كشف الشبهات) و(كتاب التوحيد).

ولذلك كان من يرتقي في العلم أو يبرز في حدة الفهم في هذه الكتب يكون من تلامذة الشيخ عبدالله بن حميد لأنه تكون لديه ذخيرة ممتازة من المعرفة بأصول العقيدة وإن كانت معرفة مجملة غير معللة وأحياناً لا تكون مدللة أيضاً.

وهذه هي مهمة الشيخ الكبير عبدالله بن محمد بن حميد تجاه طلابه الذين يبدأ بإيضاح الأدلة السمعية والعقلية لهم ويناقشهم في ذلك ثم يستعرض أقوال المخالفين للعقيدة السلفية ويفند مزاعمهم ويبين زيغ مذاهبهم بالدليل

والتعليل، مستشهداً بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة، وذلك على طريقته في التعليم التي تعتمد على المناقشة في الدرس، ومعرفة مدى تفهم الطلبة للدرس، بل حتى المناقشة في جزئيات الدرس، وإذا احتاج الأمر إلى الاستشهاد بشيء من كلام العلماء في الكتب التي لا تكون موجودة في حلقة الدرس طلب من المسؤول عن مكتبة الجامع الحافلة بالكتب المفيدة أن يحضر الكتاب المطلوب ويستخرج موضع البحث منه، ثم إفادة الطلبة بذلك.

رحم الله شيخنا عبدالله بن محمد بن حميد وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيراً.

محمد بن ناصر العبودي

الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي

الفهرس

الموضوع	الصفحة
لدى شيخي عبدالله بن حميد	٥
فطور مع فضيلة شيخنا	٦
عودة إلى الشاطئ	١٠
أعلمه الرماية	١٤
في مهب العواصف	١٨
نسمة من سحر الماضي	٢٦
رحلة الرحلات مع الشيخ عبدالله بن حميد	٣٥
سبب الرحلة	٣٧
العودة إلى الرياض	٤٠
والمدرسة	٤٣
الاستعداد للسفر ثاني	٤٥
بسم الله مجراها و(موقفها)	٤٨
عجيب!!!	٥١
الرياض مرة أخرى	٥٣
لدى سمو أمير الرياض سلطان بن عبدالعزيز	٥٣
في قصر المربع	٥٦
قابلت جلالة الملك عبدالعزيز المعظم	٥٨
الشرهة	٦٦
في وادي لبن	٦٨
السفر إلى الحجاز	٧٤
في مطار جدة	٧٦
شخصيات بارزة	٧٧
إلى مكة المكرمة	٧٨
إلى جدة ثانية	٧٩
هذا هو علمنا	٨٠
مدرسة جلالة الملك	٨٣
نزهة	٨٤

الموضوع	الصفحة
على مائدة سمو ولي العهد المعظم	٩٣
في القصر الملكي	٩٣
المرتب	٩٩
المخصص	١٠١
وثيقة صحيحة	١٠٣
ذكريات	١٠٤
الاحترام	١٠٧
نزهة ولكن	١١٠
ما أحسن العدل	١١٢
في مزدلفة	١١٣
غداء	١١٤
الخوف من هيئة الأمر بالمعروف	١١٦
العمر الطويل له الله	١١٧
قد قاربنا النهاية إن شاء الله	١١٩
جناية القتل وشهادة الزور	١٢١
ما هي القصة	١٢٣
غريب	١٢٤
يكاد ينتحر لأن قضيته لم تحسم	١٢٦
أيهم أبوه	١٢٨
المرتب	١٣١
فالشرهة أيضاً	١٣١
عندما يتخاصم التكارنة	١٣٥
ظلم الإنسان لأخيه	١٣٨
في إجازة	١٤٠
حلم يتحقق	١٤١
ومع ذلك لم ينته العمل	١٤٤
المعهد العلمي	١٤٧
مسكينة	١٥٢
مفتي الديار المصرية	١٥٤

الموضوع	الصفحة
السفر إلى الطائف	١٥٩
الطائف	١٦٠
يوميات الطائف	١٦٢
متى يبتدأ عملنا	١٦٢
أول قضية	١٦٤
النزهات	١٦٨
الطائف بلد البشارات	١٧٢
قاتل الله الاحتشام	١٧٣
مقر وزارة الدفاع في الطائف	١٧٥
في وادي الحوية	١٧٨
ابني ناصر	١٧٩
احتفال المدرسة النموذجية في الطائف	١٨١
من الطائف إلى جدة	١٨١
تعييني مديراً للمعهد العلمي في بريدة	١٨٢
نماذج من الردود العلمية للشيخ عبدالله بن محمد بن حميد على بعض العلماء وطلبة العلم حول مسائل علمية	١٨٣
فتوى: هل وجود النزاع والمخاصمة في العين يعتبر عيباً؟	١٩٤
مسألة القسامة	١٩٥
مناظرة علمية	١٩٦
وفاة الشيخ عبدالله بن حميد	٢١٠
قالوا في الشيخ عبدالله بن حميد	٢١٩
الشيخ عبدالله بن حميد – نشأته ودراسته	٢٢١
أعماله	٢٢٧
مؤلفاته	٢٣٠
ومن ردوده	٢٣٠
تنبيه هام	٢٥٢
أسئلة وأجوبة حول شيخنا الشيخ ابن حميد	٢٥٨
الفهرس	٣١٠